

إهداء

ربما لو أفردت الإهداء المستحق لمن ساعدوني في هذه الرواية لاحتجت إلى كتاب إضافي يلحق بهذا الكتاب، ولكن أرجو منهم المعذرة، فمفردات اللغة كلها لن تمكنني من التعبير عما أحمله لهم من شعور بالعرفان.

كالعادة أبدأ بأبي وأمي حفظهما الله، فأبي أوحى لي بالقصة من حكاوي كثيرة كان يحكيها لي في صغري، وأمي التي كنت أخدمها أيام الدراسة وأضع قصة بداخل الكتاب المدرسي فتدعو لي كلما رأته وهي تظن أنني (أهري) نفسي في استذكار المنهج الدراسي، أو إخوتي الكبار الذين وقفوا بجاني مؤدبين مرة، وناصحين مرات.

زوجتي الحبيبة لا يمكن إغفال دورها الكبير والتي بالرغم من أن القراءة ليست من هوايتها إلا أنها تحملتني طوال فترة كتابة الرواية التي امتدت خمسة أشهر متواصلة.

أما عن أصدقائي في العالم الحقيقي والافتراضي فحدث ولا حرج.

ربما أبدأ بإهداء العمل إلى مُراجِعِي اللغوية العتيدة "منى ذكي" التي أتعبتها كثيرا في مراجعة كل ما أكتب، وشجعتني كثيرا على المواصلة.

أو الصديق "شادي مُحمَّد" والأخت الغالية "ماهينار الخطيب" وآرائهم التي حسنت القصة، وجعلتها تخرج بهذا الشكل.

والصديق "يحيى" الذي لم يبخل عليّ بتصميماته المتميزة للغاية، وبالطبع صديقي الأنتيم "كريم حسني" الذي جعلت اسم بطل الرواية على اسمه.

وأعتذر إن كنت قد نسيت بعض الأسماء، فالزهامر يعبث بعقلي، وقلة التركيز أصبحت ديدني.

كنت أتمنى أن أهدي القصة لطنط "نجوى" وطنط "ماهيتاب" ولكني للأسف لا أمتلك أي "طنط" في حياتي.

البداية

" ديسمبر 1972 "

تحركت نسيمات هواء الليل الباردة تداعب التراب وتحركه، وصوت صغير هواء الشتاء يدوي في الأرض الواسعة الخالية إلا من مبنى متوسط الحجم، تحوطه أسوار عالية تحجب الرؤية ولا يظهر ما وراءها، ويتوسط السور بوابة معدنية كبيرة لا فراغات بين أعمدتها الحديدية، سار كلب بلديّ، أصفر اللون بمحاذاة السور العالي وهو يمتلي بأنفاس الليل، ويحتمي من الجو البارد حتى وصل إلى البوابة المعدنية فوقف أمامها يحك جانبه، دوى صوت صفارات إنذار أتى من المبنى؛ فزجر الكلب، ووقف بتحفظ وهو يلوح بيده يقاتل عدواً وهمياً، قبل أن ترتعد فرائسه ويهرب مسرعاً عندما أتى بعدها صوت تحطم زجاج، تبعه صوت طلق ناري تردد صدها بقوة في المكان ... خيم بعدها صمت تام على المكان قبل أن يندفع شخص من الداخل ويقفز بقوة من فوق الأسوار العالية كأنه قذيفة مدفع؛ ليقع بعدها على الأرض ويتدحرج قليلاً ثم يقوم وهو يلهث بانفعال، ويضع يده على كتفه المصاب والدم يسيل منه، كان يرتدي قميصاً طبيّاً، وعلى رأسه - الحليق تماماً - ضمادات كأنه قد خرج من عملية جراحية منذ فترة قريبة، لم تسنح له فرصة للراحة، فقد سمع صوت إدارة محرك سيارة من الداخل فانطلق يركض بسرعة كبيرة وانطلقت خلفه السيارة البيضاء (فيات 131) التي اقتحمت البوابة المعدنية من الداخل، ظل يركض بسرعه المذهلة كأن الأدرينالين المندفع في دمه جعله آلة مخصصة للركض، ولكن بعد مسافة قليلة أدرك أن السيارة ستدركه لا محالة، فأسرع حتى لاح في الأفق أرض زراعية فتوجه ناحيتها، والسيارة لا تزال تطارده وهي ترتج بشدة بسبب سرعتها الشديدة على الأرض الطينية غير الممهدة، رأى قائد السيارة الشاب الهارب يتجه نحو الأرض الزراعية فأخرج يده الممسكة بمسدس وصوب باتجاه ساق الهارب، وأطلق عدة رصاصات أخطأته كلها وأصابت الأرض من تحته، زادت من عزيمة الهارب؛ فأسرع أكثر وأكثر حتى اقترب من الأرض الزراعية وقفز بداخلها يختفي بين أعواد القصب المزروعة فصرخ قائد السيارة بحنق:

- "عبدالله"

أكمل قائد السيارة الانطلاق بسرعته الجنونية بمحاذاة الأرض الزراعية وهو يرى اهتزاز أعواد القصب وكان "عبدالله" يركض بنفس سرعته ويذهب إلى وجهة قد حددها مسبقا، لم تمض ربع الساعة حتى لاح في الأفق كوبري صغير يمر فوق نهر النيل؛ فضغط قائد السيارة دواسة البنزين بقوة حتى وصلت السيارة إلى أقصى سرعة وأراد أن يسبق "عبدالله" ويقطع عليه الطريق، ولكن.. وقبل أن يصل إلى الكوبري بمائتي متر رأي "عبدالله" يخرج من بين أعمدة القصب ويركض باتجاه الكوبري حتى وصل إليه، وبدون تفكير أمسك سور الكوبري المعدني وقفز وإحدى يديه متشبثة بالسور قبل أن يفلتها ويختفي.

ضغط قائد السيارة الفرامل فجأة ودوى صوت صرير احتكاك العجلات بالأرض قبل أن يقفز قائد السيارة منها ممسكا بمسدسه ويتجه إلى النقطة التي قفز منها "عبدالله" ويضع يده على السور ويميل فرأى المشهد المعتاد للنيل ومياهه التي تتهادى بأواجها الصغيرة وبعضها يصطدم بأعمدة الكوبري، فأخذ يضرب السور بمؤخرة المسدس وهو يصرخ بغضب كأنه قد فقد ابنه للتوّ.

ظل مكانه وهو يزفر أنفاس الغضب وصدوره يعلو ويهبط والعرق يتصبب على جبهته العريضة وأنفه الأفطس كأنه هو الذي كان يركض، ثم توجه بخطى متثاقلة إلى سيارته واستدار بها ليعود من حيث جاء، خمس دقائق أخرى بعد انصراف السيارة.. امتدت يد تمسك بسور الكوبري المعدني، تبعثها قفزة رشيقة؛ ليقف على الأرض "عبدالله" الذي كان يختبئ ويتعلق بأسفل الكوبري، وبدون تفكير انطلق يركض في الوجهة العكسية للسيارة وهو يمر من تحت يافطة مكتوب عليها:

" سنتريس ترحب بكم "

التكوين

"يولية 2008"

أمسك بكوب القهوة يرتشف منه وهو يحدق في المجهول، كانت ملابسه غير مهندمة وذقنه النامية وشعر رأسه الطويل المبعثر يدلان على أنه لم ينظر إلى المرأة أو يهتم بنفسه منذ فترة طويلة، جالسا على مكتبه وأمامه تقارير عديدة مبعثرة على المكتب بطريقة عشوائية.

- بس .. بس ... "كريم"

لم ينتبه إلى زميلته في الغرفة التي مالت حتى لامس شعرها البني المموج مكتبها الخشبي وتهمس، لم يكن يشعر بأي شيء حوله، ولا حتى شعر بمدير عام العمل الذي وقف يحدق فيه بغضب من بعيد، حتى أتى إليه ونغزه في كتفه بخشونة فانتفض مفزوعاً

- تعال على المكتب يا "كريم"، بس روح الحمام الأول اغسل وشك

- حاضر

فتركه مديره عائدا إلى مكتبه في انتظار "كريم" الذي أتى إليه بوجه مببل بالماء وسار بخطوات متثاقلة بقامته الفارعة النحيلة وخصلات شعر رأسه الأسود تلتصق على جبهته من الماء، جلس على الكرسي المقابل لمديره بعد أن سمح له بذلك وهو يقول بحدة:

- مالك يا "كريم"؟

- مالي بس يا مستر "مظهر"؟

- تقاريرك مش بتخلص، وبتيجي متأخر، وشكلك بقى زي الزفت كأنك من أهل الكهف!

- حاضر يا أفندم

- هو إيه اللي حاضر ... يا "كريم" دي شركة خاصة مش مؤسسة خيرية، يعني اللي مش بيشتغل

يمشي وده آخر إنذار ليك ... فاهم؟

- فاهم

هَمَّ أن يقوم من مكانه إلا أن مديره أشار إليه بالجلوس قبل أن يقوم من مكانه ويجلس أمامه وقد تبدلت نظرتَه إلى نظرة ود

- مالك يا "كريم"؟ ده انت كنت أحسن واحد هنا، وكنت بتعمل الحاجة قبل أنا ما أفكر فيها، أنا عارف إن الحادثة كانت أكيد صعبة بس دي فات عليها أسبوعين، وانت الحمد لله جسمك مفيش فيه حاجة.

أطرق "كريم" برأسه دون أن يقول أيّ رد

- "كريم"، لو محتاج فلوس قول، ولو محتاج أجازة تريح أعصابك أنا تحت أمرك
- أوعدك يا أفندم هارجع زي الأول
- يبقى تاخذ أجازة شهر تريح فيها، ومرتبك ماشي زي ماهو.

راقت لـ "كريم" الفكرة فأوماً برأسه إيجاباً:

- اللي تشوفه
- وهاخلي عصام يتابع التيم بتاعك
- بس عصام بيكرهني يا مستر "مظهر" وانت عارف
- وأنا مش مدير طرطور يا "كريم" وعارف اعمل كنترول على الناس إزاي
- مادام حضرتك شايف كده يبقى ماشي.

ثم ربت المدير على كتف "كريم" مداعباً:

- يالاً قوم امشي وعابزك ترجع "كريم" بتاع زمان
- بإذن الله يا مستر "مظهر"

قالها قبل أن يستأذن ويعود إلى بيته ممدداً جسده على فراشه يفكر.

أكثر ما أهمه أنه لا يستطيع أن يحكي للناس مشكلته، ولو قالها لما صدقه أحد، ولا اعتبروه مجنوناً، هو يعلم أن نهايته ستكون في هذا الشهر على يد مجهول لم يتوصل إلى معرفته حتى الآن، وحتى الشيء الوحيد

الذي كان من الممكن أن يساعده أو يرشده إلى ماهية السبب الذي سيؤدي إلى مقتله قد فقده وإلى الأبد.

لا يدري لماذا ترددت في ذهنه جملة:

"إذا رأيت الدنيا تبتم لك فلا تفرح، فالذئب يكشف أنيابه قبل التهام فريسته، وإن الطريق لغيابات الجحيم مخوف بالملذات".

أغمض عينيه، وأرخص جسده على الفراش، وأطلق العنان لعقله يخلق في ممرات الزمان، ويتوقف عند البداية ... بداية كل شيء.

"كريم عبدالله عبد المجيد " اسمه الذي التصق به، واللعة التي تطارده طوال حياته.

في حي بولاق الدكرور كانت نشأته، وفي بيت لم يكن فيه أي شيء طبيعي كان مولده، وفي شقة مكونة من صالة وثلاث غرف، إحداهن مغلقة أبدًا، يسأل عما بها؛ فتقول والدته: إنها مقتنيات لوالده يحتفظ بها، وبين أمه الطيبة التي لا ترى في الدنيا سوى بيتها وأسرقتها، وبين والد لا يتكلم ولا يتحرك، ويظل طوال اليوم في غرفته قعيد كرسيه المتحرك كانت حياته.

لم يكن مستواهم المادي سيئًا، فقد جمع والده قبل أن يقعه المرض مالا ينفقون منه، كما ورث أبوه عن جده أرضًا يرعاها أخوه الأصغر ويأتيهم بربعها كل فترة، ربع يتناقص مع الوقت بدلا من أن يزيد.

لا يذكر عن والده الكثير، فقد وعى على الدنيا؛ ليجد والده هكذا، لا يتكلم، لا يتحرك، لا يغادر غرفته، قيل له في صغره أن والده يعاني من مرض عقلي وشلل كلي لا أمل في الشفاء منه، لا يذكر من مواقف عن والده سوى موقفين لا غير.

في أحد الأيام عندما كان في الخامسة عشر من عمره سمع صوت أمه من خارج غرفته وهي تحتد في الحديث مع شخص، ثم علا صوتها فخرج ليجد أمه تحدث عمه:

- ودول اعمل بيهم إيه إن شاء الله يا "محمود" ؟
- والله هو ده اللي طلع من الأرض
- نعم؟!، يعني عايز تفهمني إن فدان أرض ما بيطلعش غير 100 جنيه؟، ده الإيراد كان أكثر من كده، والمفروض يزيد مش يقل
- قصدك إني حرامي يعني ؟
- ولا قصدي ولا ماقصديش، بس اللي بيحصل ده ظلم، المفروض تراعي إن أخوك عيان وإني باصرف على ابن اخوك
- ما أنا قلت لكم من زمان، أنا ممكن اشتري الأرض وأتحمل خسارتها لوحدي.

أحست بوجود "كريم" فالتفتت إليه:

- خش أوضتك يا حبيبي

رمى عمه بنظرة غل ودخل غرفته وأغلق بابها بشدة، وجلس والغضب يشتعل في صدره، بالرغم من صغر سنه إلا أن مرض والده جعله يشعره بالمسئولية، ولكم تمنى أن يساعد والدته في حملها، ولكم تمنى أيضا في هذه اللحظة أن يخرج ويفتك بعمه اللص، ولما لم يجد أمامه شيئا يفعلته ارتقى على فراشه يهرب من واقعه بالنوم وهو يكتم غضبه وغيظه.

عندما يكون عمرك خمسة عشر عاما وتستيقظ في الليل لتجد أن فراشك يتحرك بك فهذا شيء غريب، وعندما تفتح عينيك لتجد أن الكرسي الصغير بجانب فراشك يطوف في الهواء هو وحداؤك وبعض الأمتعة فهذا شيء أغرب، وعندما تسمع صوت تحطم خارج غرفتك فتنتفض من فراشك وتهرع إلى الخارج وأنت تغالب خوفك وذعرك لتجد جسد والدتك يطير من خارج غرفة والدك ويرتطم بالحائط المقابل كأنه قذيفة مدفع وتقع على الأرض فهذا شيء أغرب وأغرب.

لم يستوعب "كريم" الصغير ما يحدث فهرع إلى والدته التي كانت تنزف من رأسها وحاول إنقاذها وهو يطمئن عليها، حانت منه التفاتة إلى مكان والده فوجده كما هو على كرسيه المتحرك ولكنه كان يزوم بغضب والدم يسيل من أنفه بغزارة، كاد يذهب إلى والده إلا أن والدته جذبتة بشدة:

- روح أوضتك يا "كريم"
- بس انت وبابا متعورين يا ماما

ثم أخذ بيكي وهو يسألها:

- هو إيه اللي بيحصل يا ماما
- قلت لك روح أوضتك واقفل الباب، يلا بسرعة.

ذهب إلى غرفته ورأى قبل أن يغلق بابها أمه تقوم وتذهب إلى غرفة والده دون أن تبالي بالدماء التي تنزفها من رأسها:

اهدى يا اخويا، اهدى دا مفيش حاجة تستاهل.

لم يستطع فهم ما حدث ولم يقتنع بقول والدته في اليوم التالي حين سأها " ده كان زلزال يا حبيبي"، ولكن لم يكن أمامه سوى أن يرضي نفسه بقولها هذا، وفي نفس اليوم جاءهم خبر وفاة عمه وكان السبب كما عرف هو سقوطه من فوق سطح منزله.

وعندما بلغ السابعة عشر من عمره بدأت أشياء غريبة تحدث معه شخصيا، ففي بادئ الأمر كان يرى أحلاما عن أحداث شتى فيستيقظ ليجدها تحدث أمامه كما رآها في منامه بدون أي زيادة أو نقصان، حكى لوالدته فارتسمت في عينيها نظرة قلق للحظة قبل أن تضمه وهي تخفي توترها:

- ماشاء الله عليك يا حبيبي، ده معناه إن ربنا بيحبك والمؤمن دايما أحلامه بتتحقق.

اقتنع بكلامها ودفعه ذلك وقتها إلى المواظبة على الصلاة بعد أن كان يهمل فيها، ولكن الأمر تطور بمرور سنة أخرى فأصبح يرى أشياء قبل أن تحدث وهو مستيقظ، كان يجد أن كل ما حوله قد اختفى ويرى فيها عدة أشياء مرتبطة به، وأحيانا أشياء عابرة في بيته أو جامعته ثم تختفي ليتابع ما يحدث أمامه كأنه فيلم سينمائي شاهده من قبل.

كان هذا يسعده بشدة، ولكن والدته كان لها رأي آخر، وشعور مناقض لشعوره:

- إيه يا ابو "كريم"؟ إيه رأيك في اللي بيحصل للواد؟

جلست والدته أمام والده القابع على كرسيه وأخذت تبث إليه همومها، تقول له الجملة ثم تسكت برهة وتكمل الكلام كأنه يرد عليها، شاهدا ابنها من خارج الغرفة مرة تفعل ذلك فأشار إلى جانب رأسه بسبابته بحركة دائرية كأنها مجنونة.

- خايفة الواد يحصل له زي ما حصلك، نفسي اعمل حاجة بس مش عارفة إيه هي!

صمتت مرة أخرى ثم رفعت عينيها إلى سقف الغرفة وهي تدعو:

- استر يا ستار

وعندما جن الليل سمع "كريم" نداء أمه تطلبه أن يجلس معها قليلاً فقام ليذهب إليها وجلس بجانبها، فأخذت تعبت في شعره وهي تبتسم بارتباك:

- نعم يا ماما

- عامل إيه في مذاكرتك يا حبيبي؟

- الحمد لله بذاكر والله.

تشاغللت بالعبث في شعر رأسه فهز رأسه:

- إيه يا ماما انت بتدوري على قمل ولا إيه؟

تبسمت وأنزلت يدها وصمتت لدقيقة قبل أن تعود وتنظر إلى ابنها:

- قولي يا "كريم"، هو انت لسه أحلامك بتحصل؟

- اسكتي اسكتي

ثم أخذ يتكلم بحماس:

- ده الموضوع مابقاش أحلام بس، ده كمان ساعات باشوف حاجات وأنا صاحي وبتتحقق.

غالبت مشاعر القلق وهي تجبر نفسها على الابتسام:

- إزاي ؟
- بصي يا ست الك، في الأول كنت باشوف أحلام أحيانا بتكون صريحة وبتوضح كل حاجة، وأحيانا بتبقى أحلام رمزية ولما باصحي بتتحقق، بس ده كان في الأول بس، لكن دلوقت باشوف حاجات كتير قبل ما تحصل وأنا صاحي، ساعات بتجيلي غفوة كأني نمت، أو ساعات فجأة كل حاجة قدامي بتختفي وبلاقي نفسي شايف مكان تاني أو أحداث تانية ولما بافوق بلاقيها بتتحقق، أحيانا باشوفها قبل ما تحصل على طول وأحيانا قبلها بفترة.
- لم بيد على الأم أي حماس أو فرحة بما قاله لها "كريم" وظلت مطرقة برأسها قليلاً قبل أن ترفع رأسها وعلى ملامحها علامات القلق والوجل بادية:

- بص يا "كريم" أنا عايزة اقول لك حاجة!
- اتفضلي يا أمي
- مش انت عارف إني ببحك وعايزة مصلحتك ؟
- مش متأكد أوي، بس ساعات يعني

قالها مداعبا فضربته برفق على كتفه

- يا واد أنا باتكلم بجد
- طبعا عارف، هي دي عايزة كلام ؟
- طيب ممكن أطلب منك طلب ؟
- قولي
- موضوع الأحلام ده ياريت تبطله خالص.

ارتسمت على "كريم" ملامح الدهشة من كلام أمه ثم ابتسم:

- أبطلها إزاي يعني، أفضل صاحي على طول والا إيه ؟
- مش قصدي يا "كريم"، بس أنا أدري بمصلحتك وياريت تسمع الكلام

- أيوه يا حبيبي كلامك على رأسي بس اطلبي حاجة أقدر اعملها، ده حتى لو بطلت أنام برضه هاشوف الحاجات اللي باشوفها وأنا صاحي.

ثم صمت لحظات ثم عاد ليكمل:

- تعرفي أنا نجحت السنة اللي فاتت وطلعت الأول ليه ؟ علشان شوفت أسئلة الامتحانات قبل الامتحان بأسبوع، يبقى أبطلها ليه ؟ أصلا ده لو كنت أقدر.

لم تجد ما تقوله أمام منطقته فلم تملك إلا أن ضمته إليها:

- أنا بس خايفة عليك، مش قصدي حاجة بس مش عايزة حاجة تحصلك.

قبل جبينها ورجع بظهره يضحك:

- تخافي من إيه ويحصل لي إيه ؟ شكلك اتفرجتي تاني على فيلم (آمر.. أكبر.. أنطوني) لما أميتاب باتشان ضربوه بالرصاص في الآخر
- فيلم إيه يا واد
- أه بجد ما أنت مش بتتأثري كده غير لو شفتي فيلم هندي ... على العموم ما تخافيش أنا مش ناوي أروح الهند قريب.

دمعت عيناها من الضحك ثم قالت أخيراً:

- مش هاخلص معاك شكلي، على العموم توعديني بحاجة ؟
- قولي
- لو بجد بتحبي، سيبك خالص من موضوع الأحلام والحاجات اللي بتحصل دي، مش بقول لك بطل تنام ولا حاجة بس ماتفكرش فيها خالص، وحتى لو شوفت حاجة ما تعتمدش عليها
- طيب إيه الحكمة يعني ؟
- يا سيدي اعتبرني مجنونة واسمع الكلام، وبالنسبة لموضوع إنك تشوف أسئلة الامتحان دي، بالذمة ده مش حرام؟ إنك تعتمد عليه وفي ناس تانية بتفضل تذاكر طول السنة ؟

- أولا ما اسمهاش بالذمة علشان الشيخ في خطبة الجمعة قالنا حرام الواحد يحلف غير برينا ولو عايزة تستحلفي حد تقول لي بالله عليك ... ثانيا مالك قلبتي كده على خواطر الشعراوي؟
- لا إله إلا الله، ماشي يا سيدي خليها بالله عليك بدل بالذمة، المهم هاتوعدي؟
- هو طلبك غريب وأنا مش فاهم ليه بس ماشي أوعدك يا ستي

ثم أمسك يديها وقبلهما وهو بيتسم:

- هو أنا عندي أعلى منك يا بطتي يعني؟

ضمته إليها وهي تدعو له ثم قالت:

- ربنا يباركلي فيك يا حبيبي
- وفيك يا بطة

ثم قام وقال وهو يتوجه إلى غرفته:

- أسيبك أنا وأروح أذاكر بقى علشان الامتحانات قربت
- ربنا يعلي مراكبك يا حبيبي
- ماشي يا عم الصياد

عاد "كريم" شارد الذهن إلى غرفته ثم استلقى على المقعد الصغير الذي يحتل ركن غرفته وقد شغل حديث والدته كل تفكيره.

لم يفهم سر طلب والدته ولكنه آخر الأمر عزم على أن يطيع رغبتها فقد عهدا تسعى دائما وأبدا إلى مافيه صالحه، قام وجلس أمام مكتبه الصغير وأمسك كتابه وحاول الاستذكار إلا أن كلام والدته ظل يتردد في ذهنه فقام وتوجه إلى فراشه واستلقى عليه حتى غلبه النوم.

الرؤية

هطلت السماء بمطر غزير وانشقت السماء عن برق أضواء المكان للحظات ودوى صوت الرعد حتى ليكاد أن يسمع الموتى، وقف "كريم" يتفحص المكان الذي وجد نفسه في وسطه والدهشة تكسو وجهه، كان في وسط أرض جرداء لا نهاية لها، فظل يلتفت حوله لعله يجد أي شيء يخرج من هذا المكان حتى رأي من بعيد رجلا ملامحه غير واضحة وقد عطف على نقش شيء ما على حجر أمامه كشاهد القبر، فاقرب منه يناديه:

- لو سمحت !

لم بيد على الرجل أنه قد سمعه من الأصل وهو يواصل النقش على شاهد القبر، فعاد "كريم" مرة أخرى إلى الصياح في الرجل ولكن الرجل ظل على حاله حتى اعتدل فجأة وظهره إلى "كريم" الذي نظر إلى شاهد القبر والمكتوب عليه فانتفض مما رأي، فقد وجد أن المنقوش على الشاهد هو اسم والده.

تحرك الرجل وأخذ يحفر قبرا أمام الشاهد بدون أن يلتفت إلى صرخات "كريم" التي تناديه، والتي ضاعت في صوت الرعد، وما أن انتهى الرجل من الحفر حتى التفت الرجل وشاهد "كريم" وجهه فتجمد مكانه من الخوف، فقد كان الرجل بلا وجه ظاهر، وإن شعر "كريم" كأن طاقة سلبية تخرج من مكان الرأس حتى لتكاد تنتزع روحه.

لم بيد على الرجل أن لاحظ وجوده، فقد أكمل التفاته ثم أشار بيده إلى مكان آخر كأنه يستدعي شيئا ما؛ فالتفت "كريم" ليرى القادم فإذا بوالده يمر من جانبه وهو يتسم له ابتسامة خفيفة قبل أن يستلقي في القبر بعد أن أشار له الرجل الآخر بذلك، ثم شرع الرجل في ردم القبر على والده، فاندفع "كريم" ليمنع الرجل لكنه توقف بعد أن أشار والده له قائلا له:

- روح يا "كريم"، مش هاينفع تعمل حاجة.

ثم شعر "كريم" كأن قبضة قوية تسحبه إلى الخلف وهو يصرخ في الرجل أن يكف عما يفعل، وظل يتعد وهو يصرخ حتى اختفى الرجل والقبر وضاعت صرخاته في المجهول.

استيقظ فجأة على نداء والدته عليه وهي تقتحم الغرفة بعدما سمعت صراخه؛ فقام والعرق يتصبب منه وقلبه يتواثب بين أضلعه.

- مالك يا حبيبي

- فين بابا

- أبوك في أوضته ... شوفت إيه يا حبيبي ؟

لم يحاول الرد عليها وانتفض من سريره يهرع إلى غرفة والده فوجده كما هو جالسا على كرسيه ثابت النظرات، فجذب "كريم" كرسيه وجلس أمامه ينظر إليه والقلق بادٍ على وجهه:

- انت كويس يا بابا ؟

كان سؤاله بلا معنى فقد كان يعلم أن والده لن يجيبه، وظل والده على حاله لا يتحرك كأنه لا يشعر بوجود ابنه، ولكن ولأول مرة تحركت عيناه لتستقر ناظرة إلى وجه "كريم" للحظات ثم شعر فجأة كأن تياراً بارداً يجتاح عقله للحظات ثم توقف ليجد "كريم" ولأول مرة شبح ابتسامة ارتسمت للحظة على شفطي والده قبل أن تختفي مرة أخرى.

أمسك بيد والده وقبّلها وقام لما لم يجد جلوسه مع والده أي فائدة، وما أن هم بالانصراف من حجرة والده بعد أن قبل يده ورأسه مرة أخرى فسمع في عقله نفس صوت والده الذي سمعه في الحلم "ده دورك دلوقتٍ"، التفت بدهشة إلى والده فوجده قد عاد إلى وضعيته الأولى يحدق في الحائط.

خرج من الغرفة، فنادته والدته التي بلغ منها القلق مبلغه:

- شوفت إيه يا "كريم" ؟

- كابوس يا أمي ... مجرد كابوس

ثم تركها وأغلق على نفسه الغرفة ثم استلقى على سريره يحتضن وسادته وقد شعر بداخله أن لرؤيته معنى واحداً وأكيدا.

ولم تمر ثلاثة أيام، وبينما "كريم" عائد من الجامعة حتى وجد تجمهرا أمام شقته وصراخ والدته يملأ المكان؛ فاندفع بينهم ليرى ما حدث، وهو يعلم في داخله بأنها رؤيته المشؤومة قد تحققت، وما أن اقتحم غرفة والده حتى وجد بعض الأقارب بجانبه وهو ممدد على فراشه وقد غطوه حتى رأسه بملاءة بيضاء؛ فاقرب منه، وكشف وجهه وطفق يقبل رأسه ووجهه وهو يبكي بشدة وأقاربه يحاولون التخفيف عنه بالجمل المعتادة.

وبانتهاء اليوم كان قد قام بدفن والده بعدما قام بتغسيله والصلاة عليه ووقف يتلقى العزاء بجوار المقبرة:

- البقاء لله يا "كريم"
- البقاء لله
- هو الصوان هايبقى هنا يا ابني في البلد ولا عندكم في المنطقة
- لأ مفيش صوان، احنا بناخذ العزاء على المقابر وخلص .

ثم عاد بأمه وجدته لأمه التي أصرت أن تمكث معهم قليلاً حتى تخفف عن ابنتها مصابها، وما أن دخل غرفته حتى دخلت والدته خلفه وأغلقت الباب وجلست على طرف الفراش، وأشارت إليه أن يجلس بجانبها فأطاعها ونظرت هي إليه بعينين حمراوتين من أثر البكاء ثم قالت بحزم:

- أنا طلبت منك مرة يا "كريم" إنك تنسى خالص موضوع الأحلام والكلام ده
- هو ده وقته يا أمي
- أيوه ده وقته، وأنا بقول لك لتاني مرة يا "كريم" اسمع كلامي وانسى خالص الموضوع ده ... فاهم ولا لأ
- حاضر يا أمي.

انفجرت فجأة في البكاء وهي تضمه إليها:

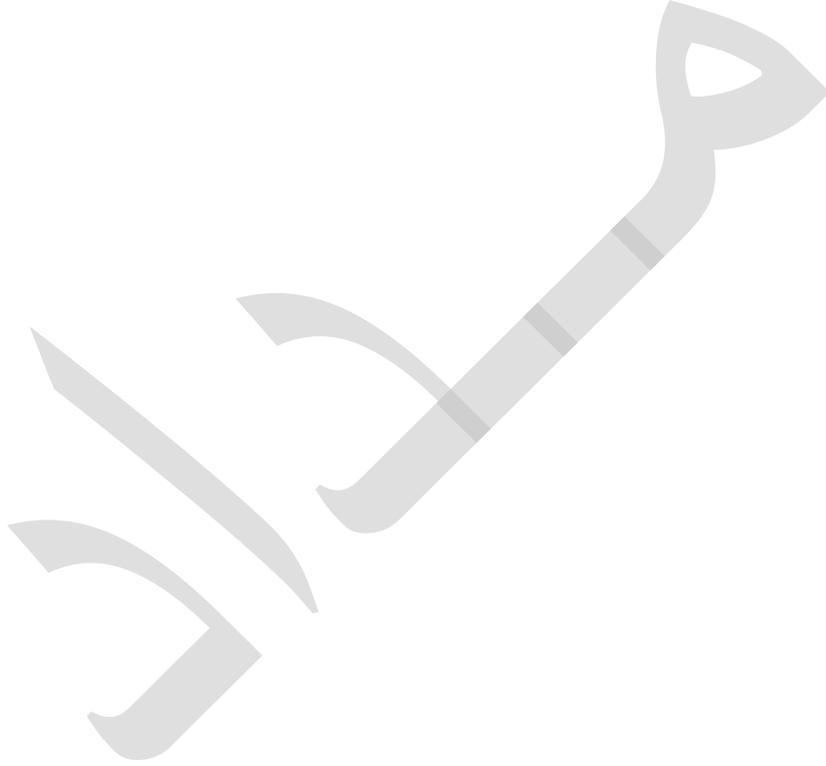
- أنا مش حمل إنك تروح مني، اسمع كلامي يا "كريم".

ضمها هو الآخر:

- أوعدك يا أمي، صدقيني هأنفذ اللي عايزاه
- ربنا يطول في عمرك يا حبيبي.

قالتها و قبلت رأسه وذهبت إلى خارج الغرفة، و ظل هو جالسا يجتر أحزانه وحده، فبالرغم من أن والده لم يكن يتحرك أو يكون هناك أي مواقف تذكر بينه وبين والده إلا أن مجرد وجوده كان يشعره بالأمان.

سالت الدموع على وجنتيه وهو يذكر جلسة والده على كرسية، ظلت مقولة والدته بوجوب إهمال موهبته تتردد في ذهنه.



الوعد

مر العام ونصف العام و"كريم" محافظ على وعده الذي قطعه على نفسه قبيل وفاة والده، كان يرى الحدث قبل حدوثه وعند تحققه يفتعل الدهشة كالباقين، كأنه لم يكن على علم مسبق به، يرى بعض أسئلة الامتحانات، فيصر على استذكار دروسه كباقي زملائه، واستمر على تجاهل الرؤى والاستفادة منها حتى تلاشت الرؤى أو كادت.

ولكن ...

حدث بسيط قد يكون هو الفيصل في حياتنا، طريقان أمامنا، لا نعلم هل نحن مسيرون إلى قدرنا؟ أم أن اختياراتنا هي التي تحدد أيهما سنسير فيه، هذا هو ما حدث معه.

كان من الممكن أن يستمر على حالته من تجاهل للموهبة التي وهبها الله إياه حتى رأي رؤيا كانت هي هذا الفيصل.

ففي أحد الأيام وبينما هو عائد إلى بيته قبل غروب الشمس، إذ ابيضت الدنيا في عينيه بنور ساطع حتى ارتكن إلى أقرب حائط حتى يستطيع الرؤية مرة أخرى، لكنها عادت ليرى مكانا آخر، رأي نافذة شقته وكأنه ينظر إليها من أسفل من زاوية جانبية من المقهى المقابل للبيت الذي يسكنه وسمع بأذنه كلاما كأنه هو قائله:

- ما تيجي يا ض معايا الطلعة دي
- طلعة إيه ياعم دي عيلة كحيانة
- يا أهبل ده أنا سمعت أن أبو الواد "كريم" لما مات مراته باعت حته أرض كانت بتاعته وخذت يجي 100 ألف جنيه وشايلينهم في البيت
- لا ياعم، ممكن تبقى الفلوس في البنك وهاتبقى طلعة فشك، لو عايز تروح اطلعها لوحدهك
- ماشي يا جبان، بس ماتجيش بعد كده تقول لي عايز فلوس مني.

ثم رأي "كريم" كأنه التفت ورأي العامل الذي في المقهى المقابل لبيته:

- حسابك كام يالا ؟
- انت واخذ شاي فتلة، و 7 حجر معسل، يبقى الحساب أربعة جنيه
- أيدهم عندك وهادفعلك بالليل.

اختفت الرؤيا لتحل مكانها رؤيا أخرى في مكان آخر فقد رأي بعين اللص كأنه يتسلق البيت في جوف الليل وقد اقترب من نافذة شقته، ثم اختفت الرؤيا مرة أخرى لتعود له قدرته الطبيعية على الإبصار وعقله يكاد يشتعل من خوفه وقلقه مما قد يحدث، فقد ميز الصوت الذي سمعه فصاحب الصوت بلطجي معروف في المنطقة عندهم باسم "زغلول"، و"كريم" ضعيف البنيان لن يستطيع مواجهة مثل هذا البلطجي وحده فهو كالثور ويمكن أن يقتل "كريم" بسهولة بالغة، وفي نفس الوقت لن يستطيع أن يتصل بالشرطة ويخبرهم بأنه سيتم الهجوم عليهم من أحد البلطجية في المساء فحينها سيكون السؤال المتوقع " وانت عرفت إزاي ؟ " ... ظل يفكر ويفكر في طريقة للخروج من هذا المأزق أثناء عودته إلى شقته وقبل أن يدلف إلى باب البيت قابل "زغلول" البلطجي التي كانت الرؤيا تدور حوله والذي ما أن رأي "كريم" حتى ابتسم له ابتسامة لزجة:

- مساء الفل يا "كيمو"
- مساء الخير يا "زغلول"

شعر بتيار بارد يسري في أوصاله وبرعشة صحبتها حركة عصبية في أطراف يده:

- مالك يا "كيمو" يا حبيبي؟، شكلك محطوف كده
- لا أبدا ده أنا بس تعبان شويه
- ألف سلامة عليك، نصيحة من أخوك غير جو وحاول تبات في مكان تاني كام يوم وهتلاقي نفسك زي الفل
- فعلا ؟
- أوماال، ده قبل كده دكتور قال لي لما تتعب غير جو على طول
- أنا فعلا بافكر أبات أنا ووالدي عند خالتي النهاردة
- عين العقل ... النصيحة دي علشان مجبك بس

- أكيد طبعاً.

ثم تركه وصعد إلى شقته وقد عزم أمره على المواجهة لا الهروب، وما أن دخل شقته حتى سارع إلى الاتصال بخمسة من أصدقائه، وأصر أن يحضروا بحجة أن يستذكروا دروسهم معه وبعد أن اتفق معهم أقنع أمه أن تذهب لتبيت ليلتها عند خالته، ثم أخذ يجهز بعض أدوات المقاومة من عصي خشبية وكل ما وجده قد يجدي نفعا في المنزل.

" وفي المساء "

جلس "كريم" مع أصدقائه الخمسة وقد أعطى لكل منهم عصي خشبية في يده وخفف الأضواء لدرجة تصعب الرؤية فيها بدون أن يخبر أحدهم عما يجري حتى سأله أحدهم بقلق:

- يا ابني فهمني بس فيه إيه ؟
- اهدي بس يا عصام وهتفهم كمان شويه
- لا معلىش جو الأفلام الهندي اللي أنت عامله ده مش مطمئني.

فتدخل آخر في الحوار بينما صمت الثلاثة الباقين مستمعين:

- يعني قتلنا نيجي نذاكر وانت عمرك ما عملتها وقولنا ماشي، لكن عصيان وشغل الحرافيش ده قصدك منه إيه؟
- يا جماعة اصبروا شوية
- لأ، عصام عنده حق لازم نعرف فيه إيه ؟
- قوله يا يحيى أحسن ده هايجنن أمي.

صمت "كريم" قليلاً يفكر كيف يخبرهم بما سيحدث:

- طب صلوا على النبي
- عليه الصلاة والسلام
- من الآخر كده فيه بلطجي هايحي علشان يسرق الشقة النهاردة

نظروا إلى بعضهم باستغراب إلا عصام الذي رد عليه بسرعة وبنفاذ صبر

- يا ابني بطل هزار وانجر، إيه الحكاية يا زفت ؟
- والله باتكلم بجذ، عرفت إن "زغلول" هايجي علشان يسرق شقتنا النهاردة
- "زغلول" مين ؟ البلطجي اللي بيثبت الناس على أول الشارع ؟
- يا انا بن المجنونة

كانت هذه الصيحة من يحيى فخرج صديقهم "شادي" عن صمته

- إيه حكاية "زغلول" دي كمان يا يحيى ؟
- ده بلطجي ممكن يبرمنا بدراع واحد في دقيقة
- طيب وانت يا "كريم" ما اتنيلتش على عين أهلك وبلغت البوليس ليه
- علشان البوليس عندنا بيتحرك بعد الحادثة مش قبلها، ثم هقول للبوليس إيه ؟ هقوهم فيه بلطجي هايجي يسرقنا النهاردة !؟
- أه إيه المشكلة يعني
- ماهم ساعتها هايقولوه إيه عرفك ؟ وإزاي هايقبضوا على واحد لسه ما عملش حاجة ؟
- طيب وانت عرفت إزاي يا عم الشيخ ؟

حاول "كريم" أن يهرب من إجابة السؤال لكن مع اصرار أصدقائه على معرفة الجواب اضطر أن يجيب بأول شيء مر على ذهنه:

- أصل واحد كان قاعد على القهوة النهاردة وسمع "زغلول" بيقول كده لواحد صاحبه
- والمفروض إننا نمسكه ... ده لو جه يعني
- أيوه يا عصام، ده احنا خمسة والكترة تغلب الشجاعة.

هم "كريم" أن يستطرد في كلامه ألا أن النور الساطع الذي يراه قبيل الرؤيا أعمى بصره قبل أن يرى بعين "زغلول" وكأنه يقترب من المنزل ثم اختفت الرؤيا فوقف "كريم" مسرعا وأطفأ الأنوار كلها:

- يابن المجنونة بتطفي النور ليه، مش كفاية فيلم الرعب اللي معيشنا فيه

- حضرتك احنا كنا بنذاكر في الصلاة وفجأة سمعنا صوت الشباك بيتفتح في أوضة النوم فجرينا ولاقينا "زغلول" بينط من الشباك فضريناه بالخشب اللي في إيدينا
- أيوه والخشب جيبتوه منين ؟
- نعم حضرتك !
- انت أطرش ؟ الخشب جيبتوه منين؟
- أصل حضرتك أنا الخشب ده باستعمله في الرياضة ساعات كده، والحمد لله نفعنا، أحسن ده كان ممكن يعمل فينا حاجة
- طيب هاحتاكم كلكم في القسم علشان نكمل المحضر
- طيب حضرتك واحنا مالنا ؟ دي شقة "كريم" اللي كانت هاتتسرق؟! كانت هذه من عصام الذي كادت أعصابه أن تنهار وأراد أن ينتهي من هذا الموقف بأقصى سرعة:
- انتم كلكم مش شاهدين على اللي حصل ؟
- أيوه يا باشا
- يبقى تتنيلوا تيجوا القسم علشان نخلص من أم الليلة دي.
- فانصاع الجميع لكلام الضابط بدون أن يعقب أحدهم وخرجوا خلف الضابط وعصام يردد:
- الله يخرب بيتك يا "كريم"، الله يخرب بيتك يا شيخ .

النشوة

كانت هذه الحادثة هي الفيصل في قرار "كريم" والنقلة التي قرر بعدها ألا يتخلى عن موهبته التي وهبه الله إياها، وأقنع نفسه بأن موهبة مثل هذه تركها ضرب من الخبال وإلا ما كان الله قد وهبها له، وأنها كباقي أعضاء جسده من ذراعيه وعينييه وعليه أن يتقبل حقيقة امتلاكها، وأن يعمل على استغلالها أفضل استغلال، ولم تملك والدته إثناؤه عما قرر، وإن ظلت تذكره بوعده بين الوقت والآخر؛ حتى استسلمت في آخر الأمر.

لم ينكر على نفسه شعور النشوة الذي اعتراه كلما رأى رؤيا وتحققت، لم يشعر بأنه غريب الأطوار بل شعر بأنه بموهبته تلك قد اقترب من الكمال، ومع مرور الوقت زاد إحساسه هذا خاصة بعدما أصبح يستطيع بقليل من التركيز أن يحدد عن تكون رؤيته وكل ما كان عليه فعله أن يركز تفكيره في شخص ما أو يلمسه حتى تأتيه رؤى عشوائية عن أشياء قد فعلها هذا الشخص أو يفعلها حاليا أو ستحدث له مستقبلا، بالطبع كان كل ما يراه مجرد ومضات صغيرة فقد كان يعلم أن رؤية المستقبل بالكلية ضرب من المستحيل ولكن هذه الومضات كانت كفيلا بأن يعرف طبيعة الشخص الذي أمامه وما الذي يفعله.

وبفضل موهبته أنهى دراسته الجامعية بتفوق، ولكنه لم يقبل أن يصبح معيدا في الجامعة فقد كان يرى أنه بموهبة كموهبته يمكنه أن يرتقى لأعلى المناصب خارج مجال الجامعة المحدود.

ظل يبحث ويبحث إلى أن عشر على إعلان وظيفة في إحدى الشركات العالمية، فجهز أوراقه وحفظ الإجابات النموذجية كما يفعل الجميع استعدادًا لمقابلة مدير الموارد البشرية وذهب وانتظر ميعاد المقابلة.

وجد العشرات من المتقدمين كما توقع ولم يمر وقت طويل حتى جاء دوره، فلم يكن مدير الموارد البشرية يطيل مع المتقدم وكان من الواضح أن أحدًا منهم لم يحظ بالقبول عنده، وما أن دخل "كريم" حتى صافحه مسئول المقابلة بطريقة روتينية فاترة ولكنها كانت كافية جدًا فما أن لامست أصابع "كريم" يد المسئول حتى احتشدت الرؤى العشوائية بتدافع:

" باكره الإجابات الروتينية "

" كل واحد حافظ كلمتين وجاي يرجعهم قدامي "

" عارف يا هشام لو المتقدم يبقى صريح ويتكلم عادي من غير شغل (أصلي جاي علشان باحث عن تحدي جديد) وشغل إجابات كتب كيف تكسب وظيفة ده! كان الواحد يفكر، لكن دول شكلهم حافظين مش فاهمين.

" تيجي معايا نجيب هدموم النهاردة؟ كونكريت فيها شويه موديلات حلوة جدًا "

ارتسمت على وجه "كريم" ابتسامة سريعة مالبت أن أخفاها وهو يقدم أوراقه إلى مسئول المقابلة قبل أن يجلس بعد أن سمح له بذلك، فألقى المسئول نظرة سريعة على السيرة الذاتية ثم سأل "كريم" بدون أن ينظر إليه:

- السي في بتاعك كويس بس مش مكتوب إنك اشتغلت قبل كده
- أنا فعلا ما اشتغلتش قبل كده لأني لسة مخلص الجامعة من سنة
- طيب عملت إيه السنة دي؟
- كنت باخد كورسات تأهلني للعمل.

هز المسئول رأسه وهو يقلب في أوراق التقدم:

- طيب قول لي، إيه اللي يخليك مؤهل للشغل في الشركة هنا؟
- عايز إجابة محفوظة ولا أكلم حضرتك بصراحة؟
- أفندم؟!!

ثم رفع رأسه مندهشا من إجابة "كريم" الذي كان يبتسم ابتسامة خفيفة

- بص يا أفندم، زي ما حضرتك عارف إن إجابات أسئلة المقابلة الشخصية معروفة وإجاباتها النموذجية موجودة في كتب كتير والكل حافظها، ممكن أقول ل حضرتك ببساطة زي ما الكل هايقول أصلي أقدر أشتغل تحت الضغط وعندي قدرة على تحمل المسؤولية إلى آخر الكلام ده، بس سامحني أنا بحب أتكلم بطريقة عادية

- طيب سمعني عايز تقول إيه؟

- ولا حاجة

- يعني إيه ولا حاجة ؟
- أنا متخرج من الجامعة جديد ولسه ماعنديش الخبرة الكافية، صحيح أنا من أوائل دفعتي بس حضرتك عارف إن الدراسة النظرية مالهاش علاقة بالجانب العملي
- طيب مادام كده ليه متوقع إني هوافق على طلب التقدم بتاعك ؟
- ولا حاجة فعلية ممكن تخلي حضرتك توافق بس اعتقد أن أول ثلاث شهور هي فترة اختبار ممكن تحدد هل أنا مناسب للعمل ولا لأ، وكمان لو حضرتك تحب إني أشتغلهم بدون مرتب يبقى شرف ليا.

صمت المسئول لدقيقة، ثم ابتسم ابتسامة واسعة وهو ينظر إلى "كريم" يتأمله:

- بص يا "كريم"، هو كلامك صادم وأول مرة حد يتكلم في مقابلة شخصية بالأريحية دي بس أكيد دي أفضل من الإجابات المحفوظة
- أتمنى إن حضرتك تعذرني، بس أنا بحب المصارحة
- لا بالعكس كلامك ممتاز.

وقبل انتهاء المقابلة سأله المسئول السؤال المعتاد:

- فيه حاجة تحب تستفسر عنها ؟
- هو القميص اللي حضرتك لابسه ده من كونكريت ؟
- أفندم !
- القميص ده كونكريت ؟
- أه كونكريت ... إشمعني
- لو حضرتك ناوي تشتري الفترة دي من الأفضل تستنى شويه لأنهم هاينزلوا خصم 30% الأسبوع الجاي
- وانت عرفت إزاي ؟
- أعرف حد شغال هناك وقال لي
- ماشي يا سيدي شكرا على النصيحة.

ثم قام وصافح "كريم" وهو يبتسم:

- استني مني مكاملة
- مكاملة مكاملة ولا زي الباقيين
- لأ، مكاملة مكاملة بإذن الله

ثم قال وهو يضحك:

- اسمي شريف على فكرة
- أتمنى إني أنال شرف الشغل مع حضرتك يا أستاذ شريف
- أكيد.

ثم انصرف "كريم" وهو يعلم أن المنصب قد أصبح له

وبالفعل لم تمر عشرة أيام حتى وجد اتصالاً من "شريف" مدير الموارد البشرية يخبره بأنه تم قبوله للعمل وأن يبدأ عمله من أول الشهر القادم:

- بالمناسبة شكراً على النصيحة، الشركة فعلاً نزلت الخضم اللي قلت عليه
- يا باشا احنا في الخدمة.

وما أن شغل الوظيفة حتى أثبت جدارته في العمل بطريقة أبهرت كل المدراء؛ فقد كان يقدم التقرير المطلوب قبل أن يُطلب منه، يكتشف الأخطاء ويقدم طرق حلها قبل غيره حتى فاق كل من سبقه في العمل في السن والأقدمية، وهكذا كلما فرغ منصب أعلى منه حتى أصبح هو المرشح الأفضل له، ولم تمض سبع سنوات؛ حتى أصبح في مصاف الإدارة العليا.

-
- فيه إيه بس يا "كريم"
 - تعالي بس وأنا هوريكي

قادها من يدها وهما ينزلان درجات السلم العتيق حتى وصلا إلى أمام مدخل البيت، وأشار لها بفخر

- هاه إيه رأيك بقى ؟

تلفتت حولها فلم تر شيئاً يجذب الانتباه، اللهم إلا سيارة جديدة تقف أمام المدخل قد تركها أحدهم هنا؛ فعاتت لتنظر إلى ابنها بتساؤل:

- رأي في إيه ؟

- فى العربية يا حاجة.

قالها وهو يجذبها ناحية السيارة السوداء (كيا سيراتو) الجديدة وهو يخرج مفتاحها ويضغط زر فيه؛ فأصدرت السيارة صوتاً وأشتعلت أضواء كشافاتها؛ فهلت والدته بفرح وهي تتحسسها:

- ألف مبروك يا حبيبي ... جميلة أوي

- ربنا يخليك يا ست الكل ... يالا اركبي عشان أوريكي حاجة تانية.

نصف ساعة بعد أن دخلا شارعاً جانبياً من "جامعة الدول العربية" كانا يقفان داخل شقة واسعة خالية من الأثاث، وبريق رخامها يخلب اللب؛ فأخذت تتجول في الشقة غير مصدقة ما آل إليه حالهم، وكيف تغير من حال إلى حال، نصف ساعة أخرى كانا يستقلان السيارة للعودة إلى منطقتهم، قبل أن يودعوها بعد فترة، وأثناء عودتهم إلى المنزل والطريق مزدحم والسيارة متوقفة انتفض "كريم" عندما دقت يد على زجاج النافذة المجاورة، فالنتفت ليجد طفلاً صغيراً لا يتعدى التاسعة من عمره متسخ الملامح قذر الثياب وهو يشير إلى فمه ويرسم على وجهه علامات الإرهاق والمسكنة، وجن جنون "كريم" لما رأى إتساخ النافذة، وهم أن يعنّفه؛ فمدت أمه يدها وشدت على يده ثم أشارت إلى الطفل أن يأتي إلى جانب نافذتها وهي تخرج من حقيبتها بعض المال :

- تعالى يا حبيبي ... خد دول

- ربنا يخليك يا حاجة ويخليك ولادك

هم الطفل أن ينصرف فسألته الأم :

- إسمك إيه يا حبيبي ؟

- اسمي "مانُو" يا حاجَّة

قالها بسرعة وانصرف إلى شارع جانبي صغير، وجلس على الرصيف وهو يمسك بالمال بنشوة، ولم ينتبه إلا عندما توقفت أمامه سيارة (دايو) فضية اللون ومن بداخل السيارة يشير إليه أن يأتي فأسرع إليه وهو يمد يديه، أعطاه قائد السيارة بعض المال وهو يقول :

- تحب تاخذ فلوس كثير ؟

- ومين مايحبش يا باشا

- طيب تعالى اركب وأنا هاظبطك.

دار حول السيارة وفتح الباب، ونفض ثيابه حتى لا يوسخ المقعد ثم جلس وانطلقت به السيارة.

بعد يومين وبعد أن انتهى "كريم" من نقل ما يحتاجه إلى شقته الجديدة، وألقى كل الأثاث القديم؛ باستثناء مقتنيات والده فقد خصَّص لها غرفة وحدها، ووضع بها كل المقتنيات بنفس الوضع الذي كانت عليه في الشقة القديمة، وأضاف لها كرسي والده المتحرك، وعلَّق فوقه صورة لوالده، أمسك بمقبض الحجر المخصصة للمقتنيات - بعد أن انتهى - وأمه من ترتيبها - ونظر بأسى إلى كرسي والده الراحل للحظات، ثم أغلق باب الحجر .

- روح بقى إدي فلوس للغلاية اللي تلاقيهم في الشارع.

قالتها له قبل أن يستريح؛ فنظر لها بإرهاق فردت عليه وهي تربت على كتفه :

- يابني أنت ربنا رزقك من وسع، يبقى ماينفعش تستخسر في الناس الغلاية ... ربنا بيرزق عشان

ندي مش عشان نبخل.

قام باستسلام وتوجه ناحية الباب وهو يتمتم :

- ماشي يا حاجَّة

- وماتنساش الواد ده اللي اسمه "مانُو" ... هو مش بعيد يعني.

التفت إليها وابتسم، ثم خرج من الباب، - وكما أمرته أمه - مر على كل شحاذ في الطريق وأعطاه بعض المال، ثم بحث عن "مانو" فلم يجده، دخل في الشارع الجانبي الذي رآه يدخل فيه المرة السابقة؛ حتى وجد طفلاً آخر يجلس على الرصيف ويأكل (قرصة) فتوقف "كريم" أمامه وأشار إليه؛ فلبى الطفل الإشارة وهو يشير بيده؛ فأعطاه "كريم" بعض المال وهو يسأله :

- انت تعرف "مانو" ؟
- أه يا باشا ... هو عمل حاجة ؟
- لا أنا بس كنت عايز أشوفه
- والله يا باشا هو مش ظاهر بقاله يومين.

هز "كريم" رأسه متفهماً، ثم انطلق بالسيارة ومر مسرعاً على صفيحة قمامة يتصارع عدة كلاب بشراسة على شيء فيها.

لم يلحظ ما يتصارع عليه الكلاب، ربما لو انتظر قليلاً لرأي الذراع الصغير الذي جذبته أحد الكلاب والدم يقطر منه، أو رأي قطع اللحم المتناثرة التي التقط كل كلب جزء منها، قطعاً ممزقة لجثة مسلوحة العينين والكليتين والقلب ..

جثة كان اسمها منذ يومين ... "مانو" .

خبايا الصدور

أمه الغالية التي لم يحب أحد سواها والتي كان يسر بالجلوس إليها والاستماع إلى حديثها المحبب له لولا مسألة الزواج.

كانت مشكلته الرئيسية مع أمه أنه ما أن بلغ سن السابعة والعشرين حتى ظلت تلح عليه في الزواج وتأتبه بالعروسة تلو الأخرى وهو دائم الرفض، وبعد ثلاث سنوات وما أن أتم الثلاثين من عمره حتى أخذ إلحاح أمه شكلا آخر أشد وطأة عليه.

فقد اعتاد أن تأتبه أمه بعروس كل أسبوع أو أسبوعين وتجبره على الذهاب للتقدم، وأمام إلحاحها لا يجد إلا الإذعان فيذهب معها، و كانت نتيجة المقابلات معروفة مسبقا بالنسبة له، لا بسبب موهبته فهي ليست مُطلّقة، ولكن بسبب معرفته بذوق والدته التي تصر على جره وراءها كلما رأت فتاة أعجبتها شكلا وتعرف أهلها، بدون أن تعرف ما تخفيه تلك الفتاة من علاقات سابقة أو حالية، لكن هو بمجرد مصافحة عروسة الغفلة كان تاريخها ينساب إلى عقله، ولم يرَ فتاةً تشجعه على الارتباط بها.

كانت فتاة أحلامه التي يبحث عنها كعروس البحر يظنها مجرد أسطورة لن يجدها مهما بحث، كان قد رسم لنفسه قبلا ملامح الفتاة التي لن يرتضي بغيرها زوجة.

"محجبة، جميلة، رقيقة، لا تنسى ملابسها في البيت وتخرج منه كأغلب الفتيات، على دراية بدينها؛ حتى تخرج له أطفالا على دين"، فقد كان معظم أطفال أصدقائه الذين رأهم مشروع مجرمي حرب أو من رواد الكباريات في المستقبل، والأهم من ذلك ألا تكون قد تورطت في أي علاقة حب قبله، فرجل بموهبته يرى ما رآته هي من أفعالها بمجرد لمسها فضلا عن الرؤى التي تأتبه من الممكن أن يصاب بالجنون إن لم يقتلها كلما رأى الماضي التعيس.

- يا ابني يا حبيبي اللي بتدور عليه ده مستحي.

أمه كعادتها كلما أحبت أن ترغبه في بنت صديقتها أو بنت خالته، كانت تلقي عليه الجمل المعتادة حتى فكر في مرة أن يسجل لها وكلما أحبت أن تتكلم معه في الأمر يشغل الكلام المسجل رافة بها وإراحة لرأسه من مواجهتها.

- يعني يا ابني هو في بنت مالهاش ماضي ولا حتى عمرها ما حبت ؟
- طيب وأنا ذنبي إيه يا أمي ؟
- مش ذنبك ولا حاجة، بس رجالة كثير عايشين كده وماحدش بيدور ورا مراته، وماشاء الله عايشين زي الفل ومراتتهم محترمين جدًّا
- عليك نور ... ماحدش بيدور لكن أنا الماضي وأحيانا المستقبل هو اللي بيدور علىّ غضب عنى وانتِ عارفة كده كويس
- الله يسامحك على الحكاية دي ... مش لو كنت من غيرها كان يبقى أحسن ؟
- هو أنا ذنبي إيه؟! أنت محسساني إني أخذت الموهبة دي في لبوسة مثلا
- وربنا أنت قليل الأدب.

تقولها وهي تحاول لطمه على وجهه بدعابة فيراوغها ضاحكا:

- الله يحفظك يا بطي
- يا ابني مفيش بنت كاملة
- لو مفيش يبقى مش هاتجوزز ... بس أنا هادور لحد ما ألاقها
- يبقى روح دور في جزيرة فاضية بقى.

وينتهي الحوار فترة قصيرة ليعاد بنفس تفاصيله مرة أخرى ما أن تجد أمه عروسة أخرى.

ولكنه أحس بطمأنينة عندما مر أكثر من شهر من غير أن تكلمه أمه عن الزواج ، وظن أن الأمر قد انتهى وأن اليأس منه قد أصابها أخيراً ... ولكن اتضح له أنه كان مخطئًا.

- تعالى يا "كريم"

قالتها والدة "كريم" وهو يوشك على الخروج من باب المنزل في أحد الأيام، فتسمر مكانه، فهذه اللهجة يعرفها جيداً ويعرف ما وراءها:

- أي خدمات يا أحلى أم ؟
- بقول لك تعالى هنا
- أصل ورايا مشوار مهم يا أمي، لما أجي ابقى أتكلم معاكي
- "كريم"
- لا إله إلا الله.

قالها وهو يتوجه نحوها متململاً، ثم جلس بجوارها على الأريكة:

- نعم يا ست الكل !
- عايزة أقول لك حاجة
- ياستي وربنا عارفها، سيبك مني الله يكرمك
- لحد إمتي يا ابني هاتفضّل من غير جواز كده؟ ده أنت بقيت ثلاثين سنة
- تحبي أكمل لك الكلام ولا تحبي تقوليه انت ؟
- عيب يا واد احترم نفسك
- ياست الكل أنا لما أشوف البنت اللي تعجبني هأعرفها ومش هاسيبها ... أوعدك
- لأ ما تتعش نفسك، أنا جايالك واحدة مافيهاش غلطة
- تاني يا أمي، مش كفاية اللي جبتيهم قبل كده؟
- المرة دي واحدة على ذوقي
- ما كلهم كانوا على ذوقك يا حاجة ... وكلهم كانوا زي ال ...
- زي إيه يا واد
- زي الفل طبعاً هو أنا هأقدر أقول حاجة، بس ياريت تعفيني
- أعفك ده إيه ؟ ده أنا وعدت واحدة صاحبتك إنك هاتروح تشوف بنتها
- يادي النيلة ... أنت بتجاملي بابنك يا حاجة

- "كريم" ... قلت إيه ؟
- قلت لا إله إلا الله
- تمام ... جهز نفسك يوم الجمعة
- مش لما أنزل اشترى فستان يليق بيا
- بطل خفة دمك دي واعمل حسابك على يوم الجمعة
- ماشي بس بشرط
- اشترط يا أخويا، ما أنا صاحبك مش أمك
- العفو يا ست الكل بس هو طلب صغير ... إنه لو ماحصلش نصيب تبقى دي آخر مرة،
وبعديها تسيبني براحتي
- ماشي يا "كريم"، أما أشوف آخرتها معاك
- قشطة عليك يا سكر.

ثم قام وقبل يديها واتجه مسرعا نحو الباب:

- سلام يا قمر
- الله يهديك ... وعليكم السلام.

"وفي اليوم الموعد"

- يالاً يا حاجة الله يكرمك
- ثواني يا واد لما البس
- تلبس إيه ؟ ده أنت بتسقطي الإسدال وشكرًا على كده
- إسدال إيه هو أنا رايحة عزا ؟

ثم خرجت عليه متأنقة على غير عادتها مرتدية ملابس ملونة لأول مرة منذ وفاة والده:

- إيه رأيك يا "كريم"
- هو أنت رايحة تظطبي عريس ولا رايحة تخطيلي؟

- احترم نفسك يا قليل الأدب
- ما علينا، يالاً بقي هاتآخر
- أد كده متشوق تشوفها
- لآ أد كده عايز أخلص علشان هتقابل مع أصحابي بعد كده
- طيب وربني نفسك كده.

أدراته بيديها وهي تتأمل ملبسه ووجهه:

- تحبي أخف الروح شويه يا حاجة ولا كده حلو
- بقول لك إيه ... بلاش خفة دمك واستظرافك ده قدامها
- ماشي.

ثم التقط بعض الأكياس قبل أن يتجه إلى الباب:

- تعالى هنا ... إيه اللي في ايدك ده ؟
- هاندخل على الناس فاضيين يعني
- أيوه يعني جايب إيه ؟
- كام كيلوا موز على سوداني لزوم الفشخرة
- الفشخرة ولا لزوم التطفيش ... رايح تخطب قردة ولا إيه !!؟
- والله هو ده اللي جه في دماغي بقي
- ماشي ... على العموم أنا عملت حسابي علشان عارفة حركاتك دي وجيبت كيلو شيكولاتة

ثم اتجهت إلى الداخل وأحضرت علبة مغلقة:

- يالاً نروح يا مستعجل
- طيب ما تجيبي واحدة
- يالاً يا "كريم"
- خلاص ما تزقيش

ثم فتح الباب وقال لها مداعبا وهو يهيم بمغادرة المنزل:

- خلي العلبه جنبك بقى علشان لو ماحصلش نصيب ناخذها واحنا ماشيين

وما أن وصلا إلى بيت العروسة " المرتقبة " حتى وجد والد الفتاة ووالدتها في استقبالهم؛ فصافحهم وجلس هو ووالدته في غرفة الاستقبال:

- منورة والله يا أم "كريم"، منور يا "كريم" يا ابني

- الله يخليك يا عمي

- آخر مرة شوفتك فيها كنت عيل صغير، سبحان الله كبرت دلوقت

- أه فعلا سبحان الله !

لم تمر دقيقتان حتى دخلت أم الفتاة بصينية عليها أكواب المياه الغازية:

- اتفضل يا حبيبي كأنك في بيتك بالطبط

- الله يخليك يا حاجة.

مرت لحظات صمت قطعها "كريم" في النظر إلى ساعة يده عدة مرات حتى قطعت أمه الصمت وهي تبسم

- أو مال فين سالي ؟ ... هي مش هاتيحي تنورنا شويه ولا إيه يا أم سالي ؟

- جاية حالا يا أم "كريم".

نظر "كريم" بابتسامة خبيثة إلى والد سالي الذي كان من الواضح تمللمه ورغبته في انتهاء الأمر سريعا:

- أنا حاسس إننا جاينين في وقت مش مناسب يا عمي

- لا يا ابني ده أنت تنور في أي وقت

- الله يخليك، بس يعني لو ورا حضرتك أي مشوار مفيش مشاكل احنا أهل يعني

نظرت والدة "كريم" إلى ابنها بجدة ودهشة

- عيب كده يا "كريم"، لو الراجل وراه حاجة كان قال
- لا طبعا يا أم "كريم" مفيش حاجة، هو بس للأسف صاحب الشغل كلمني ولازم أروح ضروري

قالها بحرج واضح

- لا يا اخويا شغلك أهم طبعا
- معلىش أنا آسف
- لا يا عمي ولا يهملك، ما تنساش الهدية بس
- هدية ! ... هدية إيه !!؟

قالها بفرح حاول أن يداريه في حين استمر "كريم" على نفس ابتسامته المستفزة

- قصدى الهدية لو كان مشوار الشغل النهاردة كان فيه حاجة كويسة ليك ... أكيد هايبقى بسبب
- وشنا الحلو
- آآآآه، ده أنا أجيب لك حلاوتك لحد عندك
- الله يكرمك
- بعد إذنك يا أم "كريم"
- تروح وترجع بالسلامة يا اخويا

ثم انصرف في حرج ثم تبعته والدة سالي حتى تستعجلها، ومال "كريم" على والدته وهو يضحك

- شوفي الراجل يا وليه، بيقول رايح الشغل وهو رايح عيد ميلاد واحدة زميلته مطلقة
- وليه يا قليل الأدب؟! ... ثم احنا مالناش دعوة وبطل تتدخل في عقول الناس يا زفت
- يسلم لسانك يا ست الناس ... بس مش بمزاجي والله
- آخرس بس، أهه سالي جاية، بس وغلاوتي عندك بلاش تسلم عليها
- يا أمي عيب ما يصحش
- أهلا أهلا يا حبيبتى، قمر ماشاء الله.

كانت هذه من والدته التي ما أن رأت الفتاة مقبلة حتى قامت تمسح وتبش في استقبالها.

كانت الفتاة جميلة بلاشك، ترتدي حجاباً على الموضة يكشف من شعر رأسها أكثر مما يخفي، وترتدي بنطالا غاية في الضيق لدرجة أن "كريم"، اعتقد في بادئ الأمر أنها رشّت لونهاً على نصفها السفلي من غير أن ترتدي شيئاً عليه.

قام "كريم" ليصافح الفتاة فاندفعت والدته مقاطعة:

- معلى أصل "كريم" متدين شويه ومش يبسلم على بنات
- لا معلى يا أمي، أنا تبت خلاص وباسلم دلوقت
- يا "كريم" ما يصحش
- طيب احضرينا أنت يا حاجة.

فندخلت والدة الفتاة وهي تربت على كتف "كريم":

- مالك يا أم "كريم" هو ابنك غريب يعني.
- مد يده يصافح الفتاة وهو يشد على يديها برفق ثم ابتسم بطريقة ساخرة أخفاها سريعاً:
- أهلاً أهلاً بيك يا سالي
- أهلاً بيك يا "كريم".

ثم جلسوا جميعاً يتبادلون عبارات المجاملة المعتادة حتى قامت والدته لتجذب صديقتها والدة سالي:

- تعالي نقعد في البلكونة، الجو هنا حرّ أوي
- ماشي تعالي
- بس ياريت تبطلوا تقطعوا في فروة الناس وانتم قاعدين
- بس يا واد احترم نفسك.

ثم التفتت إلى سالي ووالدتها معتذرة:

- معلش أصل "كريم" بيحب الهزار أوي
- ده "كريم" ابنك ده عسل، تعالي بقى ده أنا عايزة أرغي معاكي.

مرت لحظات طوال من الصمت كانت فيها الفتاة (سالي) خلالها تتطلع إلى قدميها أو تعبت بأظافرها، وظل "كريم" يتطلع إليها ويفكر في كيفية إنهاء المقابلة بأقل خسائر ممكنة؛ فقد كان الموضوع بالنسبة له منتهياً بعدما علم أنها تحب شاباً آخر تم رفضه قبل ذلك من والدها وأنها مثله مكرهة على هذه المقابلة، فجمع أفكاره ثم بدأ الكلام:

- عاملة إيه في الكلية يا سالي
- الحمد لله، تمام ... آخر سنة وربنا يعديها على خير
- جميل أوي حجابك ده
- الله يكرمك.

فأشار إلى خصلة شعرها التي تخرج من الحجاب وهو يبتسم ساخراً:

- بس غريبة، أول مرة أشوف حجاب نصه باروكة
- باروكة ! ده شعري.

قالتها وهي تتحسس خصلة شعرها في حين ابتسم هو بطريقته الساخرة:

- آه معلش ... يبقى أكيد طلعت غضب عنك.

اكتفت بأن نظرت إليه بضيق بالغ حتى أحس أنها ستتهجم عليه وتفترسه:

- أكلمك بصراحة ولا تحي ألف وأدور
- أفندم !؟
- عارفة، أكثر شعور رخم إن البنت تلاقى أهلها بيتحكموا فيها ويجبروها إنها تتخطب لحد وهي بتفكر في حد تاني
- مش فاهمة !

- انت مجبرة على قعدتك معايا دلوقتِ .

ابتسمت في صمت ثم قالت:

- أنا مش فاهماك بصراحة !
- يا بنتي اعتبريني أخوكي الكبير وانسي موضوع الخطوبة ده خالص
- طيب أنت عايزني اعمل إيه مش فاهمة؟!
- كلميني عن "باهي" شويه
- "باهي" ! أنت بتتكلم عن إيه؟!

تراجع في مقعده وهو يضحك:

- ثاني ؟ ... ما احنا قلنا نتكلم بصراحة علشان أعرف أساعدك
- انت عرفت إزاي أصلا ؟ هي ماما قالت لمامتك ؟
- أيا كان، المهم إني عرفت وخلص، وحابب أساعدك
- تساعدني إزاي؟!
- بالعقل كده ينفع حد يروح يتقدم لبنت وهو مش شغال ؟ أو يقول لأبو البنت إن أهله هيساعدوه ؟
- هو قال كده فعلا ... أنت عرفت إزاي؟!
- مش المهم عرفت إزاي، إنما المهم أساعدك إزاي؟!
- هاتساعدني إزاي؟! وهو مش لاقى شغل والله
- بس كده ... طيب خدي رقمي وخليه يكلمني وأنا هاشوف له وظيفة بمرتب كويس في الشركة اللي أنا فيها، وبعد كده يقدر يتقدملك .

ثم أخرج كارتا شخصيا به بياناته كلها وأعطاه إياه:

- بس بالله عليكِ خليه يسترجل شويه
- إيه !

- يعني ماحدث بيروح يتقدم لواحدة وهو لابس قميص مشجر وفيه أحمر ... مش رايح فرح هو

ضحكت! وهي تتأمل الكارت:

- ماشي ... أنت طيب أوي على فكرة
- كلهم يقولوا كده
- طيب هقول إيه لما هو وهي نفسها خطوبتي ليك تتم!!؟
- قوليلها إني دمي تقبل أو قليل الأدب أو سخييف ... أنا مسامحك في أي حاجة تقوليها
- ربنا يخليك يارب ... أنا نفسي اعمل لك أي حاجة
- لو كوابية مياه تبقي خدمتيني أوي
- من عينيه
- لأ من التلاجة.

ثم جلسا بضع دقائق يتكلمان عن دراستها وعمله، ولما أزف الوقت:

- رقمي معاكي، لو محتاجة أي حاجة كلميني
- تسلم لي يارب
- يالاً روحي بقى ادخلي أوضتك كأنك متدايقة علشان عندي ميعاد مع أصحابي
- ماشي ... أنا أصلا قلت لواحدة صاحيتي تيجي علشان أبين لك إني قليلة الذوق بس انت طلعت أبو الكرم كله.

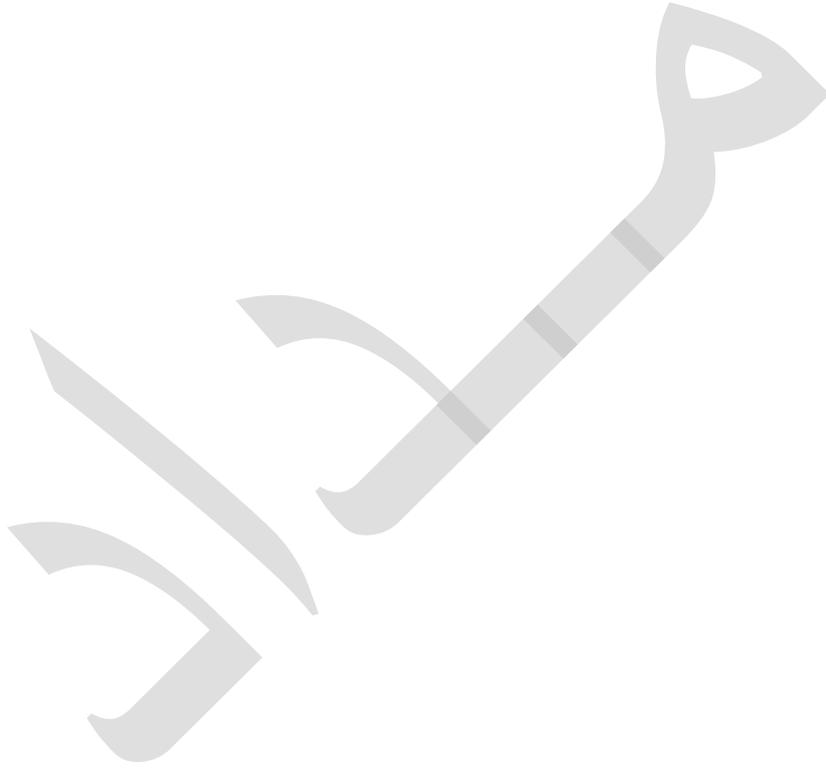
ثم صافحته وانطلقت إلى غرفتها، ولم تمر دقيقتان حتى أتت والدته وهي تنظر له بغضب:

- عملت إيه معاها يا زفت!؟
- ولا حاجة يا حاجّة، بس للأسف مفيش نصيب
- ماشي يا "كريم"، دايمًا كده كاسفني.

ثم ذهبت إلى والده سالي تستأذنها في الانصراف متحججة بتأخر الوقت، وواعدة إياها بزيارة أخرى؛ ثم انطلقت هي و"كريم" ناحية الباب للمغادرة، وما ان هموا بالخروج حتى وجدوا فتاة محجبة جميلة نحيلة

واسعة العينين تقف أمام الباب وهي تستعد لطرق الباب؛ فابتسمت في حرج وهي تمر بجانب والدة "كريم"، وما أن مرت بجانب "كريم" ولامست أصابعها أصابعه مصادفة حتى انسابت رؤى كثيرة في عقل "كريم" عنها، ولأول مرة يشعر بنشوة عجيبة تسري في أوصاله وبدون أن يدري قال لها فجأة :

- ممكن آجى أخطبك؟



هي

"تقى" ... ما أجمله من اسم!!

هكذا حدث نفسه.

لأول مرة في حياته يقابل فتاة لم تكن لها علاقات سابقة أو حالية، لأول مرة يجد فتاة نقية السريرة لا تفكر إلا في استذكار دروس الجامعة والمحافظة على دينها، وتجمع في نفس الوقت بين الجمال والحياء، أسرتها طيبة، لم يتورط أي أحد من أفرادها في أي عمل مشين، أو يسمع عنهم أحد سكان المنطقة أي سوء. كانت معرفته بطروفها وكل شيء عنها بسبب الرؤى التي انسابت إلى عقله عندما تلاقى أطراف أصابعهما، وعندما استفسر عن كل شيء يخص أهلها عن طريق معارفه وأصدقائه طوال أسبوع كامل:

- يا سالي دببريني.

كان بالطبع تصرفه معها غريباً ويثير الدهشة؛ خاصة وأنه طلب خطبتها ولم يمر على رؤيتها إلا دقيقة، وأي فتاة في موقفها ستظن أن به مساً من الجنون، حتى والدته التي تعلم قدرات ولدها جيداً ما أن نطق جملته "ممكن أجي أخطبك" حتى فغرت فاها بانزعاج كأنها لا تصدق ما سمعت، أما عن موقف الفتاة فحدث ولا حرج.

اضطربت بشدة، وأخذت تنظر له بدهشة وهي تبتعد عنه ووجهها ناحيته قبل أن تسرع الخطى إلى غرفة زميلتها كأنها تفر من مجنون، وبعد أسبوع من جمع المعلومات عنها ومحاولات مقابلتها؛ لكي يوضح لها موقفه - والتي باءت جميعها بالفشل وقوبلت منها بالرفض التام - وهو نفسه يدرك أن معها الحق في ذلك ... فكر أن يلجأ للفتاة التي قدم لها يد المساعدة، فأخذ من والدته رقم هاتفها:

- أدبرك إيه يا ابني

- شو في لي طريقة ... أنا فعلا عايز أخطبها

- وهو اللي عايز يخطب واحدة يعمل كده!؟

- معلىش أنا اتسرعت ... خليك جدعة بقى، مش هي صاحبك "الأنتم" برضه؟

- أيوه يا سيدي، بس البت افتكرتك مجنون وده حقها بصراحة
- سالي
- ياعيون سالي
- اتصرفي يا حاجّة، ده أنا كنت جدع معاك
- طيب.. اديني كام يوم أظبط لك الموضوع
- ماشي بس ياريت تنجزي.

أغلق الهاتف وعقله يشتعل من كثرة التفكير:

أمضى الأربعة أيام التالية يشغل نفسه في عمله، جسده يتحرك ولسانه يتكلم، وعقله يخلق معها.

من الجنون أن يقول لأحد أنه أحب فتاة رآها لمدة دقيقة، ولكنه بالفعل أحبها، الرؤى التي استقرت في عقله يراها باستمرار رغما عنه، ينام فيحلم بها، يستيقظ فيتذكرها وهي تستعد للاستيقاظ، يراها جالسة مع زميلاتها تتبادل معهم الطرائف ويضحكن عليها، يراها جالسة في بيتها تستذكر دروسها، شعر كأنه سيفقد عقله إن لم تجب طلبه.

أربعة أيام مرت عليه كأنها أربعة أعوام، أكثر من مرة فكر في أن يذهب إليها في الجامعة، ولكنه كان يحجم عن ذلك بصعوبة... وأخيراً أتته المكالمة التي ينتظرها:

- أخيراً يا جزمة اتصلي؟!!
- أنا جزمة يا "كريم"... طيب شوف حد غيري يظبطلك موضوعك يا حبيب
- آسف آسف، ده أنت سكر... قولي بقي
- بص يا سيدي
- بصينا
- هي البنت كانت مقلقة منك بسبب طريقتك العبقرية اللي عملتها، بس أنا فضلت أزن على دماغها التلات أيام اللي فاتوا، وأكلمها عن جدعتك وشهامتك، وحكيت لها عن اللي عملته معايا أنا و"باهي"، وبررت لها موقفك إنك أعجبت بيها جداً لما شوفتها

- الله يكرمك، أيوه كده
 - من هنا هنا وأنا باكلمها ليل ونهار عنك البنت بدأت تميل شوويه، بس لسه ما قالتش حاجة مفيدة
 - نعم يا اختي كل ده وبرضه ما قالتش حاجة!؟
 - يا ابني العملية مش سلق بيض
 - طيب وأنا اعمل إيه دلوقت
 - هو في حل أنا شايفاه ظريف، أنا هاخرج معاها بعد بكره، وهانروح نقعد في مطعم، ممكن تيجي كأنك جاي بالصدفة وأخليك تقعد معاها
 - اقعد معاها إيه، أنا يابنتي عايز أخطب مش أظبط
 - والله هي دي الطريقة الوحيدة يا أمور، اقعد معاها واتكلم وبعد كده أخطبها براحتك، لما البنت تقنتع بيك ... عاجبك ولا مش عاجبك؟
 - عاجبي يا مفترية
 - أيوه كده ... خد بقى التفاصيل.
- ثم أملت عليه الموعد والمكان الذي ستلتقيها فيه:
- ظبط حالك يابن الحلال ... قشطة؟
 - قشطة ... صحيح إيه أخبار الباروكة اللي لازقة في الطرحة، شيلتيها ولا لسه مدلدلة!؟
 - مالکش دعوة يارخم وخليك في حبيبة القلب ... يالاً سلام
 - سلام.

أغلق الهاتف وهو يردد بخفوت:

- يارب قرب البعيد.

ثم تمدد على سريره يتخيل لحظة لقائها، سيجلس بجانبها، لا لا بل أمامها حتى لا تظن به السوء، سيبتسم ابتسامة خفيفة، وسيعتذر لها عما بدر منه وسيقول سيقول ... سيقول ... سيقول ... خخخخخ

ولم يدرِ بنفسه؛ فقد استسلم جسده للنوم وعقله للأحلام.

وقف "كريم" أمام المرأة يتأمل مظهره ويتأكد أن شكله وملابسه على أفضل حال.

كان قد ارتدى قميصًا مفتوحًا تحته تيشرت وبنطال جينز أزرق اللون، وصفف شعر رأسه بعد إضافة الكثير من الكريمات:

- الله عليك يا أمورة، إيه يا واد أنت قلبت ولا إيه!؟

كانت هذه من أمه التي لاحظت تغير أحواله منذ أن رأى "تقى" صديقة الفتاة التي أرادتها زوجة له:

- أهلا يا حاجة، هو غلط أظبط نفسي يعني؟ والا تحبي أنزل بالبيجامة؟

- مش عوايدك يعني تقف قدام المراية كل شويه قبل ما تنزل تقابل أصحابك ... متأكد إنك هاتقابل أصحابك؟

- طبعا يا حاجة، هو أنا عمري كدبت عليك؟

نظرت له بشك غير مصدقة لما يقول:

- الله أعلم، يارب تبقى من حظك ونصيبك

- هي إيه دي يا حاجة؟

- أصحابك طبعا.

قالتها وهي تضحك قبل أن تتركه وتذهب لمتابعة المسلسل التركي في حلقاته الـ 560 تقريبا، في حين أنهى هو ارتداء حذائه وانصرف من البيت مسرعا ... فقد حان اللقاء.

قاد سيارته ماركة "كيا سيراتو" السوداء بسرعة جنونية حتى قطع الطريق من بيته إلى المطعم الذي ستلتقي فيه "سالي" بفتاة أحلامه "تقى" في نصف ساعة، ثم أوقف سيارته وتأكد من أن مظهره لم يتغير، ودخل

إلى المطعم يجول بنظره بين الطاولات يبحث عنهم حتى وجدهم على اليمين في آخر طاولة، فتقدم ببطء كأنه يبحث عن طاولة له حتى وصل إليهم ورسم على وجهه نظرة ذهول بلهاء:

- مش ممكن ... سالي و"تقى" مرة واحدة؟

- كريبييم، إزيك؟

تظاهرت "سالي" هي الأخرى بالدهشة من رؤيته إلا أن "تقى" استشفت ما يحدث فطلت على حالها من الصمت وقد ضيقت عينيها وهي تنظر إلى صديقتها "سالي" بتوعد، ثم أشارت "سالي" إلى "كريم" حتى يجلس معهم على الطاولة:

- إزيك يا "تقى"؟

- بخير الحمد لله.

أشاحت بوجهها تجاه الجانب الآخر في علامة ضيق مما فعلته صديقتها بها، فحاولت "سالي" تلطيف الجو:

- شوفي يا "تقى" الصدف، مطعم أول مرة تعزميني فيه نقوم نقابل فيه "كريم" !!!

نظرت إليها "تقى" وهي ترسم على شفيتها ابتسامة مفتعلة:

- آه سبحانه الله!! ... فعلا ربّ صدفة خير إن شاء الله

- وانت بقى يا أستاذ "كريم" متعود تيجي هنا؟

- المطعم ده واحد من أفضل المطاعم اللي متعود أتعدى فيها، بس مش بصفة منتظمة للأسف

علشان ظروف الشغل اللي أحياناً بيضطرني أسافر

- الله يعينك ... على كده بقى انت عارف المنيو بتاع المطعم هنا؟

- إيه هاتختريني مثلاً؟

- لا سمح الله ... أنا أقدر برضه؟

فتدخلت "سالي" في الحوار:

- إيه يا جماعة شغل الحضانة ده؟! ... ما تكبرى بقى يا بنتي
- حضراتكم تطلبوا إيه؟

كانت هذه من النادل الذي وقف بجانب "كريم" حاملا قائمة الطعام الخاصة بالمطعم وقيل أن يقدمه لهم قاطعته "تقى" ضاحكة:

- لا لا من غير منيو ... الأستاذ هنا حافظ المنيو بتاعتكم وهايطلب لنا من غيرها.

ابتسم "كريم" فالبرغم من سذاجة الحوار الذي لا يستحق التفكير؛ الا أنه سيتجاوزه، وتجاوزه أسهل ما يكون فهو من ذكرياتها التي رآها يعرف ما تحبه ونفس الأمر بالنسبة لـ "سالي"، أما عن قائمة الطعام فكل ما عليه أن يلمس يد النادل ولو للحظة واحدة حتى تكون كل القائمة قد انسابت إلى رأسه.

رد "كريم" على ضحكتها بابتسامة واسعة، وهمّ أن يمد يده ويأخذ قائمة الطعام من النادل ولمس يده كأنها رغما عنه ثم وضع القائمة على الطاولة:

- خدى يا ستي المنيو اللي مدايقك ... بس خايف ذوقي ما يعجبكيش
- لا ما تقلقش أنا موافقة على أي حاجة.

ثم التفتت إلى النادل مبتسما وقال وهو يشير إلى "تقى":

- بالنسبة ليا و للآنسة هنا ممكن تجيب لنا 2 Veal Piccata مع 2 Cream of mushroom soup

ثم أشار إلى "سالي":

- والآنسة هنا Veal Alaska مع Nicoises salad

دون النادل الطلبات ثم التفت إلى "كريم" مرة أخرى:

- أي طلبات تانية يا أفندم
- بالنسبة ليا لأ، بس ممكن نشوف الآنسات هنا.

كانت " سالي " و"تقى"تنظران إلى "كريم" بدهشة، ليس لأنه يعرف قائمة المطعم، ولكن لأنه طلب ما كانتا سيطلبان، ولما سألهم النادل عن أي طلبات أخرى أجابنا بالنفي، فالتفت "كريم" إلى "تقى" وهو يبتسم وقد استشف ما يدور في ذهنها :

- هاه كنا بنقول إيه بقى ؟

كتمت " سالي " ضحكتها قبل أن تغطي جانب وجهها بيدها وهي تنظر إلى "تقى" وتخرج لها لسانها لإغاظتها، بينما استمرت "تقى" على نفس حالة الدهشة، وإن حاولت إخفاءها:

- انت عرفت أنا عايزة إيه إزاي ؟

- أنا مش عارف انت بتحبي إيه، أنا طلبت ليك اللي أنا بجه.

عشر دقائق قطعوها في أحاديث لا صلة لها ببعض، يخرج من موضوع فيتحدث في الآخر كيفما اتفق، حتى أتى النادل بالطعام، وبعد الانتهاء من الغداء ورفع الأطباق مرت عدة دقائق كانت "سالي" تتحدث إلى "تقى" بصوت خافت؛ فلما أحس "كريم" أن الوقت طال التفت إلى " سالي " وثبت نظره إليها فنظرت إليه بحرج:

- إيه يا "كريم" ؟ فيه حاجة ؟

- لا خالص، المهم أخبارك إيه ؟

قالها وهو يضغط على حروف الكلمات فنظرت إليه باستغراب:

- أخباري ؟

ثم تنبته أن السبب الرئيس لوجود "كريم" هو أن تفسح له المجال مع "تقى" حتى تستطيع أن تتعرف أكثر على "كريم" وتحدد موقفها؛ فقامت من مقعدها وهي تبتسم:

- آه صحيح... معلش يا جماعة، استأذنكم عشر دقائق

- رايحة فين يا بنتي.

قالتها "تقى" وهي تشبث بذراع "سالي" فسحبت الأخيرة ذراعها برفق وهي تغمز لها:

- مكاملة مهمة مع خطيب المستقبل ... إيه عندك مانع؟
- لا ياستي ما عنديش، بس تعالي بسرعة.

ابتسمت "سالي" إلى "كريم" مشجعة إياه وانصرفت، وما أن التفت إلى "تقى" حتى يبدأ معها الحديث، حتى وجدها قد أمسكت بهاتفها وظلت تعبت به وهي تتحاشى النظر إلى وجهه:

- بصي يا "تقى"
- اتفضّل سامعك
- اعتقد الأفضل إنك تسيبي الموبايل علشان أعرف أتكلم.

ثم أعقب مقولته بأن جذب الهاتف من يدها برفق شديد ووضعها جانبا، فنظرت إليه وقبل أن تتكلم أشار لها مبتسما:

- قبل ما تقولي أي حاجة، ممكن تهدي شويه ونتكلم بالراحة؟
- ملأت صدرها بالهواء كأنها تستجمع شتات نفسها:

- بص يا أستاذ "كريم"

قاطعها بسرعة:

- أعتقد "كريم" من غير أستاذ هاتبقى أفضل
- ماشي، المهم بقى وسامحني يعني أنا مش بحب اقعد مع حد غريب لوحدي ... وأظن إنك المفروض تقدر ده؟

- طبعا مقدر، وعلشان كده نفسي أتكلم معاكي علشان بعد كده تبقى قعدتك معايا عادية
- مش فاهمة
- لأ إنتِ فاهمة كويس يا "تقى" أنا عايز أرتبط ببيك

فردت عليه بجدة :

- ترتبط بيا إزاي؟! هو أنت تعرف عني إيه أصلا!؟
- تعرفي، بالرغم من إني مش بحب كلام الأفلام، بس أنا أول ما شوفتك حسيت إنك البنيت اللي بأدور عليها.

فتراجعت في مقعدها وهي تبتسم:

- أهّا... أنت من الشباب اللي بيهتموا بالجمال الشكلي بغض النظر عن المضمون!
- لأ طبعاً، ولو كنت باهتم بالجمال الشكلي كنت ارتبطت بـ " سالي " لأنها جميلة، واعتقد إنها حكيت لك اللي حصل لما رححت قابلتها؟
- آه حكيت لي... طيب بالنسبة لتصرفك الغريب!؟
- مش غريب ولا حاجة، بس أنا مش حابب إني أحرم اتنين من بعض مجرد إني عريس جاهز وهو لسه شاب بيكوّن نفسه
- بس برضه تصرفك معايا غريب، ثم إيه يضمن لك إني أنا كمان مش مرتبطة عاطفياً بجد!؟
- لأ أنا متأكد إنك مش مرتبطة، طريقة نظراتك وحيائك يقول إن علاقتك بالرجال حتى الآن مجرد تعاملات سطحية
- يا سلام!؟!! وده عرفته من أول دقيقة شوفتني فيها!؟!!
- أنا يا "تقى" بتعامل بقال لي سنين مع ناس كتير، ومر عليّ كل الشخصيات اللي تتخيلها، ومن نظرة أقدر أفهم اللي قدامي كويس
- بس برضه ده ما يمنعش إنك ما تعرفش عني حاجة.

مال بجسده وهو يبتسم لها:

- ما أنا حابب انتهاز الفرصة دي علشان أعرفك، والأهم إنك تعرفيني كويس
- سالي حكيت لي على كل حاجة عنك

- تمام بس المعلومات العامة دي عن شغلي ووضعي وخلافه حاجات ماتكونش انطباع كامل عني، أنا نفسي تعرفي إن كل تصرفاتي لا تخرج عن حسن النية والصراحة ... ده اللي نفسي أوصله ليك.

رشفت رشفة من كوب المياه الموضوع أمامها وصممت كأنها تبحث عن أي شيء تقوله ثم قالت:

- معنى كده إنك عايز يبقى فيه مقابلة واتنين!؟

- لا والله، أنا حابب تعرفي كل حاجة دلوقتِ والمقابلة الجاية تبقى في بيت أسرتك

- بالسرعة دي؟

- تقى

- نعم

- أنا عايز أخطبك.

قالها ببطء فابتسمت رغما عنها ونظرت إليه بإحراج، ثم حاولت أن تمد يدها إلى هاتفها لتعبث به، إلا أنه جذب الهاتف بعيداً عنها:

- يا بنت الحلال أنا صريح معاك، ومش بحب اللف والدوران وأنا متأكد إنك حاسة بده

- ومتأكد إزاي بقى!؟

قالتها بصوت خافت مليء بالإحراج؛ فاتبعت ابتسامته وهو يضع يديه على الطاولة:

- قلت لك أنا أقدر أفهم اللي قدامي من نظرة

- شكلك واثق أوي من نفسك!

لم يرد على جملتها على الفور، واكتفى بأن ثبتَّ نظره إلى عينيها قبل أن يقول:

- "تقى"

- نعم

- أنا عايز أخ ط ب ك ... طبعا أنا مش متوقع رد دلوقتٍ وإلا ابقى ماعنديش ذوق، بس أتمنى إنك تفكري كويس، وأنا متأكد إنك مش هيرضيكِ تكسري قلبي الضعيف.

أفلتت منها ضحكة من قولته:

- كل ده وقلبك ضعيف!؟
 - آه وربنا، ده أنا قلبي قلب خساية
 - ما أنا واخدة بالي أهه
 - "تقى"
 - إيه الأخبار يا جماعة؟
- كانت هذه من "سالي" التي عادت فانتفض "كريم" من المفاجأة؛ فضحكت "تقى" بشدة هي و"سالي" التي جذبت مقعدها وجلست:

- إيه يا "كريم" مالك؟ ... معلى اتأخرت عليكم.

فنظر لها "كريم" وهو يضيق عينيه:

- بالعكس ده أنت جيت بسرعة أوي، إيه لحقتِ اتكلمت؟
- آه يا سيدي ودينا خناقة كالعادة
- طيب ما تقومي تصالحيه.

فتدخلت "تقى" في الحوار وهي تضحك:

- ما تسمعيش كلامه يابت، استني لما هو يصالحك
- إيه الشر ده يا "تقى"؟!؟
- احنا بنحب نخدم بس.

أخذت "سالي" تنظر إلى "كريم" و"تقى" وهي تبتسم بجنب:

- الله الله، ده انتم انسجتم مع بعض أوي
- بس أنت الله يسامحك قطعتي الآسجام ده ... مش ناويه تصالحيه ؟
- لا يا أخويا أنا هاسمع كلام "تقى"
- ماشي يا سالي، تتردد لك قريب
- كفاية كده بقى.

قالتها "تقى" وهي تجذب حقيبة يدها وتستعد للمغادرة؛ فقال لها "كريم" بصوت متهدج :

- بالسرعة دي؟!
- معلىش بقى، أحسن أنا كده اتأخرت أوي
- طيب اوصل لكم ؟
- لا ياعم مش هاينفع، احنا هانركب تاكسي من قدام المطعم.

ثم أشارت إلى "سالي" التي قامت بالفعل:

- يالاً يا حاجة.

ثم أخرجت بعض المال من حقيبتها وهي تحاول منأداة النادل من أجل الحساب، فاحتد "كريم" عليها رغما عنه:

- انت بتعملي إيه ؟
- إيه ؟ هادفع الحساب بتاعنا
- انتِ هاتهنري والا إيه ؟

ثم التفت إلى "سالي" موجهها لها الكلام:

- إيه يا سالي ما تتكلمي؟
- عيب كده يا "تقى" يعني بنت تحاسب وفي راجل موجود؟!
- بس هو مش عازمنا، و"كريم" جه صدفه ... مش صدفه برضه يا "كريم" ؟

ذاب في ابتسامتها، ولكنه تمالك نفسه وأجاب بنفس اللهجة المختدة:

- صدفة مش صدفة، ما ينفعش اللي بتعمله ده.

ثم أشار إلى النادل ودفع الحساب، وقام معهم حتى خارج المطعم وأوقف لهم سيارة أجرة، وقبل أن تستقل "تقى" السيارة وقف أمامها:

- "تقى"

- لأ احنا في الشارع.

تلفتت يمنة ويسرة في اضطراب؛ فعاجلها بتوسل:

- طيب آخر حاجة هقوله

- إيه؟

- مستني ردك

- طيب

- ياريت ما تتأخريش.

هزت رأسها في حياء وابتسمت له مودعة ثم ركبت السيارة هي وصديقتها، وما أن انطلقت السيارة بهم حتى ضم قبضته وأشار بعلامة الفرح وهو يهتف:

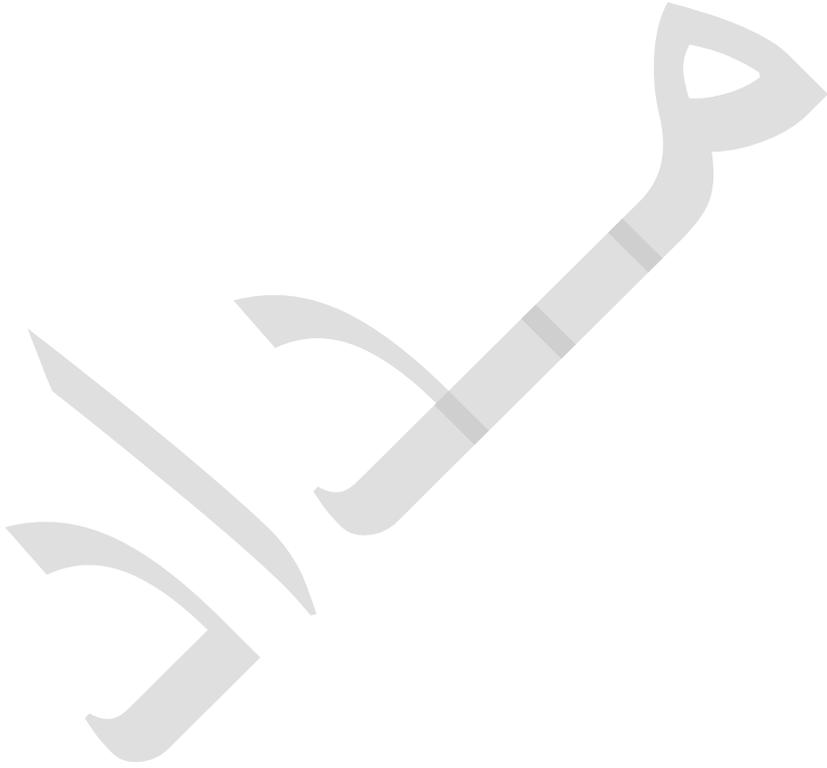
-يس يس.

لم يدرِ بالمدة التي ظل واقفا فيها في مكانه يتأمل المكان الذي كانت فيه منذ لحظات، ولم ينتبه إلا عندما صدمه أحد رواد المطعم، فتحرك من مكانه متوجها نحو سيارته ببطء كالزومبي، وجلس في مقعد السيارة، وأدار المذيع وأخذ يبحث عن محطة الأغاني فوجد أغنية العندليب الاسمر " له له كلها بكرة بس وبعده واللي وعدني هايوفي بوعده له له " فاستبشر بذلك خيراً ثم انطلق بالسيارة وهو يردد مع العندليب:

- له له كلها بكرة بس وبعده واللي وعدني هايوفي بوعده له له

ثم تتم بحفوت وكأنه يرد على العندليب:

- بس ياريت قبل كده يا حُلم ... ياريت.



وفجأة ... استيقظ من نومه

وظل صوت الأزيز موجودا، فالتفت "كريم" ليجد أن مصدره هو المنبه، فطوحه بيده وحاول أن يعود إلى النوم؛ لعله يستكمل حلمه ولكن دون جدوى، فنفض عن نفسه الغطاء بعدما طار النوم من عينيه وقام ليستعد للذهاب إلى العمل وهو يغمغم بضيق :

- طالعالي بحجاب وآخري أبوس إيديها ! ... حتى في أحلامي مؤدب !!؟

ولكن ابتسامه أفلتت منه عندما تذكر الحلم، ولم ينكر على نفسه السعادة فهذه كانت من المرات القلائل التي يرى فيها حلما عاديا كباقي البشر.

وصل إلى عمله والسعادة تشع من وجهه؛ فأخذ يلقي السلام على كل من يقابله وهو يداعب هذا ويضحك ذاك، حتى وصل إلى مكتبه الذي يشاركه فيه ثلاثة آخرون رجل وامرأتان؛ فألقى السلام عليهم وهو يمازحهم :

- "هايدي" أخبارك ؟

- تمام يا "كيمو"

- إيه اتطلقتي من جوزك ولا لسه ؟

فتنهدت بجرارة :

- والله لسه، أما أشوف آخرتها معاه إيه ؟

- قلت لك قبل كده، هما شويه سم فران وموضوعك يتحل

- آخرس، ده أنا لسه بشبابي وحلوة ... عايزني أضيع نفسي علشان واحد زي ده ؟!

قالتها وهي تشير إلى قوامها المشقوق، فتركها وجلس على مكتبه وهو يضحك:

- براحتك ... أنا نصحتك وخلص.

ثم رفع سماعة الهاتف واتصل بالأوفيس بوي:

- (النسكافيه) بتاعى يا "أشرف"

ثم أغلق الهاتف وأجرى اتصالاً بأحد مرؤوسيه :

- هاني، صباح الخير يا حبيبي

-

- أخبار تقرير مبيعات السنة اللي فاتت اللي طلبته منك إيه ؟

-

- طيب الساعة دلوقتٍ 10 قدامك ل: 30: 10 ويكون التقرير قدامي

-

- مش مشكلتي، التقرير المفروض أقدمه للمدير العام الساعة 11

-

- سلام.

وضع السماعة وأخذ يرشف من كوب (النسكافيه) الذي أتى به الأوفيس بوي، وأراح ظهره على المقعد وهو يتفكر فيمن شغلت قلبه وفكره.

بعد ساعة كان يقف حاملاً تقرير المبيعات أمام باب المدير العام يطرق عليه، وانتظر حتى أذن له الأخير بالدخول، كان مكتب المدير كبيراً جداً، وعلى يمين المكتب توجد ماكينة خاصة للقهوة تم شراؤها خصيصاً له، في حين جلس المدير البدين نوعاً والذى تجاوز الستين من عمره على مقعده في آخر الغرفة؛ فقطع "كريم" المسافة التي تفصل بينه وبين المدير بخطوات واسعة وهو يبتسم :

- صباح الخير على أحلى مدير عام في الدنيا

- صباح الخير يا "كريم"

- ده أنت منور النهاردة يا أفندم.

فتراجع المدير في مقعده وهو يضحك بشدة حتى أخذ كرشه في الاهتزاز:

- انت واد أونطجي أساسا ... المهم جيت في وقتك
 - تؤمرني يا مستر "مظهر"
 - الإدارة في دبي كلمتني ومحتاجين تقرير بمبيعات السنة اللي فاتت
 - يا أفندم حضرتك قبل ما تفتح عينك التقرير يكون قدامك.
- ثم أعقب مقولته بأن أخرج التقرير من الملف الذي في يده، وقدمه لمديره الذي أخذ يتطلع للتقرير، وهو مبتسم ابتسامة يشوبها الرضا:
- والله يا "كريم" أنا باستغرب أنت إزاي بتجهز التقارير قبل ما أطلبها
 - يا أفندم الموظف الناجح لازم يبقى مجهز كل حاجة.
- وضع مديره التقرير وهو ينظر إلى "كريم" لحظات في صمت قبل أن يقول:
- انت ليك اتصالات بالإدارة في دبي يا "كريم" !؟
- فهز "كريم" رأسه بشدة نافيا :
- يا أفندم أنا ما أقدرش أتخطى حضرتك أبدا، كل الحكاية إني عندي حدس لا يخطئ، علشان كده يبقى مجهز كل حاجة ممكن حضرتك تطلبها قبل ما تطلبها.
- فابتسم مديره بحنان أبوي:
- طيب خلي بالك علشان اللي بيزنوا على ودي بكلام عليك كثير، وكلهم عايزين يوقعوك
 - طيب و حضرتك مصدق الكلام ده ؟
 - لو مصدقه ما كنتش قلت لك يا "كريم"
 - ربنا يكرمك يا أفندم.
- ثم استأذن في الانصراف وصعد إلى مكتبه ليستريح على مقعده مطلقا لأفكاره العنان فقد أنجز عمل اليوم مقدماً.

تشاغل باقي وقت العمل وبين الحين والآخر يتفحص الهاتف لعله يجد مكالمة تريح قلبه، وقبل انتهاء العمل بقليل لم يستطع المقاومة فاتصل برقم " سالي " ولكن كان الرد دائما منها هو رفض المكالمة، حتى انتهى العمل، وقبل أن ينطلق بسيارته وجد اتصالا منها:

- إيه يا بنتي، ينفع كده؟!!
- معلش والله أصلي كنت معاها
- طيب إيه الأخبار ؟ طمنيبي
- مممم، بصراحة من غير زعل ؟

أحس بخيبة أمل آتية في الطريق فخفت صوته، وقال بقلق:

- من غير زعل إيه ؟
- للأسف يا "كريم"، شكل البنت أعجبت بيك.

أحس كأن جسده قد تم انتشاره من سابع أرض؛ ليرتفع ويرتقي في السماء:

- بتهزري !
- لو عايزها هزار ماشي
- طيب إحكي لي
- مش عارفة بس البنت من ساعة ما سبناك، وهي مش بتتكلم غير عنك، وحتى النهاردة طول اليوم وهي فلقت دماغى بسيرتك ... أنت عملت معاها إيه يا ابني ؟!
- الله يطمنك يا شبيخة
- أي خدمة يا سيدي
- طيب اعمل إيه دلوقت، أقول لك هاتي رقم تليفونها
- لأ ما أقدرش دي كانت تقطعني، لازم استأذنها الأول
- طيب انجزي بالله عليك
- من عينيه، لما أروح هاكلمها واقول لك النتيجة.

أغلق هاتفه وانطلق بسيارته يدندن بأغنية عبدالحليم:

" له وابتديت اسمع ف قلبي لحن حب جديد عليّ

سمعت منها كام كلمة ما قالتش منهم ولا كلمة

بس انا حسيت ولأول مرة باعيش وباحس

ولقيتني بادوب في كلام الهمس اللي مالوش حس له "

كان عقله يرسم له أجمل الأحلام، وقبل أن يصل إلى بيته ببضعة شوارع، سطع نور قوي أمام عينيه قبل أن يختفي، ويختفي معه كل شيء آخر.

كان بعد فترة من التدريب قد أصبح قادرًا على منع الرؤى في الوقت الذي يريد؛ خاصة وقت القيادة، ولكن -ورغمًا عنه- اختفى كل شيء من أمامه، وبدلاً من أن يرى مكاناً آخر لم ير سوى الظلام، ولا شيء آخر، فاختلت السيارة به ولم يدرك ماذا يفعل فاندفع يميناً بأقصى سرعة و أوقف السيارة بعدما شعر أنه اصطدم بشيء ما على الجانب الآخر، ثم وضع رأسه على مقود السيارة وقد شعر بأن وجهه بارد جداً، كأنه موضوع في ثلاجة والظلام يحيط به كأن شيئاً ما قد وضع أمام عينيه، وسمع صوتاً يسأله:

- حلمت بياه ؟

جو خانق وبرودة لا تحتمل وظلام لا بصيص لنور فيه، وفجأة أيضا اختفى الظلام لتعود له قدرته على الإبصار مرة أخرى، رفع رأسه عن المقود؛ فوجد الناس قد تدافعوا نحوه ليروا ماذا أصابه؛ فنزل من السيارة ليجد أنه قد اصطدم ببضاعة لأحد المحال، فدفع له تعويضا مقابل البضاعة التي أتلفها، ثم عاد إلى سيارته وهو يأمل ألا تعود له أي رؤى وهو في الطريق، وعندما صعد إلى منزله دخل مسرعاً إلى غرفته، وألقى جسده على السرير وهو يفكر بقلق بالغ في معنى تلك الرؤيا ومغزاها، حتى أنه لم يأكل بقية اليوم، ولم يستطع النوم، وكل ما ظل يتذكره هو ذلك الظلام الذي رآه، وتلك البرودة العجيبة التي شعر بها، فهذه أول مرة تنعكس الرؤى على جسده ليشعر بشيء لا يفترض أن يشعر به الآن، و شعر بأن هناك خطرا بالغا آتٍ في المستقبل.

ما معنى الظلام الذي رآه أو بمعنى أدق لم يره؟ هل سيصاب بالعمى مثلاً؟! أم أن هناك شيئاً آخر؟! لا يعلم كم لبث على حاله هذا، ربما خمس أو ست ساعات، كان منفصلاً عن الدنيا والقلق يعصر قلبه، حتى أنه لم ينتبه إلى نداء والدته له من الخارج، والتي بعد عدة محاولات تركته عندما ظنت أنه نائم. وظل يفكر ويفكر؛ حتى أن عقله قد انشغل تماماً عن موضوع "تقى" وارتباطه بها .

لم ينتزعه من ثباته إلا رنين الهاتف؛ فنظر إلى هاتفه فوجد رقماً غير مسجل عنده، فكر ألا يرد ولكن فكرة أن يكون الهاتف خاصاً بالعمل أجبره على إجابة الاتصال، فرد في فتور :

- أيوه

- السلام عليكم.

جاءه صوت لم يسمع مثله في العذوية والرقّة :

- وعليكم السلام

- مممم، شكلي اتصلت في وقت مش مناسب، أكلمك في وقت تاني بقى.

"تقى" كانت المتصلة هي "تقى"، فانتفض من مكانه وقد نفّض عن فكره كل الهواجس:

- "تقى" !

- يعني

- أنا مش مصدق وداني.

- طيب سلك ودانك كده يمكن تصدق.

قالتها بضحكة أذابت ثلوج القلق وجعلت قلبه يخفق بين أضلعه:

- أنا مبسوط جداً باتصالك ده

- أي خدمة ... عد الجمایل بقى

- طيب أفهم من كده إنك موافقة ؟

صمتت طويلا وانتظر هو أن تجيبه؛ فلما طال صمتها قال لها بلهجة مراهق في السابعة عشر يكلم حبيبته:

- "تقى"

- نعمين

- ما ردتيش

- عارف يا "كريم"، أنا بجد مش عارفة مالي، أول مرة أحس بالإحساس ده، حاجة جديدة عليّ،

عمري ما جربتها قبل كده.

تسارعت دقات قلبه، حتى خيل له أن صوت قلبه قد علا على صوته هو:

- تصدقيني لو قلت لك إن أنا كمان أول مرة أتعلق بجد بالشكل ده ؟

- يعني اتعلقت بجد قبل كده بقي؟!

- لو كنت اتعلقت بأي بنت قبلك كنت ارتبطت بيها، أنا الحب بالنسبة لي يعني ارتباط، مش

علاقة عابرة وخلص.

- مصدقك.

كأنه يراها أمامه، دلالها ورققتها التي تناسب من كلامها جعلته كأن أجمل ألحان الكون تعزف في أذنه:

- طيب إيه ؟

- إيه أنت ؟

- موافقة ؟

- أنا صليت استخارة وحاسة إني مستريحة

- "تقى"

- نعم

- ممكن اقول لك حاجة ؟ إني بالرغم من إني ما شوفتكيش غير مرتين بس لكن حاسس إني بجدك.

تلعثمت وضاعت الكلمات من رأسها كأنها طفلة تتعلم الكلام، حتى قالت أخيراً بجياء مشوب بالرقعة:

- أنا ها قفل بقى
- لأ مش هاتقفلني غير لما تقوليها
- طيب اقول لك حاجة تضحكك ؟
- ياريت
- النهاردة اتقدملي واحد.

شعر بغصة في حلقه من جملتها، فقد شعر أنها ملك له وحده لا يجب أن يتطلع إليها غيره:

- ده مش حاجة تضحك على فكرة
- استنى بس أفهمك، الواحد ده ماشاء الله على صفاته، حشاش إيه وبلطجي إيه، حاجة كده معتبرة
- بتهزري
- لا والله
- أنا عايز آجي أخطبك دلوقتِ حالا
- ما تخافش أكيد مش هانقبل بواحد زي ده، على العموم أنا قولت لماما وبابا وهما في انتظارك في أي وقت
- والله بحبك !!
- يووووه بقى يا "كريم"، أنا هابعتلك رقم بابا في رسالة وانت ابقى اتصرف بقى، سلام
- لأ استنى، تعرفي إن ضحككتك حلوة أوي
- لأ مش عارفة، أنا حاسة إني باكتته وأعصابي سايبه، سلام
- مستني الرسالة حالا، سلام يا "تقى".

انتظر حتى أتته الرسالة برقم والدها فسجل الرقم على هاتفه، ثم أخذ يقفز على السرير كالطفل الصغير من الفرح؛ حتى جذب أمه صوت الضجة التي فعلها؛ فافتحمت الغرفة مفزوعة :

- بتعمل إيه يا أهبل !!؟

فنزل من فوق السرير، وأخذ يقبل يد والدته وجبينها

- مش انتِ نفسك اتجوز ؟
- ياريت يا موكوس
- أديني هاخطب أهه يا ست الكل
- طيب الحمد لله، بس مين ؟ ... البنت صاحبة "سالي" ؟
- هي يا عسل
- إمتي طيب ؟
- هاكلم أبوها بكرة وأتفق على الميعاد اللي هانروح فيه.

قبلته في حنان وضمته إلى حضنها:

- رينا يسعدك يا حبيبي
- بقول لك إيه بقي، أنا نفسي اتفتحت على الأكل
- حالا هاخطلك الأكل يا حبيبي
- عاملة إيه بقي يا قمر ؟
- عاملة قرنييط.

نظر لها ومط شففيه في امتعاض:

- قرنييط ؟! قرنييط يا أمي؟!!
- ماله يا حبيبي القرنييط ؟!
- ماهوش، بس أقول لك هاخطب وفرحان، تقولي لي قرنييط؟
- والله لو مش عاجبك اطلب أي حاجة تليفري

فغزها ضاحكا:

- "تليفري" ؟!، ماشي يا ستي هطلب لنا أكلة " تليفري " حالا يا ست الكل.

تركها وأجرى اتصالاً بمطعم يقبع بجوارهم، ثم استلقى على سريره يتفكر فيما هو آت، مرت على خاطره تلك الرؤيا المزعجة، لكن مجرد تخيل جلوسه بجوار "تقى" في اليوم المرتقب، وهو يمسك بيديها الرقيقتين يلبسها خاتم الزفاف أطاح بكل شيء آخر، وقال في نفسه:

" لأستمتع بالحاضر وأترك المستقبل بيد الله "

ثم تمتم بفرح :

- أخيراً

وقبل أن يتابع تخيلاته سطع النور القوي أمام عينيه قبل أن يحل الظلام مرة أخرى وعادت نفس الرؤية بجوها الخانق وبرودتها العجيبة، وأحس كأن قطعا من الثلج تغطي وجهه ونفس الصوت يتردد في ذهنه يسأله :

- حلمت بإيه؟

"حديدة"

- يالاً يا حاجّة

- يا بني خمس دقائق وجاية.

سار الأمر على ما يرام مع والد "تقى" فبعد أن هاتفه "كريم" وعده الرجل بالرد عليه بمجرد السؤال عنه كما جرت العادة، وبمرور يومين وجد أن والدها يتصل به؛ ليخبره أنه في انتظاره في أي وقت يناسبه، وكان الجمعة هو اليوم المحدد.

مرت الأيام حتى الجمعة، و"كريم" يكاد يطير شوقاً، وود لو استطاع أن يسرّع الأيام حتى يلقاها ويخطو أهم خطوة في حياته، ولم ينغص عليه شيء سوى تكرار تلك الرؤيا الظلامية المعتادة، والتي أصبحت تزداد وضوحاً في الإحساس بما يجري حوله في الرؤيا، مع بقاء الظلام كما هو؛ فالبارحة شعر في الرؤيا أن وجهه مبتل وعليه قطع ثلج، واليوم في الصباح أتته الرؤيا بألم كبير في عنقه، كأن هناك محققاً قد غرز فيها:

- خلاص يا "كريم" أنا جاهزة.

تطلع إلى أمه مبتسماً، وحمل علبه مغلقة وتأهب للذهاب، فقالت له مداعبة:

- إيه جبت الموز والسوداني بتوع كل مرة!؟

فقالها وهو يغمر لها ويضحك:

- ليه هو أنا رايح أخطب قردة!؟ يالاً بقى هنتأخر.

ثم جذبها من يديها برفق واتجها إلى الخارج.

جلس "كريم" ووالدته في حجرة الاسقبال في منزل أسرة "تقى"، كانت الصالة واسعة مفروشة بأثاث راقٍ يدل على الذوق الرفيع لمن اختاره، كما يدل على أن الأسرة حالها ميسور نوعاً (الأساسيات مع بعض الكماليات)؛ فوالدها - كما علم - يمتلك سيارة (لانسر).

كانت الجلسة حميمة تم التعارف سريعاً وجرى حوار من نوعية " أهلاً يا عمي .. أهلاً يا بني " تتدخل والدة "كريم" في الحوار بعد قليل لتقول وهي بابتسامة واسعة " احنا جاين نطلب إيد العروسة "تقى" فيرد الوالد وأمه في نفس واحد " ده انتوا تشرفونا والله "، تدخل "تقى" حاملة صينية عليها بعض الأكواب المملوءة بالمياه الغازية، يطول اللقاء مابين مداعبات وحوارات جانبية عن العمل وسنينه المقرفة والطيبة التي اختفت من العالم، قبل انتهاء اللقاء يحددوا موعداً لشراء دبل الخطوبة، فيطلب "كريم" أن يأتي بالشبكة مرة واحدة لكن والد "تقى" يصصر على مجرد شراء دبل الآن؛ على أن تكون الشبكة مع كتب الكتاب لأنه كما قالت أمها " سلو عيلتهم " ثم ينتهي اللقاء بتحديد يوم الأربعاء القادم هو موعد شراء الدبل وتحديد يوم إعلان الخطوبة .

أربعة أيام يبرون كأربعة أعوام يعيشها في سعادة لا ينغصها عليه سوى تفلت "تقى" منه كلما اتصل بها، وحببتها الدائمة هي أنها بالرغم من تعلقها به الا أن ذلك لا يعني أن تستمر على الاتصال به مادامت الخطوبة لم تتم بشكل رسمي:

- ماشي يا حبيبي، كلها كام يوم وتبقى رسمي.

يقولها وهو يمني نفسه باقتراب اليوم.

أربعة أيام مرت وهاهو جالس في سيارته ينتظر نزول "تقى" ووالدتها ووالدته التي سبقته إليهم قبل أن ينتهي من عمله ويمر عليهم، أجرى عدة اتصالات بأصدقائه المقربين؛ ينبئهم بما هو مقدم عليه، وبعد أن انتهى أراح ظهره إلى الخلف وهو يشبك أصابعه خلف رأسه وقد شعر أن الوقت يمر ببطء شديد كبطاء الحصاة الأخيرة في المدرسة يوم الخميس:

- فيه حاجة يا برنز؟

فجأه من جانب نافذة السيارة صوت كأنه خارج من مذراع قديم فالتفت إلى صاحب الصوت؛ فوجده شاباً في أواخر العقد الثاني، صوته أجش ووجهه وجسده نحيلان ورقبته التي يبدو أنه كان بما جرح قطعي، كل شيء يدل على أنه حشاش معتبر قد أتلقت المخدرات عقله وجسده:

- نعم يا حبيبي فيه حاجة ؟

- حبيبك ده في السرير مش هنا، إنزل لي.

فترجل "كريم" من السيارة غير مستوعب لما يحدث:

- أوامرني، فيه حاجة؟!

- أنا اللي بأسألك هنا، أنت واقف بتعمل إيه؟!

- حضرتك أنا خطيب الأنسة "تقى" اللي ساكنة في العمارة دي.

قالها بارتباك وازداد ارتباكها وتوتره؛ خاصة عندما تغيرت ملامح الشمام الذي يقف أمامه وأخرج مطواة من جيبه وفتحها بسرعة تثير الإعجاب، قبل أن يمسك بياقة قميص "كريم" وهو يلوح أمامه بالمطواة:

- خطيب إيه؟! انت عيبط يالا ولا إبيه؟!!! ده أنا متكلم عليها.

جمع "كريم" شتات نفسه بسرعة ثم رفع يده وأنزل يد الشمام من على كتفه برفق وهو يدعو للهدوء بابتسامة متوترة:

- طيب بالراحة طيب، ده أنا حتى ما اتعرفتش على اسم الكريم

- هاهدى عليك علشان ما تعرفنيش بس، أنا "حازم حديدة" وماحدث يستجري يقرب ناحية البيت بتاعتي.

- عاشت الأسامي يا أستاذ "حازم"، بس ساعني يعني أنا اللي أعرفه إن الأنسة "تقى" مش مخطوبة، ولما قابلت والدها وافق إني أخطبها.

فرفع الأخير مطواته مرة أخرى ملوحا بها أمام وجه "كريم":

- بص يا زميلي، أنا هعتبر نفسي ولا سمعت حاجة من الهبل اللي قلته ده، أحسن لك تخلع من هنا قبل ما أخليك تخلع من الدنيا.

تطلع إلى ما وراء كتف "كريم" ثم انصرف بسرعة، فلما التفت "كريم" خلفه وجد أن أمه و"تقى" ووالدتها قد خرجوا من المنزل، وهم يولون وجههم تجاهه، كانت أول من وصلت إليه "تقى" فقالت له وهي متوترة :

- الواد ده كان عايز منك إيه ؟

رسم على وجهه نظرة استفهام بلهاء :

- واد إيه ؟

- "حازم" زفت "حديدة" ده

- آه، لأ ده كان ببسألني على ولاعة علشان السيجارة اللي معاه بس.

نظرت إليه بحزم وهي توجه إليه عينيها الواسعتين ككشافات الجستابو؛ فذاب أمام جمالهما وأوشك على الاعتراف بكل شيء، من أول الفتاة التي أحبها وهو في الحضانة، حتى اللانشون الذي كان يأكله من الثلاجة و أبواه نائمان ..

- فيه ايه يا ولاد؟! ماتركي يالاً يا "تقى"

حمد الله أن أت والدته ووالدة "تقى" في الوقت المناسب؛ ففتح الباب حتى تتركب هي وأمها، ثم ذهب إلى الناحية الأخرى وفتح الباب لوالدته حتى تتركب بجانبه، وبعد أن استقل سيارته أدارها وانطلق، وبعد نصف ساعة كانوا في محل الذهب، ومليكة قلبه "تقى" تختار الخاتم والدبلة والمحبس من تشكيلة أتى بها الصائغ؛ فاننقت أقلهم:

- أنا عايزة دول.

فأخذ من يدها الدبلة والمحبس وهو يهمس لها:

- بلاش الحركات القرعة دي، لو قلقانة أحسن مايكونش معايا فلوس فأحب أقول لك إني الحمد لله معايا كتير.

ثم وضع الدبلة والمحبس مكانهما وانتقى بدلا منهما دبلة ومحبسًا أكبر:

- أنا شايف دول أحسن، إيه رأيك يا طنط ؟

ثم وضعهما في يد والدة "تقى" التي أبدت إعجابها بذوقه وكرمه

- والله طنط طالعة منك زي العسل، فعلا يا "تقى" دول أحلى.
- فهمت "تقى" كتفيها علامة على الرضا، وهي تبتسم بخجل، فأعطى "كريم" الصائغ الذهب حتى يضعه في علبة، وانتقى لنفسه دبلة من الفضة:
- صحيح هانكتب التاريخ إيه على الدبل ؟
- لسه لما نشوف يا "كريم" يا ابني ... لما نحدد المعاد الأول.
- سارعت والدة "تقى" بالرد بينما صمتت "تقى" وظلت والدة "كريم" صامتة تتابع كلامهما وهي فرحة بأن رأت ابنها يخطو تلك الخطوة أخيراً، فالتفت "كريم" إلى حبيبته:
- انت عيد ميلادك امتي؟!؟
- فتضرج وجهها بجمرة الخجل، وأطرقت رأسها وقالت هامسة :
- الشهر ده
- بتهزرى؟!؟
- ثم التفت إلى والدتها هاتفا :
- طيب والله دي بشرى حلوة يا طنط، عيد ميلادها الشهر ده وتبقى الخطوبة الشهر ده
- بس يا ابني ...
- قالتها بتردد؛ فتدخلت والدة "كريم" في الحوار حتى تدعم موقف ابنها:
- لا بس ولا حاجة يا حبيبتى، وعلى العموم لو أبو العروسة حابب يأجل الخطوبة شويه مش مشكلة، ونخلي يوم عيد ميلاد حبيبتنا "تقى" هو المكتوب على الدبل.
- لاقت فكرتها استحسانا من الجميع؛ حتى أن "كريم" نسي نفسه فغمزها في جنبها وهو يضحك:
- تسلم لي دماغك يا بطتي
- إختشي يا واد

- خلاص بقى يا غسل.

والنتفت إلى الصائغ:

- اكتب التاريخ على الدبل

ثم التفت إلى "تقى" وسأها :

- هو عيد ميلادك كام بالظبط ؟

- يوم 26

قالتها وشفتها ترتعشان من الفرحة والخجل معا، فالتفت إلى الصائغ:

- 26 - 10 اكتب التاريخ ده

في اليوم التالى كان "كريم" جالسا مع "تقى" في كافتيريا الجامعة يتطلع إلى الطلبة، بينما ظلت هي تنظر إلى العصور الموضوع أمامها، فالتفت إليها ليتجاذب معها أطراف الحوار:

- بس امبارح كان يوم جميل جدًا

- تاني يا "كريم"، دي خامس مرة تقولها دلوقت.

كانت تعبت بكوب العصير؛ ففكر أن يمد يده ليمسك بيدها ولكنه تراجع خشية من ردة فعلها:

- اعمل لك إيه بس يا حبيبي؟! ما أنت اللي مش بتتكلمي

- أصلي مكسوفة

- يا سلام؟! مكسوفة ليه بقى إن شاء الله؟! واحدة قاعدة مع خطيبها فيها إيه دي؟

نظرت إليه بحزم وهي تقول بجديّة :

- أولا يا "كريم" الجامعة مش مكان للمخطوبين، وثانيا احنا لسه خطوبتنا مابقتش رسمي.

رشف رشفة من فنجان القهوة ثم قال بنفس الابتسامة :

- يا مفترية ده احنا يوم 18 والخطوبة يوم 26 زي ما اتفقت مع والدك، يعني كلها 8 أيام بس،

وتقولي لي مش رسمي؟! ... اتقي الله فيا

- يا "كريم" 8 أيام دول الله أعلم ها يحصل فيهم إيه، على العموم علشان ما تفهمنيش غلط عايزة

أقول حاجة.

ثبت عينيه في عينيها؛ فنظرت إلى أسفل بخجل، ثم قامت وأخذت حقيبة يدها وودعته بسرعة وانطلقت وهي تقول:

- عندي محاضرة دلوقت، سلام.

امتقع وجهه مما فعلت وشعر كأن أحدهم قد (رزعه نص) فجأة فناداها بدهشة :

- انتِ يا ...، يا "تقى"

ظل في مكانه وقد شعر كأنه كالخرقة البالية، وأحس أن الجميع ينظرون تجاهه، ولم تمضِ دقيقتان حتى جاءته

رسالة على الهاتف فوجدها من "تقى"، وقد كتبت فيها جملة من كلمتين فقط: " والله بجدك"، فأخذ يتطلع

إلى الرسالة ودقات قلبه تتسارع، ثم وضع الهاتف على الطاولة وهو يتمتم :

- آه يا بنت المجنونة !!!

ثم جلس في انتظار انتهاء محاضرتها.

لم تكد "تقى" تنتهي من المحاضرة وتخرج من باب المدرج؛ حتى وجدت "كريم" واقفا بانتظارها :

- إيه ده يا "كريم"، أنت لسه هنا!؟

- أيوه يا ستي، قلت استناكي لحد ما تخلصي علشان اوصل لك

- لا لا انسى، ده أنا أبويا يموتني.

أخرج الهاتف وأراها آخر رقم اتصل به:

- بالنسبة لوالدك فأنا استأذنته، وهو وافق .

ثم أشار لها وهي ينحنى نصف انحناءة بطريقة مسرحية:

- يالاً يا أميرتي.

فهزت كتفيها وانطلقت أمامه إلى السيارة:

- أمري إلى الله.

أوصلها حتى باب الشقة ورفض الدخول عندما علم أن والدها مازال في العمل، فودعها ونزل درجات السلم، واتجه صوب سيارته وما أن وصل إليها حتى وجد بها خدشا عميقا بطول السيارة بفعل آلة حادة، فالنتفت يبحث عن فعلها؛ فوجد ذلك الشامام "حازم حديدة" جالسا على مقهي بالقرب من المنزل يشرب المعسل ويضحك وهو ينظر إلى "كريم" الذي لم يجد ما يفعله، كم ودَّ "كريم" وقتها لو هشم رأس ذلك الأحمق، ولكن مجرد التفكير في ذلك مع فارق الخبرة في القتال يجعل النتيجة محسومة لصالح الآخر، وربما يخرج "كريم" منها بجرح في وجهه، فآثر السلامة وركب سيارته وانطلق أمام "حازم" الذي علا صوت ضحكاته هو ومن معه من زملاء الكفاح في المخدرات.

قبل أن يصل "كريم" إلى منطقته التي يقطنها، عرج على منطقته القديمة بولاق الدكروور يأخذه الحنين إليها فوجد أحد أصدقائه القدامى جالسا في المقهى الذي اعتاد "كريم" وأصداؤه الجلوس فيه، فتوجه إليه لعله يأنس بالجلوس إليه:

- خالد ... ازيك يا واد ؟

فقام إليه الأخير يعانقه وهو يتهلل لرؤيته، وبعد الكثير من عبارات الشوق وخلافه جلس "كريم" قبالة صديقه:

- قهوة زيادة يا بني .

كانت تلك من "كريم" للقهوجي؛ ثم التفت "كريم" لصديقه يتأمله ثم قطب حاجبيه باستغراب، وقد تذكر أن صديقه السلي الملتحي لم يعد ملتحيًا كما عهدته، فأشار بيده إلى وجه "خالد" وهو يسأله :

- لا إله إلا الله، فين دقنك يا ابني ؟! دي كانت شبرين

- ما تفكرنيش الله يكرمك يا "كريم".

قالها وهو يتحسس ذقنه الحليقة بحسرة شديدة، ثم دارت عينيه في محجريها، وهو يقترب من "كريم" ويهمس له:

- ده أنا شوفت أيام سودة والله

- أيام سودة إيه ؟! هو إيه اللي حصل ؟! انت اختفيت فترة وماكنتش عارف عنك حاجة

- أنا هقول لك يا سيدي.

ثم رشف رشفة من كوب المياه:

- انت عارف إن أخوك لا كان ليه في الطور ولا في الطحين

- آه عارف

- ماكنتش بعمل حاجة غير إني أخلص الشغل وأروح البيت، ولو فيه دروس علم باحضرها، وبأصلي كل صلاة في الجامع وخلص

- تمام

- في يوم اتفقت أنا وبعض الاخوة إني اعمل مقراً علشان أحفظهم القرآن

- القهوة يا بيه.

وضع عامل المقهى القهوة وكوب مياه أمام "كريم"، فصمت "خالد" إلى أن ذهب العامل؛ فعاد لاستكمال حديثه:

- لحد كده انت شايفني عملت حاجة غلط ؟

- لحد دلوقتٍ لأ طبعاً، ده أنت بتعمل خير وتعلم الناس القرآن !!
- وبعد ما عملت المقرأة بأسبوع، وفي يوم قبل الفجر بشويه، لاقيت ناس كسروا باب الشقة عليّ أنا وزوجتي، ودخلوا الشقة وهاتك يا ضرب فيّ، وبعد ما فتشوا المكان خدوني معاهم وهما مغمين عينيّ كإني في أبو غريب !!!

ثم صمت لحظات وقد أغلق عينيه بشدة، كأنما يتذكّر أحداثاً مؤلمة، فعاجله "كريم" مستفهما :

- ومين دول ؟
- أمن الدولة يا سيدي
- يا نهارك اسود !!! ليه عملت إيه ؟!!!
- ماهو ده اللي فضلت شهرين نفسي أعرفه وأنا محبوس هناك
- فضلت شهرين ؟!!!!
- شهرين ضرب وتعذيب بكل ما تتخيله، من أول الكهرا والجلد، وساعات لما الضابط كان بيحب يتسلى، كانوا بيكتفوني في كرسي وعيني متغمية برضه ويفضل ينتف في شعر دقني شعرة شعرة، ولما خلص على دقني، بدأ ينتف شعر صدري ... ابن الكلب.
- هتف بها بمرارة وهو يجبس دمعة كانت ستنزول من عينه، فمد "كريم" يده يربت على كتف صديقه؛ لعله يخفف عنه :

- طيب ليه كل ده ؟
- طول الشهرين يجيبوني والضابط يسألني " مين معاك " ؟ أقول له: معايا فين يا باشا ؟ يقول لي شكلك هاتغلبننا "يا ابن المرة" وينزل ضرب وكهرا في جسمي كله
- وخرجت إزاي ؟
- في يوم جابوني قدام الضابط، وقال لي: احنا هانسبيك، بس لو عرفت إنك رجعت لموضوع المقرأة ده تاني؛ هانفخ أهلك، ومن ساعتها يا سيدي زي ما أنت شايفني حالق دقني وبقعد على القهوة علشان يعرفوا إني بقيت مواطن صالح، وحتى الصلاة بقيت بصليها في بيتنا، وزوجتي خلعت النقاب، وبقث بتلبس حجاب عادي، يمكن يملوا عني.

ظل "كريم" يتطلع إليه عاجزًا عن إيجاد كلمات يواسيه بها، في حين تفلتت دمعة من عين "خالد" فمسحها، وأخذ يرشف من كوب الحلبة وهو يتطلع إلى المارة في الشوارع:

- وربنا انت خمّام.

جاء الصوت من داخل المقهى فتطلع "كريم" وخالد " إلى الداخل ليجدا عمودَي المقهى الأبديين الذين ناهزا الخامسة والخمسين من عمريهما، عم "عبده" وعم سعد يلعبان الطاولة، وعم "نصر" بجانبهما يطالع الجرنال، لا يتذكر "كريم" يوما أنه رآهما إلا هكذا، فلم يجد مثلا عم "عبده" يقرأ الجرنال، أو أن عم "نصر" يشاركهما اللعب:

- يلهوي يا "عبده"، ده انت بقالك عشرين سنة بتقول اني باخمك، ياعم أنت اللي مش بتعرف تلعب

- وربنا أنا شايفك بتقرص الزهر يا سعد

- هاه، هاتلعب ولا كده اتغلبت؟

يهز عم عبد الزهر بيده ويلقيه على الطاولة وهو يقول :

- مغلوب مين، ده أنا هاجدلك دلوقت

-آه يا ولاد الكلب يا كفرة !!

كانت هذه من عم "نصر" الذي قالها وهو يضرب الجرنال على المنضدة التي أمامه، فسأله عم سعد بدون أن ينظر إليه وكأنه اعتاد على طلعات عم "نصر" الغريبة

- مالك بس يا "نصر" !!؟

- تخيل الكفرة ولاد الكلب بيتاجروا في البني آدمين !!! إيه بقينا خرفان خلاص !!!؟

كعادة عم "عبده" لم يهتم بسؤال عم "نصر" عما يعنيه، وانشغل باللعب فهو يعلم أنه سيقول كل ما يريد حتى ولو لم يسأله أحد، ورد عم سعد بطريقة روتينية :

- إيه بس اللي حصل؟ ومين الكفرة دول؟

- هو مين كفرة غيرهم؟! أكيد الصهاينة طبعاً.

قالها وهو يقرب وجهه منهما، ونظرة خطيرة ترسم على ملامحه، الصهاينة بالنسبة لعم "نصر" هم اللهو الخفي الذي يسيطر على الكون بأسره، وهم السبب دائماً وأبداً في كل مشكلة تحدث في مصر من أول أزمة المواصلات، حتى الانقطاع الدائم للمياه، وربما لو تأخر عامل المقهى في إحضار الطلبات لاتهمه عم "نصر" بأنه جزء من المؤامرة الصهيونية!!

- تخيلوا واحد داخل يعمل عملية في رجله، يكتشف بعد فترة إنهم سرقوا كليته!!!

- إيه جاب رجله لكليته!!!

- لما لقي خياطة في جنبه سأل؛ فالدكتور ابن الحرام قال له : أصل العرق كان موصل من رجله لجنبه!!

- طيب وعمل إيه!؟

- ولا حاجة، فضل يشتكي ولا حد عمل حاجة للمستشفى، ولا حتى للدكتور

ولأول مرة يتدخل عم "عبده" في الحوار الدائر :

- طيب وهاي عمل إيه بالكلية يعني!؟

- انت مش عايش في الدنيا يا "عبده" ولا إيه!؟ دي الكلية بتتباع بالشيء الفلاني

- بكتير يعني؟

- سمعت انها بتتباع يحي بخمسين ألف جنيه.

عاد عم "عبده" للعب وهو يردد وكأنه يحدث نفسه " خمسين ألف جنيه" ؟ وعاد عم "نصر" إلى تكرير نظرية المؤامرة.

- دول أكيد الصهاينة ولاد الكلب ... حد فيكم فاكّر حادثة بني مزار؟

فأجابه عم سعد :

- آه، مش دي اللي لاقوا كام واحد مقتول في بيتهم، وكل واحد منهم كان من غير "حنكلولوا"

- آه يا سيدي هي

- أنا سمعت إن اللي قطع" بتاعهم" كان علشان يفتح مقبرة فرعونية

- انت هاتصدق الهبل ده؟! دول أكيد اليهود اللي عملوا كده.

ثم أمسك الجريدة مجددًا وهو يصب اللعنت على اليهود الذين يجربون كل شيء في البلد.

كان "كريم" و " خالد " يتابعان الحوار، ولما انتهى عاد " خالد" ينظر إلى "كريم" وهو يبتسم بعدما أنساه

الحوار الدائر بين الثلاثة الكبار هم:

- المهم قولي انت أخبارك إيه؟

- أنا تمام والحمد لله، وهنخطب كمان أسبوع بإذن الله

- بارك الله لك

- أموت أنا في الدعوات السلفية دي

- بتحبها ولا جواز صالونات؟

- إلا بجبها... ده لما باسمع اسمها بس بحس بهبل في الحنة الشمال

- طيب مين العروسة إن شاء الله؟ احكي لي

- هاحكيلك يا سيدي.

طوال نصف الساعة ظل يحكي له كل شيء من أول تعرفه عليها - مع إغفال موضوع الرؤى والاستبصار

- حتى ماحدث اليوم من ذلك الشمام "حديدة".

- بس يا سيدي، بس مش عارف اعمل إيه مع الواد اللبط ده

- الله المستعان، ربنا يهديه

- تعرف يا خالد؟ أنا بفكر أبلغ عنه خصوصا إني عارف هو بيخبي المخدرات فين

- وبيخبها فين؟

- في مدخل البيت عندهم في عداد ميه خاص بشقة أمه، وعليها صندوق حديد مقفول بقفل، البية

بقي مخبي فيها المخدرات للتعاطي والبيع كمان

- ابن اللعيبه !! طيب وانت عرفت إزاي أصلا ؟
- سمعته بالصدفة بيقول لواحد من حبايبه الشاميين
- طيب وبتفكر تعمل إيه يعني ؟
- بفكر أبلغ البوليس إنه تاجر مخدرات.

لم يتمالك " خالد " نفسه من الضحك؛ فرجع بظهره إلى الوراء وانفجر في الضحك المستيري

- بتضحك على إيه يا ابني؟!!

- أصلك طيب أوي يا "كريم" والله

ثم مال إليه وهو يحاول أن يمنع نفسه من الضحك:

- انت فاكّر إن البوليس مش عارف تجار المخدرات دول واحد واحد وسايهم بمزاجه؟!!
- عارفهم وسايهم ليه يعني ؟
- علشان ده النظام يا "كريم"

تحولت ملامحه للجدية وهو يشرح له قصده، عندما وجد علامات الاستفهام على وجه صديقه:

- بص يا "كريم"، السياسة في البلد دي إن الحكومة تسبب الأشكال اللي زي تجار المخدرات والبلطجية يبهدلوا في الناس، وكله تحت عين الشرطة، ومن وقت للتاني ممكن يقبضوا على واحد أو اتنين منهم؛ علشان يحسسوا الناس إنهم مصدر الأمان، ومن غيرهم الناس تضيع.

صدم "كريم" هذا المنطق الغريب؛ ففكر فيما يمكن عمله

- طيب اعمل إيه مع الزفت ده؟! بالشكل ده هايفضل مطلع عين أهلي

- عايز تخلص من الزفت ده ... عايز تخلص من الزفت ده.

نطقها كأنه يحدث نفسه، وظل هكذا لمدة دقيقتين وهو يطرق على الطاولة بأصابعه، ثم التفت إلى "كريم"

فجأة وهو يبتسم ابتسامة واسعة:

- قل لي ياد يا "كريم"، هو في كنيسة قريبة من مكان الواد ده ؟
 - اشمعنى يعني؟!؟
 - ياعم ربحني وقولي بس
- أيوه في كنيسة بعدهم بشارعين تقريباً.

قالها بصوت عال فاتسعت عينا صديقه خالد رعبا

- هششششششش، وطى صوتك هاتوديني في داهية

- أوطى صوتي ليه مش فاهم

فمال على "كريم" وهو يهمس :

- مش انت عايز تخلص من الواد البلطجي ده في أسرع وقت ؟

- آه ياريت

- أنا بقى هقول لك المفيد

- قول يا أستاذنا

- زي ما قلت لك من شويه إن الشرطة هنا بتسيب البلطجية وتجار المخدرات براحتهم، بس الحالة الوحيدة اللي ممكن يتحركوا فيها بأقصى سرعة هي أي تهديد للمسيحين أو الكنيسة.

نظر "كريم" له بفرع غير مستوعب لما يقال:

- الله يخرب بيتك أنت عايزني اعمل إيه؟!؟

- انت مش هتعمل حاجة غير مكاملة تليفون صغيرة

- مكاملة إيه ياابني بالراحة عليّ

- بص يا سيدي، المطلوب منك علشان تخلص من الواد ده، إنك تتصل بأمن الدولة وتبلغهم إن

الواد ده بيتعامل مع جماعات تكفيرية، وبمدهم بالسلاح علشان في خطة لتفجير الكنيسة القريبة

منه.

تذكر "كريم" الرؤيا التي يرى فيها الظلام كأنه معصوب العينين فلوح بيده رعبا:

- ولما أمن الدولة يجيبني من قفايا إن شاء الله، هابقي مبسوط !!؟

فرد عليه " خالد " بابتسامة مطمئنة :

- يا بني إفهم، أمن الدولة مش هايعرف يجيبك أبدا؛ لأنك مش هاتصل من تليفونك، انت زي الشاطر تشتري خط تليفون بعشرة جنيه من أي مكان بعيد عن هنا، وأغلب المحلات دلوقتٍ مش بتأخذ لا صورة البطاقة ولا حاجة، بعد ما تشتري الخط تتصل بأمن الدولة، وتقول لهم زي ما قلت لك، وفي خلال يومين بالكثير تقدر تنسى الواد ده إلى الأبد.

فكر "كريم" قليلاً في الخطة والتمعت عيناه ببريق الإعجاب وهو ينظر إلى " خالد"، فنغزه في كتفه ضاحكا :

- يا ابن الأروبة يا خالد !! جبت الأفكار دي منين ياابني !!؟ ده أنت كنت قطة مغمضة

- يا حبيب قلبي اللي أنا شوفته يغير تفكير الواحد 180 درجة

- تسلم لي دماغك والله.

ثم نهض استعداداً للانصراف:

- إيه يا "كريم" رايح فين ؟

- مشوار صغير حابب اعمله قبل ما أقرر هانفذ الخطة دي ولا لأ، سلام

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم صافحه وانصرف عائداً إلى منطقة " تقى".

راقت الفكرة التي طرحها صديقه " خالد " كثيراً، ولكنه فكَر في أنه قبل أن يلجأ إليها يجب عليه محاولة التوصل لحل مع "حديدة" بشكل ودي، وفي الطريق إلى منطقة "تقى" عرج على منطقة بعيدة ابتاع منها خط تليفون من محل لا يطلب صورة البطاقة أو أي بيانات عن المشتري، وما أن وصل حتى وضع سيارته بعيداً، وترجل ليقطع المسافة إلى المقهى المعتاد الذي يجلس عليه غريمه، وبالفعل وجده هناك مع أصدقائه؛ فتوجه إليه مباشرة وهو يدعو الله أن ينتهي الأمر على خير:

- السلام عليكم يا أستاذ "حازم"

ومد يده بالسلام قوبلت من الآخر بأن نظر إلى الناحية الأخرى بلا مبالاة، وهو ينفث دخان الشيشة في الهواء:

- طيب ده السلام لله

- وعليكو يا سيدي، نعم؟

- ممكن اقعد مع حضرتك شويه وأتكلم في حاجة انت عارفها؟

جذب مقعدا بالفعل قبل أن يسمح له "حديدة" بذلك، وجلس عليه

- بس ياريت لوحدنا.

إشارة من قائد البلطجية كانت كفييلة بأن ينفذ الجمع من حولهما، ولما ذهب الجميع مال "حديدة" وقال بأنفاس كريهة :

- نعم، عايز إيه؟

- يا أستاذ "حازم"، أنا عايز أحل معاك مشكلة خطوبي من الأنسة "تقى" ..

- بص يا زميلي

- اتفضل.

سحب "حديدة" نَفَسًا طويلًا من الشيشة قبل أن يقول بصوت مكتوم من الدخان الذي يملأ صدره وحلقه:

- اللي عندي قولته ليك قبل كده، المرة دي جت في العربية لو شوفتك هنا تاني الله أعلم ممكن اعمل إيه، وانت ونصيبك بقي.

ثم أعاد مبسم الشيشة إلى فمه، وسحب نَفَسًا آخر طويلًا قبل أن يقول :

- أنا اللي ياخذ حاجة بتاعتي باطلع "دين ..."، ياريت ما تخلينيش أوريك الوش الخشب بتاعي.

ثم اقترب من وجه "كريم"؛ فظهرت أسنانه الصفراء قبل أن يطلق الدخان الذي كان يكتمه في وجه "كريم"، الذي أخذ يلوح بيده مبعداً الدخان عن وجهه:

- ماشي يا أستاذ "حازم"، هو أنا هاقدر عليك يعني؟!
- قشطة عليك، اتكل على الله بقى.

فتركه "كريم" وهو يتمتع بحزم متقمصاً شخصية أحمد مظهر في فيلم (صلاح الدين):

- "إذن فهي الحرب "

واتخذ طريقه إلى سيارته وما أن جلس بها حتى أخرج خط الهاتف الذي اشتراه، ووضعه في هاتفه وأجرى الاتصال :

- ألو أمن الدولة ؟ عندي بلاغ مهم عن تهديد بتفجير الكنيسة الموجودة في " أحمد عصمت".

وبعد انتهاء المكالمة لم يشعر برغبة في العودة إلى المنزل في الحال، فلما لمح مقهى آخر على ناصية الشارع؛ حمل حقيبة الكمبيوتر المحمول الخاص به، وذهب ليجلس عليها قليلاً يتصفح البريد الشخصي و المواقع الإخبارية.

مضى عليه وقت كبير يربو علي الثلاث ساعات، وهو جالس في مكانه حتى وجد هرج ومرج بين الناس، وقام ليجد عربات الشرطة وأكثر من خمس عربات أمن مركزي مصفحة ومملوءة بالجنود، يقتحمون الشارع صوب بيت "حديدة"، ولم تمر ربع الساعة حتى وجدهم يدفعون الأخير وبعض زملائه أمامهم، وبعضهم ينهال عليهم صفعاً على أقفيتهم وركلا على مؤخراتهم، حتى أدخل وهم في عربة الشرطة وانطلقوا.

راق له كثيراً عبارات الفرحة التي أخذ البعض يطلقها، وعن المنطقة التي تطهرت أخيراً من الحشاشين والبلطجية؛ فجلس والفخر يملأه وأجرى اتصالاً بصاحب الفكرة " خالد " يخبره بما حدث :

- بس ورينا تسلم دماغك يا حبيبي، لما أقابلك ليك عندي عزومة جامدة ... سلام يا برنس.

ثم أخذ يرشف من كوب (النسكافيه) الذي طلبه بنهم شديد، فقد تخلص ممن أراد أن يفرق بينه وبين حبيبته ... "تقى" .

مرت الأيام التالية بدون أي منغصات تذكر، حتى الرؤى الظلامية اختفت ولم تعد تأتيه، وانشغل هو في التحضير ليوم الخطوبة بالنهار، وبالليل في مهاتفة "تقى" يتحدثان عن اليوم الموعود، أيام مرت عليه وقلبه ينبض باسمها؛ حتى أتى اليوم أخيراً.

مد يده ليلتقط أناملها الدقيقة برقة وهو ينظر إليها بحب وهيام:

- أخيراً.

ارتسمت على وجهها ابتسامة مشرقة مشوبة بالخجل وهي تسحب أناملها من بين يده:

- اهدى يا عم الرومانسي، أهلي حوالينا.

التفت حوله وقد تذكر أنهم في وسط حشد من الأهل والأصدقاء في حفل خطبتهما الذي تمناه منذ أن تعرف عليها، فأخذ يوزع الابتسامات يمنة ويسرة، ويلتقط الصور مع الأصدقاء وأطفال صغار لا يعلمهم، تأتي بهم إحدى النساء؛ ليحمله العريس ويلتقط معه بعض الصور كأنه حفل تنويج لا حفل خطبة، وسؤال مُلح يتردد على ذهنه وهو: هل يفعلها أحد الأوغاد الصغار ويول على بنطاله؟! ... ولكن والله الحمد لم يفعلها أحدهم.

ساعات حفل الخطوبة مرت عليه كأنها دقائق معدودة، حتى انتهى الحفل ورحل معظم الحضور وبقي هو وأمه مع "تقى" وأسرتها قليلاً ثم استأذن في الانصراف حتى يذهب بأمه إلى البيت، لكم تمنى أن تطول المدة قليلاً، أو ينفرد بخبيبته، ولكنه متى نفسه بأن الأيام قادمة وسينهله فيها من السعادة نهلاً، وبعد أن وصل وأمه إلى شقتهم ودخلا؛ حتى جذب أمه وقبل جبينها فرحاً وهو يقول بسرور :

- أنا مبسوط أوي يا أمي.

فضمته إلى حضنها ومسحت على شعره:

- ربنا يبسطك دايمًا يا حبيبي، ده النهاردة أسعد يوم في حياتي
- قريب يا أمي التجوز وأجيب لك قرد صغير يقرفك هنا
- يا حبيبي ده يوم المنى.

ثم تركها بعد أن قبلها مرة ثانية:

- هأروح أغير هدومي بقى يا ست الكل
- تحب أحضرك أكل
- أكل إيه يا حاجّة، أنا هروح أريح شويه
- نوم العوافي يا حبيبي.

ظل واقفا مكانه حتى دخلت أمه حجرتها ثم انطلق إلى حجرته وهو يغني من الفرح، وما أن وصل إلى باب حجرته ودفعتها ووضع قدمه في الغرفة حتى تغير المكان تمامًا.

شيء جديد عليه لم يمر به من قبل أبدًا، فحتى الرؤى كانت تأتيه كأنه يراها بعينه أو بعيني من تكون الرؤيا خاصة به، لكن هذه المرة كانت الرؤيا أشبه بانتقال جسده كليًا من مكان إلى آخر، فما أن دخل الحجره حتى اختفت جدرانها وأثاثها؛ ليرى أنه في مكان آخر وحجرة أخرى يعملها الظلام في رؤية ضبابية مشوشة، كأنه يرى من خلال بلورة مليئة بالثلج؛ فأخذ يجول ببصره في المكان حتى رأى جسدًا مسجى على فراش طبي مكبل اليدين والقدمين والرأس، وبجانبه رجال يرتدي معطفًا طبيًا يوصل بعض الأقطاب برأس ذلك المكبل إلى السرير، والأقطاب موصولة بجهازين غريبين، يظهر على كل منهما خط متعرج علوًا وهبوطًا.

تكلم الرجل الذي يرتدي معطف الطبيب بكلمات لم يميزها "كريم"؛ فاقرب منه حتى يرى وجهه، فلم يستطع ذلك بسبب تلك الضبابية الغريبة، ولكنه حين التفت إلى ذلك المقيد إلى السرير صُعق مما رآه ... فقد رأى نفسه !!!

ثم رأى الطبيب يلتقط شيئاً من جيب معطفه، فإذا بها كمامة صغيرة جربها في الهواء ثم التقط اليد اليسرى لذلك المقيد وأمسك بإصبع الخنصر، ووضع طرف الكمامة على ظفريه استعداداً لانتزاعه، حاول "كريم" أن يصرخ بالرجل فلم يستطع، فهجم عليه يمنعه ولكنه مر منه كأنه شبح، وحينما بدأ الرجل في انتزاع الظفر صرخ "كريم" المقيد وصرخ "كريم" الواقف فقد شعر بنفس الأمل، ورفع يده أمامه يمسكها بيده الأخرى من الأمل؛ وإذا بالدماء تفور من مكان الظفر المنتزع.

اقتمحت والددة "كريم" الحجرة عندما سمعت صراخه الذي يصم الآذان؛ فإذا بابنها ملقى على الأرض يمسك يده اليسرى بيده اليمنى وهو يتشنج:

- مالك يا حبيبي فيه إيه؟

صرخت به وهي تحاول إتهامه؛ فباعت محاولاتها بالفشل بسبب حركته المتشنجة وهو على نفس الوضع، وصراخه يملأ المكان، أما "كريم" نفسه فقد كان في مكان آخر بعقله وهو يتألم بأشد ما يكون، وعندما اختفت الرؤيا سكن جسده وقام مع والدته التي ظلت تلح عليه بالسؤال عما حدث، فنظر إليها نظرة خاوية ووجهه يتصبب عرقاً... ثم سقط مغشياً عليه.

الورث

يومان لم يذق فيهما طعم النوم بسبب ما رآه، تمر على خاطره ومضات من الرؤيا الظلامية الأخيرة؛ فيقشعر بدنه وتحتلج نبضات قلبه، وهو يعلم أن هناك خطراً قادماً من غير أن يدري متى سيأتي أو لماذا، بالرغم من إلحاح أمه في سؤاله عما رأي إلا أنه لم يخبرها بالحقيقة، وأيقن أنه لن يستفد شيئاً من إثارة ذعرها:

- مفيش يا أمي، دي إيدي وجعتني فجأة ومش عارف ليه ؟
- يااااا سلام !!؟

تقولها وهي تعيد السؤال مرة أخرى فيصر على إجابته:

- بجد يا حاجة، أنا هابقي أروح أكشف إن شاء الله وأطمئك.

تنظر إليه لحظات ثم تمز رأسها غير مقتنعة وتتركه وتنصرف إلى خارج غرفة.

كان يعلم أنها لا تصدقه، ولكنه رأى أن ذلك أفضل من أن يربعها برؤياه.

اليوم هو الخميس، لم يشعر بالرغبة في الذهاب إلى العمل فاتصل بالشركة وأخذ أجازة مرضية، ثم جلس في غرفته حتى الظهرية أمام الكمبيوتر يتجول على الإنترنت ويتناسى رؤيته الدموية، سمع صوت مزلاج الباب يفتح، ووجد والدته تطل برأسها داخل الغرفة وتنظر إليه:

- أنا نازلة يا "كريم"، عايز حاجة يا حبيبي ؟

- رايحة فين ؟

- هاروح عند خالتك اقعد معاها شويه

- طيب استني آجي اوصل لك

- لأ خليك، أنا هاركب تاكسي من الباب للباب

- طيب سلميلي عليها وابقى طميني لما توصلني هناك

- ياذن الله يا حبيبي

- وخدي موبايلك معاكي، بلاش تنسيه زي كل مرة
- ماشي ... سلام عليكم
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أغلقت الباب خلفها وانصرفت، وعاد هو إلى جهازه وظل يطالع الإنترنت، فكر أن يبحث عن أي شيء يتعلق بالقدرات الخارقة من أبحاث علمية أو حتى الخيال العلمي؛ ففتح موقع "جوجل" وجلس لحظات لا يفعل شيئاً ثم كتب في محرك البحث جملة " القدرات الخارقة " وضغط زر البحث؛ فظهرت أمامه عشرات النتائج تؤكد أننا شعباً متديناً بطبيعته؛ فقد كانت كلها تتكلم عن " القدرات الخارقة في ليلة الدخلة " أو " القدرات الجنسية الخارقة " ولم يجد من بينها أي شيء يخص ما يبحث عنه.

فظل ينتقل بين مواقع الأخبار، وبين المهري الذي يحدث في موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) يشاهد الصور التي تتناقلها صفحاته من نوعية طائر برأس كلب ومكتوب فوقها (لا تخرج قبل أن تقول سبحان الله)، أو صورة أبيض وأسود لكارل ماركس وهو يرتدي الغترة والجلباب ومكتوب فوقها (صورة تثبت أن كارل ماركس قد اعتنق الإسلام قبل وفاته، ومن يقول بأن هذه الصورة فوتوشوب فهو كاذب؛ لأن أيام كارل ماركس (لم يكن هناك فوتوشوب)؛ فأغلق الفيس بوك قبل أن تنفجر مرارته، ثم فتح موقع التواصل الآخر (تويتر) ليجد فتيات يسبون الدين بكل أريحية، أو فتاة تسأل عن كيفية وضع حلق في لسانها وتقول في آخر التغريدة (علشان الحركة دي سكسي موت)؛ فأغلقه هو الآخر وفتح أخيراً موقع اليوتيوب ليشاهد بعض مقاطع الفيديو المنتشرة حتى يقتل وقته.

ساعتان كانتا كافيتين؛ فأغلق شاشة الكمبيوتر على لوحة المفاتيح ثم رجع إلى الورااء يقطع فقرات ظهره، ثم قام إلى خارج الغرفة متوجهاً إلى الثلاجة؛ ليحضر أي شيء يأكله، وقبل أن يصل إلى المطبخ رأى غرفة مقتنيات والده الراحل المغلقة والتي لم يدخلها سوى مرتين أو ثلاثة مرات منذ أن انتقل إلى الشقة الجديدة، نسي ما خرج من أجله وتوجه ناحية الغرفة، كأن هناك نداء مجهولاً يجذبه إليها.

أمسك مقبض الباب وفتح الغرفة ودخل إليها حتى توقف في منتصفها، في مواجهة الباب على الجانب الآخر من الغرفة يوجد دولاب خشبي واجهته من الزجاج الشفاف، وبجانب الحائط الأيمن للغرفة يوجد كرسي متحرك وهو الكرسي الخاص بالده، وفوقها صورته وعليها شريط أسود من الطرف العلوي، فما

أن رآها "كريم" حتى شعر بالحزن واسترجع الذكريات القليلة عن والده الراحل ثم تذكر الرؤيا التي أتته قبيل وفاته بأيام؛ فشعر بحزن وانقباضة في صدره:

- الله يرحمك يا بابا.

أدار وجهه ناحية الدولاب الخشيبي بني اللون وتوجه إليه، ووقف أمامه يشاهد ما بداخله، أشياء متناثرة لا تربطها ببعضها أي صلة سوى أنها كانت تخص والده أو جده، مبسم سجائر و نظارة شمسية كبيرة وقلم حبري وأشياء أخرى كانت لوالده، اتسعت ابتسامته "كريم" حين رأى علبة صغيرة غلافها الأعلى من البلاستيك الشفاف بداخلها خصلة شعر سوداء اللون.

سأل والدته يوماً بعد وفاة والده بفترة عن سر تلك الخصلة التي كان والده يحتفظ بها؛ فضحكت واكتسى وجهها بحمرة ثم أخذت تحكي له :

- الخصلة دي بقى يا "كريم" حكاية لوحدها، كنت لسه متجوزة أبوك جديد بمقاليش شهرين، وكان أبوك لازم يسافر أسبوع إسكندرية في شغل، وقبل ما يسافر بيوم جالي وطلب مني حاجة غريبة أوي، قال لي: أنا عايزك تقصي حنة صغيرة من شعرك. بيني وبينك افكرته اتجنن؛ فسألته وأنا مستغربة أوي "ليه يا راجل؟!!!" فقال لي: "علشان أخذها معايا وأنا مسافر تونسني، ويرحتك تفضل معايا"، أقول له: يا راجل شعري يبوظ، فضل مصمم وقال لي: هاتيها من آخر شعرك من تحت، إن شالله حنة صغيرة، في الآخر سمعت كلامه، وقصتها من شعري وادتماله فخذها وحطها في العلبة دي، وسافر ثاني يوم ولما رجع شالها مع الحاجات الباقية، ولما قولت له ارميها قال لي: "ده أنا لا عشت ولا كنت لو رميت حنة من روحي" ... إيبيبيبه كانت أيام.

- الله الله ... ده بابا كان رومانسي بقى !

- أبوك ده كان أبو الحب والدلع كله، وكان محسني كإني ملكة، لولا الشلل اللي جاله بدرى ده

... ربنا يرحمك يا عبدالله ويجعل مثواك الجنة

- اللهم آمين يا أمي.

فتح "كريم" الباب الزجاجي للدولاب، وتحسس العلبة التي تحوي خصلة شعر أمه وهو يبتسم، ثم رفع يده والنقط نظارة والده الشمسية وارتداها، ولم يكذب يفعل ذلك حتى اختفت الغرفة ليجد نفسه في سيارة أجرة وهو يستحث السائق على الإسراع، وصوت صراخ يأتي من جانبه يكاد يمزق طبلة أذنه، فالتفت إلى جانبه:

- خلاص أمه يا حبيبي قربنا نوصل
- مش قادرة يا "عبدالله" مش قادرة، حاسة إني هاولد دلوقتِ

شد على يدها وعاد ينظر إلى السائق:

- بسرعة يا أسطى، الولية هاتولد
- ماتخافيش يا حبيبي، ماتخافيش.

حوطها بذراعه وهو ينظر إليها ويمطرها بعبارات التشجيع والطمأنينة.

أمه ! كانت أمه، ولكن في زمن آخر ومكان آخر، لم يكن لـ "كريم" أي دخل في الأحداث، ولم يكن إلا مجرد متابع بعيني والده، اختفى المكان ليجد نفسه في مستشفى، يقف أمام باب غرفة العمليات والقلق يعبث بقلبه حتى خرجت إحدى الممرضات؛ فتلقفها بلهفة:

- هاه، إيه الأخبار؟
- جالك ولد إنما إيه حتة سكر
- ما أنا عارف إنه ولد، أنا بأسألك عن أمه
- وعرفت منين إنه ولد؟!
- يا ستي مالكيش دعوة، المهم مراقي عاملة إيه؟
- الحمد لله زي الفل، شويه كده وهانخرجها
- الحمد لله ... الحمد لله
- هاتسمي الواد إيه بقى؟

صمت يفكر بفرحة قبل أن يرفع رأسه إلى الممرضة:

- "كريم" ... هاسميه "كريم".

عادت جدران الغرفة والدولاب الخشي أمامه، فخلع النظارة والدهشة تسيطر عليه فلم تكن تأتيه رؤى من لمسه لجمادات من قبل، أعاد النظارة إلى مكانها وأخذ يجول بنظره في باقي المقتنيات، في الصف الأسفل كان يوجد جلباب قديم يخص جده ومقص كان يستخدمه جده في قطع غصون العنب عندما كان يعمل بالسخرة وهو شاب صغير قبل ثورة يوليو في وسية أحد الإقطاعيين، أو " البرنس " كما كان الفلاحين يلقبونه.

فمد يده وأخذ يفتحه ويغلقه في الهواء، وقبل أن يعيده إلى مكانه شعر بقلبه يرتج و تيار يزلزل خلايا عقله وجسده، فأغلق عينيه من الألم وفتحهما ليجد أن المكان قد تغير تمامًا، ووجد نفسه في أرض زراعية وحوله مجموعة من الفلاحين أطفال وشباب وكبار في السن، يعملون في قص غصون العنب، وبعض الفتيات يجمعون العنب في سلال من البوص، وكان هو معهم يشاركونهم في ذلك، لم تكن له القدرة في التحكم أو رؤية إلا ما يراه من خلال عيني الفلاح، ظل يعمل ويقص الغصون بيد مملأها الشقوق من العمل، وفجأة شعر بألم شديد على ظهره وكان سوطا قد ضربه، فالتفت بغضب إلى الخلف ليجد فلاحًا آخر يرتدي جلبابًا ومعطفًا قصيرًا وطاقيه بنية اللون طويلة، ويمسك بخزانة:

- آه يابن الكلب، بتضربني ليه ؟

- أنا ابن كلب يا حمار يا بغل، وحياة أملك لأوريك.

فرفع خزانته وانمال على جسده بالضرب؛ حتى اندفع فلاح كبير في السن ناهز الخمسين من عمره كان يعمل بجانبه، وأمسك يد الآخر الممسك بالخزانة:

- صلّ على النبي يا طه، ده أنت فلاح زيتنا يا أخي

- انت مش شايف ابن المرة ده بيشتمني إزاي يا حامد !!؟

- صغير لسه يا طه

- صغير إيه بس ؟! ده شحط أهه وعنده يجي عشرين سنة.

قالها وهو يشير إلى "كريم" أو إلى من تخصه الرؤيا والذي رد عليه بالرغم من جسده الذي يئن من الألم:

- ما تقلش ابن مرة، ولو شتمتني هاشتمك
- انت بتقاوح برضه؟!؟

همّ أن يضربه مرة أخرى، لولا أن حامد أمسك بيد الرجل يهدئ من غضبته وهو يقول له :

- ححك علىّ يا طه، أنا هاعرفه غلطه ... روح انت بس
- ماشي، لما أشوف هايتعلم الأدب ويشوف شغله كويس ولا لأ؟
- ثم انصرف وقام الفلاح الآخر " حامد " يربت على كتف "كريم" وهو يخفف عنه :
- يا "عب مجيد" بطلّ مقاوحة وبلاش ترد عليه، ده مفتري وممكن يقطع عيشك
- يقطعه يقطعه، يعني هي دي الجنة يا عم "حامد"؟!؟
- لا يا سيدي مش الجنة بس هي اللي بتجيلك فلوس تصرف بيها على أمك الغلبانة
- ثم حوط كتف "كريم" بذراعه وهو يقول بأسى:

- يا "عب مجيد" يا ابني، الراجل مننا يتهان ولا نسواننا تنكشف على حد غريب أو تخدم في البيوت.

ثم تركه وتنحى جانبا وعاد إلى عمله وهو يحث "عب مجيد" أن يكمل هو الآخر عمله، فالتفت وأمسك بالمقص، وأخذ ينظر إليه قليلاً قبل أن يعود إلى قص أغصان العنب، وأحس "كريم" بفسورة غضب تعتمل في قلب "عب مجيد" ورأسه وترسم له خيالات بقتل مراقب الأنفار "طه" فرفع المقص إلى أعلى، وتطلع إليه مرة أخرى قبل أن يعود إلى العمل والفكرة تكتمل في رأسه.

تبدل المكان ليجد "كريم" نفسه يقف هو وبعض الفلاحين وقد أوشك قرص الشمس على المغيب، ورأى الجميع يتوجهون إلى خارج الأرض الزراعية حتى لم يبقَ إلا هو وحامد، ورأي أيضاً مقال الأنفار "طه" يسير مبتعداً عنهم في الاتجاه العكسي وهو يرفع طرف جلبابه ويغيب خلف شجرة وكأنه سيقضي حاجته، ورآها عبدالمجيد فرصة مناسبة لقتله:

- ماتيالاً يا "عب مجيد"

أفاق من أفكاره فتطلع للحظات إلى المقص الذي يمسك به، ثم سار بجانب حامد في الطريق إلى عربة كارو، وفي أثناء السير أبطأ خطواته حتى تأخر عنه خطوات قليلة، تطلع إلى المقص مرة أخرى ثم رفعه أمام وجهه و أفلته.

طاف المقص في الهواء و لم يسقط على الأرض، كان "كريم" يرى ذلك بعيني عبد المجيد الذي حدق في المقص بثبات، وفجأة اندفع المقص طائرًا بسرعة خاطفة بعيدا عنه إلى حيث يقف مقاول الأنفار "طه" خلف الشجرة، وكأن نظره يطير مع المقص، رآه قد طار حتى وصل إلى أمام طه، وتوقف أمامه بمتريين للحظة فانتفض "طه" رعبا وهو يحدق في المقص برعب وهو يستعيد بالله من الشيطان الرجيم، ثم فجأة طار المقص بسرعة وهو يدور باتجاه "طه" واخترق قلبه وتجاوزته إلى الناحية الأخرى، ويتجنب الشجرة ليطير عائدا إلى يد عبدالمجيد الذي وضعه في جيب جلاباه، وأكمل سيره مع "حامد" وابتسامة رضا تكسو وجهه.

شعر "كريم" بذعر بالغ ولم يدرِ بنفسه إلا وهو يلقي المقص من يده، فاختمى المكان، ووجد نفسه يقف أمام الدولاب الخشبي في غرفة مقتنيات والده، تراجع بضع خطوات إلى الخلف يحدق في المقص الملقى على الأرض وهو يغالب غثيانه من منظر الصدر الممزق الذي رآه والذي كانت أداة الجريمة فيه هي مقص جده الراحل .

ظل يتراجع بظهره فارتطم بالكروسي المتحرك وسقط جالسا عليه، لتختفي الجدران والغرفة مرة أخرى ويجد نفسه جالسا على كروسي متحرك في غرفة طبية وأمه تقف أمامه تحدث طبيبا كبيرا في السن وبجانبهم طفل صغير لم يتعد الرابعة من عمره .

- يعني مفيش أمل يخف يا دكتور ؟
- هو صعب جدا، أكيد ربنا قادر على كل شيء
- طيب هو عنده إيه بالضبط ؟

قلب الطبيب كفيه بحيرة:

- المشكلة إننا مش قادرين نوصل للسبب، فيه جرح في رأسه ممكن يكون ده السبب.

هزت رأسها نافية :

- الجرح ده بقاله سنة كاملة لما وقع على راسه إنجرح
- مفيش سبب عضوي تاني يخلي الشلل يحصل بس غالبا المشكلة جت من إنهبير المخ نفسه
- طيب لو وديته مستشفى تانية ممكن حد يعالجه ؟
- براحتك، أنا بانصحك توفري الفلوس لأنك حتى لو سفرتيه بره مش هتلاقي علاج.

تركها الطبيب وخرج فربتت هي على رأس الطفل الصغير وهي تبكي:

- اطلع بره دلوقتِ يا "كريم"
- هو بابا ماله ؟
- تعبان يا حبيبي
- طيب ما ياخذ حقنة وهايخف
- "كريم" ... اطلع بره علشان خاطري.

أطاع الطفل أمه وخرج، وجلست هي أمام أبيه الجالس على كرسيه لا يتحرك؛ فظلت تبكي وقالت من وسط دموعها:

- ينفع اللي عملته فيا ده يا "عبدالله"

شعر "كريم" كأن الكلام يخرج من عقله ويستقر في عقلها، قائلاً لها :

- مش بإيدي يا "تهاني"، ده قدر ربنا.

لم تندهش الأم من ذلك وكأنها تعودت على مثل هذا الحوار العقلي:

- مهما حصل أنا هافضل تحت رجلك يا "عبدالله"
- ربنا يخليك، بس علشان خاطري سامعيني
- أنا حذرتك من كل ده، قلت لك اللي بتعمله ده ممكن يضرك، وأهه كلامي حصل ومحك ما استحملش.

هتفت بها وهي تشير إلى الكرسي المتحرك، وخرجت عباراتها ممزوجة بالبكاء والخوف، فضمها إليه وأخذ يربت على ظهرها ويقدم لها وعوداً كاذبة بالتخلي عن كل قدراته، وبعد أن هدأ روعها وجلست تحدّثه عن كل ما تعرفه عن قدرات والده الراحل، وما سمعته منه عن ما كان يستطيع جده فعله، قامت ودخلت غرفتها، وقام هو أيضاً إلى غرفته.

بالرغم من الرعب الذي سيطر عليه من فكرة أن يحصل له كوالده، ويقضي بقية حياته على كرسي متحرك، إلا أن القدرة الجديدة في معرفة ذاكرة الأشياء قد شغلته قليلاً... نظر حوله في الغرفة فوجد كوباً من المياه، مد يده ولمسه فلم يحدث شيئاً، أخذ يلمس الأشياء المتناثرة في غرفته فلم تأت أي رؤية جديدة، عاد مرة أخرى إلى غرفة المقتنيات وأخذ ينظر إلى مقص جده الراحل ثم اقترب منه وبجذر مد يده والتقطه.

أغمض عينيه بشدة منتظراً التيار الذي شعر به من قبل؛ فلم يحدث أي شيء، أخذ يمسك مقتنيات والده ويجلس على كرسيه المتحرك؛ حتى أيقن أن تلك القدرة كانت وقتية ولم يعد يملكها.

بخطى ثقيلة غادر غرفة والده حتى وصل إلى غرفته، وجلس يفكر في المصيرين اللذين ينتظرانه... إما الشلل، وإما الموت على يد قاتل مجهول.

وياهما من مصيرين !!

Overload

اكتظت صالة الشقة ببعض الأقارب والجيران يواسون والدة "كريم" التي جلست تبكي وبجانها جلست "تقى" تربت على ظهرها ودموعها تترقرق في عينيها هي الأخرى، في حين وقف أمامهم ضابط شرطة في صمت احتراماً لحزنهم قبل أن يقول بلهجة ودية :

- معلى يا أمي: أنا مقدر حزنك بس لازم نكمل الإجراءات.

كفكت الأم دموعها ثم نظرت إلى الضابط بعينين حمراوتين:

- اتفضل يا ابني
- ممكن تحكيلنا إيه اللي حصل ؟
- امبارح كنت عند "تقى" وروحت بتاكسي ولما جيت البيت لاقيت أوضة "كريم" مبهدلة كأن حد كان بيفتشها.
- فى حاجة كانت ناقصة ؟
- الكمبيوتر ماكنش موجود
- اللاب توب ولا إيه ؟
- أبو سلك وشاشة ده يا ابني

وبعد أن انتهى الضابط من أقوال والدة "كريم" التفت إلى "تقى" ليسألها :

- وانتِ يا آنسة "تقى"، ماتعرفيش حاجة ممكن تفيدنا ؟
- أنا كلمته يومها العصر، ومن ساعتها ما كلمنيش تاني
- ما حستيش بأي حاجة غريبة ؟
- مش عارفة والله، هو كان عادي يومها بس قال لي إن عنده شغل مهم
- طيب هل في حد ليه مصلحة في أذية "كريم" ؟

صمتت "تقى" كأنها تخشى ما ستقوله:

- مش عارفة بس هو بقاله فترة مش مطبوط، وكأنه خايف من حاجة
- حاجة زي إيه ؟
- مش عارفة والله
- طيب في أي حاجة تخصصه ممكن تبقى خيط نمشي وراه ؟

فمدت "تقى" يدها وضمت حقيبة كمبيوتر محمول وهي متوترة :

- لا لا مفيش.

أكمل الضابط التحدث مع "تقى"، وبعيد عن الجمع وعلى مسافة قريبة في الصالة كان "كريم" يقف يشاهد ما يحدث بدون أن يستطيع التدخل، مجرد مشاهد لا غير، وتعجب "كريم" من موقف "تقى" فحقيبة الكمبيوتر المحمول التي ضمتها إليها تخصصه هو، فلماذا لم تعطها للضابط ؟

وقبل أن يطلق "كريم" خياله العنان، جاءت مكالمة للضابط فتنحى جانبا يستمع للمتحدث ثم أنهى المكالمة وقال لأحد رفاقه :

- لاقوا عربية "كريم" ده على الدائري وفيها دم.

توترت أعصاب "كريم" بشدة، ولكنه لما وجد أن لا شيء يستطيع فعله أخذ يتحرك بعصبية في الصالة؛ حتى تناهى إلى مسامعه صوت مميز من الشقة المقابلة كأنه صوت مذياع أو تلفاز فاقترب من باب الشقة ينصت إلى الصوت :

" في كلامي هقول ديليسبس ... هي دي كلمة السر ... ديليسبس ... "

كان الصوت لفيلم ناصر 56 مما يعني أن الأحداث ستكون في فترة الاحتفالات السنوية بتأميم القناة في شهر يوليو !

انتهت الرؤيا واستيقظ "كريم" على الفور والذعر يملأه، ومن غير تفكير قام وأحضر جهاز الكمبيوتر المحمول ماركة أبل الخاص به وفتحه وبدأ تشغيل تسجيل الفيديو، وأخذ يروي ما رأى:

" الرؤى بدأت تأخذ منحى جديد، أول مرة أحس بيه، دلوقتِ الانتقال مش مجرد الإبصار بعيني في المستقبل أو بعين من تخصصه الرؤيا، دلوقتِ باشعر بانتقال جسدي كله ومشاهدة كل حاجة بتحصل كإني في وسط الحدث. الرؤيا الأخيرة معناها إنه هايتم قتلي أو اختطافي في فترة الاحتفالات بعيد تأميم قناة السويس، يعني فاضل 8 شهور، واليوم ده هايبكون الكمبيوتر بتاعي بطريقة ما عند "تقى" وهايبكون حد فتش الأوضة بتاعي ... "كريم عبدالله" بتاريخ 2/11/2008

ثم أنهى التسجيل ورجع برأسه إلى الواء وهو يفكر في الخطر القادم.

شهر مضى والرؤى تأتيه بلا توقف يوميًا، وكلما أغمض عينه يراها وأحيانا أثناء اليقظة تأتيه، يدخل غرفة ليجد نفسه في مكان آخر وزمن آخر، ويظل عالقًا حتى تنتهي الرؤى، حتى الشيء الذي كان يستطيع التحكم فيه لم يعد تحت سيطرته.

فقدرته على رؤية غيب الشخص الذي يلمسه كانت بتحكمه، ولا يرى ما يرى إلا إذا أراد ذلك، ولكن الأمر تطور حتى أصبح كل من يلمسه -ولو عرضًا- تأتيه رؤى عشوائية بشكل متداخل ومفزع؛ حتى شعر بأن رأسه على وشك الانفجار، حتى اهتدى لفكرة أن يرتدي قفازين طول الوقت مما أثار علامات التعجب والاستغراب عند زملائه وخطيبته نفسها:

- مالك يا "كريم"؟

تقولها "تقى" برقة بعدما لاحظت تغير أحواله عما سبق.

- مفيش يا "تقى"

- لأ حاسه إنك متغير، ثم إيه كمان موضوع الجوانتِ ده (تشير إلى القفازين)

- أنا بس إيدي ملتهبة شويه؛ فلبست جوانتِ عدشان أغلب الوقت ببقى حاطط مرهم

- طيب عيني في عينك كده؟

يبتسم ويغير دفعة الحديث حتى لا تستمر في استجوابه، فبالرغم مما يعانيه الا أنه أمامها كالطفل الصغير، والوقت الوحيد الذي لا يحزن فيه هو الوقت الذي يجادتها خلاله، وبعد أن انتهى لقاءه معها ودعها وأهلها واستأذن وانصرف، وقبل أن ينطلق بسيارته لم يمنع نفسه من الابتسام وهو يتذكر ما فعله في "حازم حديدة" الذي اختفى من حينها، ولا أحد يعلم سبب احتجازه أو ما يحدث له الآن؟.

كانت الشمس لا تزال في كبد السماء، واليوم السبت أجازته، ولم يدرِ إلى أين يذهب، ولكنه في آخر الأمر قرر أن يذهب إلى البيت ليستريح قليلاً وفي المساء يجلس مع أصدقائه القدامى، فأدار سيارته في طريق المنزل ولكنه ما أن دخل إحدى الشوارع الجانبية حتى وجد أن الجو ليلاً، وهو في مكان غريب وسيارة أخرى يجلس هو بجانب سائقها الذي لم يستطع تمييز وجهه وإن شعر نحوه بالود وأنه صديق لا عدو، فجلس يشاهد الطريق الغريب الذي تسير فيه السيارة.

كان الطريق خالياً من المباني كأنها منطقة غير مأهولة أو سكنية، وظلت السيارة تسير حتى تراءى لـ "كريم" مبنى من بعيد كأنه مخزن، وما إن اقتربت السيارة من المبنى حتى توقفت السيارة على مسافة منها، وسائق السيارة يشير للمبنى وهو يقول بلهجة متوترة :

- هما مخبئنا هنا يا "كريم".

وفجأة اختفت السيارة وقائدها والمكان كله ليجد "كريم" نفسه أمام المنزل وقد ركن سيارته، لا يعلم كيف قاد السيارة أثناء الرؤيا بدون أن يصطدم بأي شيء، كأن عقله مبرمج على ما يفعله، لكنه رفض كل هذا وعقله يشتعل بالاسئلة، من ذاك الرجل الذي كان بجواره؟ وما ذلك المخزن؟ وما ذا حُيِّء فيه؟! "

"أبريل 2008"

" قدراتي تطورت بشكل عجيب جداً، الأول كنت باقدر أشوف الرؤى عن طريق لمس الأشخاص أو الأحلام في النوم واليقظة، لكن من أسبوع بدأت تظهر عندي قدرة ثانية، وهي معرفة تاريخ وكل حدث

مر أمام أي جماد بمجرد لمسه، القدرة كانت ظهرت عندي يوم واحد بس واختفت، لكن رجعت لي ثاني وبشكل دائم، أنا هاسمي القدرة دي (ذاكرة الأشياء)، أتمنى إنها تقدر توصلني للخطر القادم ... "كريم" عبدالله، بتاريخ 7/4/2008

ثم أنهى التسجيل، ومد يده يلمس كوب المياه الموضوع أمامه وهو يرى في رؤى متقطعة ما مر أمام الكوب من أول صنعه حتى ما كان يفعله "كريم" نفسه أمامه.

"مايو 2008"

" يارب أنا دماغى هاتنفجر، كل حاجة بلمسها بتخليني أشوف رؤى عنها، كل حاجة حتى هدومي، أصوات بسمعها دائما كأنها شياطين، ما بقتش عارف أركز في حاجة ولا اعمل حاجة، ولحد دلوقتٍ ما قدرتش أعرف أي حاجة عن اللي ها يحصل في الشهر الجاي غير الرؤى نفسها اللي بتجيلي ... "كريم" عبدالله، بتاريخ 12/6/2008

ثم أنهى التسجيل وأخذ يضرب رأسه في الطاولة وهو يصرخ بشكل هستيريك:

- يارب .. يارب.

فاقتحمت والدته غرفته واحتضنته وهي تبكي؛ فهي الوحيدة التي كانت تعلم كل ما يمر به؛ فرفع رأسه إليها وهو يبكي :

- أنا هتجنن خلاص يا أمي

- معلش يا حبيبي، فترة وهاتروح

- يا أمي أنا ما بقتش قادر ألمس حاجة، ده حتى الحمام بقى دخوله عذاب، أنا مش قادر أفهمك

بس بجد أنا بنهار، دائما بسمع أصوات.. دائما بأشوف حاجات.

ثم أمسك يد أمه بشدة وهو ينظر إليها بعينين حمراوتين من تأثير الدموع وقلة النوم :

- قوليلي يا أمي، هو والدي حصل له كده ؟
- أنا قلت لك كل حاجة عن أبوك يا "كريم"، وحذرتك مية مرة وانت اللي ماسمعتش الكلام، وآدي اللي كنت خايفة منه بدأ يحصل لك.

ثم ضمته مرة أخرى وهي تمسح على شعره تهدئه وهي تغالب دموعها:

- قدر ربنا مفيش مهرب منه يا "كريم"
- طيب واللي أنا باشوفه هايحصل في المستقبل ده يا أمي، اعمل فيه إيه ؟
- المستقبل بإيد ربنا، مفيش حاجة هاتضرك غير اللي ربنا رايدها.

رن هاتف المنزل فربت أمه على كتفه وانصرفت لترى من المتصل، وظل "كريم" واقفا مكانه لحظات ثم ألقى بجسده على السرير وهو يشوح بيده من اليأس، وما كاد يفعل حتى انكسرت مرآة التسيريحة فجأة كأن شيئاً قد اصطدم بها فوقف "كريم" يحدق بها وهو لا يميز هل ما يراه مجرد رؤيا أخرى أم حقيقة؛ فقد اختلط كل شيء في عقله.

سمع وقع خطوات سريعة قادمة إلى الحجرة فإذا هي والدته التي ظلت تحقد في المرآة المحطمة :

- ليه يا بني كده بس، اللي بتعمله ده عمره ما هايحل حاجة والله.

لم يرد عليها "كريم" على الفور وظل يتطلع إلى المرآة المحطمة والزجاج المتناثر بدهشة قبل أن يلتفت إلى والدته بنظرة ذاهلة :

- أنا ما كسرتش حاجة يا أمي، ما كسرتش حاجة.

بعدها جلس وحيداً يفكر، حادث آخر يضاف إلى قائمة الأشياء الغريبة التي تحدث له، ظل يفكر كثيراً في المرآة التي تحطمت وهو يسأل نفسه: هل يمكن أن يكون الحال وصل به إلى أن يكون حطم المرآة بنفسه ولا يتذكر، هل أوشك عقله على بلوغ مرحلة الجنون ؟ هو نفسه لا يدري هل ما يعيشه الآن واقع أم مجرد رؤيا مطولة، أم تراه يحلم وسيستيقظ ليجد نفسه في السابعة عشر من عمره عندما بدأ كل ذلك.

كان مستلق على ظهره يتطلع إلى سقف الغرفة وهو يفكر، وفي لحظة واحدة تغير المشهد ليجد كأن هناك كيسا بلاستيكيًا يغطي جسده ورأسه وكأنه راقد على منضدة معدنية، لم يملك حتى تحريك ذراعيه فقد كانت الرؤيا بعينه أو بعيني شخص آخر في وقت آخر، لم يعد يستطيع التمييز، تغيرت مشاعره وأحس بذعر لا مثيل له، أنفاسه مكتومة ودقات قلبه تتسارع كأن الموت نفسه يقف أمامه بمنجله، تناهى إلى مسامعه صوت إغلاق باب، ثم رأى كأنه يحرك يديه ويزيح الكيس من على وجهه ويحاول النهوض، بحركة متوترة عدل ظهره ليجد أمامه - على الضوء الخافت - غرفة مليئة بمناضد عدة كلها مغطاة بأكياس بلاستيكية ترقد تحتها جثث أخرى، حاول إنزال قدميه ببطء؛ فتعثر وسقط على جانب المنضدة وسقط بجانبه شيء آخر من على المنضدة المجاورة، فالتفت ليجد شخصًا ميتًا له نصف رأس مقطوعة رأسيا، وقد اختفى محه.

اختفت الرؤيا؛ فقام "كريم" يصرخ من الفزع، ثم ركض إلى الحمام وأفرغ ما بمعدته وشعر بغثيان قاتل يحرك معدته مما رآه، وأتت أمه تسعى إليه عندما سمعت صوته وهو يتقيأ:

- في إيه يا بني ؟

التفت إليها بعينين حمراوين، ولم يرد، فأعقت جملتها بأخرى وقد فهمت ما حدث :

- كابوس ولا ... ؟

مر بجانبها باتجاه غرفته وهو يتمتم :

- مش عارف يا أمي، مابقتش عارف أي حاجة

في اليوم التالي كان مواعده مع "تقى" وأسرتها حتى يختاروا الشبكة؛ فقد تم تحديد وقت الشبكة وكتب الكتاب في الشهر القادم، ووافق هو بالرغم من مخاوفه من الخطر الذي قد يحدث، جهز نفسه وارتدى القفازين وجلس في الردهة بانتظار والدته، وهو يتناسى الأصوات الخافتة التي يسمعه والتي أصبحت جزءاً لا يتجزأ من يومه، وظل هكذا حتى خرجت والدته التي ما أن رأت القفازين حتى مطت شفيتها امتعاضا:

- شيل الجوانتِ ده يا "كريم"، شكلك كده مش كويس

أخذ يتطلع إلى يده بحيرة :

- سامحيني يا أمي، شكلي يبقى وحش أحسن من إني أفضل أشوف تاريخ كل حاجة ألمسها، والله

أعلم هاتصرف إزاي قدام "تقى" وأهلها ؟

- طيب ودقنك يا "كريم"؟ كنت احلقها على الأقل بدل ما شكلك عامل زي أهل الكهف كده

- ياستي اعتبريني بقيت سلفي وكبري دماغك

- خلاص يا حبيبي اللي يريحك.

ثم انطلقا إلى أسرة "تقى" حتى يذهبوا سوياً، وما أن مرَّ على أسرتها ذهب بهم مباشرة إلى محل الصائغ، ولما

لم يجد أي مكان بجانب المحل لكي يضع سيارته أمامه أنزل والدته و"تقى" وأسرتها أمامه، ثم دار بالسيارة

وأوقفها على الجانب الآخر، وذهب إليهم في محل الصائغ:

- هاه إيه رأيك يا "كريم" يا ابني في السلسلة دي ؟

قالتها والدة "تقى" وهي تنتقي من بين مجموعة الجواهرات التي أحضرها لهم الصائغ، فرسم "كريم" ابتسامة

مصطنعة وهو يتأمل السلسلة :

- جميلة جداً يا طنط، بس الأهم رأي "تقى" مش أنا.

كانت "تقى" تتطلع إلى "كريم" بقلق وخوف عليه، فجذبت "كريم" من يده وتنحت به جانبا وهي تسأله

بود وحنان :

- "كريم"، مالك يا "كريم" متغير أوي ؟

- مفيش يا حبيبي والله، أنا بس تعبان شويه

- طيب صارحني، حد من أهلي دايقك ؟

- يا نهار أبيض!!! هو أهل القمر ده ممكن يزعلوا حد!!!؟

- طيب إيه بقي !!؟

قالتها بدلال أجبره على الابتسام:

- خلاص والله أوعدك إني هابقى كويس، يالاً بقى شوفي الشبكة يا سكر
- ماشي يا ... حبيبي.

كانت أول مرة تقول له صراحة "حبيبي" فانتفض قلبه فرحاً ونسي كل شيء، وقبل أن تذهب إلى والدتها استوقفها وعينيه تضحكان ربما لأول مرة منذ شهر:

- تعالي هنا، أنت قلتي لي ماشي يا إيه !!؟
 - لا خلاص هي بتطلع مرة واحدة، بس لو رجعت "كريم" اللي عرفته هاتسمعها تاني.
- ثم اتجهت إلى والدتها تكمل انتقاء الشبكة، وتركت "كريم" وهو يتأملها وعيناه تهتفان بجها، ولما انتهوا ودفع ثمن الشبكة للصائغ واستعدوا للرحيل، قال وهو يسبقهم في الخطى:

- ثواني ألف بالعربية وآجي أخدمك من قدام المحل

فقالت له والده "تقى" ضاحكة :

- ليه يا ابني هو احنا عواجيز أوي كده!!!؟ دول كام متر نعددهم وخلاص
- بس أنا خايف عليكم من العربيات
- علينا برضه ولا على "تقى"

قالتها وهي تغمز له مبتسمة قابلها بابتسامة مثلها :

- عليكم كلكم طبعاً.

ثم انطلق مسرعاً إلى الجانب الآخر ليفتح السيارة، فرأى والدته و "تقى" ووالدتها يعبروا الطريق، فعبرت والدته ووالدتها وقبل أن تكمل "تقى" العبور انكسر كعب حذائها فتوقفت للحظة فيما كانت هناك سيارة تعبر الطريق بسرعة باتجاه "تقى" حتى أصبح الاصطدام وشيكاً.

اتسعت عينا "كريم" من الفزع خوفاً عليها، أراد أن يتحرك فشعر كأنه مثبت إلى الأرض وعقله يعجز عن التفكير، وحتى لو تحرك لما وصل في الوقت المناسب، ولو توقفت السيارة لكان الارتطام سيحدث؛ فالمسافة بينها وبين "تقى" قريبة جداً، كاد قلبه يخرج من صدره من شدة دقاته، و شعور العجز أثقل كاهله وكل هذا فيما لا يتجاوز جزء من الثانية، للحظة خيل إليه أن كل شيء يسير ببطء شديد وكأن المشهد أمامه يعرض على شاشة لقطه لقطه، ولم يملك إلا أن مد يده وهو يصرخ باسمها :

- "تقى" ..

خلايا مخه تُعنصر وتصرخ وقلبه يتوالب وجسده يرتجف، وكأن روحه تفارق جسده، وكطالقة مدفع أحس بشيء غير مرئي يندفع من خلال أصابعه الممدودة باتجاه "تقى"، لا يدري ما حدث وكيف حدث، ولكنه وقبل أن ترتطم بها السيارة، شاهد جسد "تقى" يطير من مكانه إلى الواء لعدة أمتار حتى ارتطم ظهرها بالحائط المجاور لحل الصائغ، وكأن شيئاً قوياً قد حملها من مكانها.

فهرع من مكانه هو ووالدته ووالدة "تقى" باتجاهها ليطمئنوا عليها، فجلس وأقامها من مكانها وهو يتغاضى عن الألم الشديد الذي تصرخ به خلايا مخه :

- انت كويسه يا حبيبتي!؟

قامت "تقى" وهي تبكي من الصدمة غير مستوعبة لما حدث، ثم أشارت إلى المكان الذي كانت واقفة فيه :

- أ.. أنا كنت هناك وفجأة حاجة ضربتني وخليتني هنا ... هو إيه اللي حصل !!!؟

ربت على يدها بحنان، وتدخلت والدة "كريم" بسرعة في الحوار وهي تنظر إلى ابنها بطرف عينيها:

- يا حبيبتي ده ربنا بيحبك، وهو اللي أنقذك، لولا اللي حصل كانت العربية لا قدر الله خبطتك

فتحاملت على والدتها ووالدة "كريم" وقد قالت تطمئن أمها التي انهمرت دموعها :

- الحمد لله.. الحمد لله، أنا كويسة يا أمي والله

- "كريم"، إيه ده؟، مالك!!!؟

أشارت إلى أنف "كريم" بقلق وأحس هو بشيء دافئ يسير من أنفه على فمه؛ فمد يده يتحسسه؛ وإذا بالدماء تنهمر بشكل غزير، فمسحه بسرعة كما شعورا بالدهشة مما حدث، ورسم ابتسامة متكلفة قبل أن يشير لهم:

- خليكوا هنا بقي، أنا هالف بالعربية وأجي أخدمكم

دقيقتان و كان يقف أمامهم بالسيارة وبعد أن ركبوا جميعا:

- قبل ما نروح لازم نعدي على دكتور علشان نطمئن على "تقى"

- أنا كويسة يا "كريم"

- يا حبيبي مش هانفع، لازم نتطمئن عليك الأول.

ثم التفت إلى حماته الجالسة في المقعد الخلفي؛ فهزت رأسها موافقة إياه، فانطلق بالسيارة على الفور وعقله مشغول بما حدث منذ قليل ويدعو الله ألا تأتبه إحدى الرؤى أثناء القيادة.

"17 مايو 2008"

خمس دقائق ظل "كريم" جالسا فيها وهو يرتدي ملابسه الداخلية فقط ويربع قدميه كجلسه اليوجا، ويثبت نظره إلى الأمام بدون حراك ثم مد يده باتجاه الكوب الزجاجي الفارغ الموضوع على مسافة مترين أمامه، وظل ينظر إلى الكوب ويهز يده بحركة متوترة، ثم أنزل يده وهو يهتف بحنق :

- أستغفر الله العظيم، مش عايزة تشتغل ليه بس!!!؟

كان الحادث الأخير الذي آمن أنه هو من دفع "تقى" من مكانها يشغل جل تفكيره؛ حتى تناسى الأصوات التي يسمعها برغم شدة وطئتها عليه، فقام بتسجيل فيديو عما حدث كما اعتاد منذ فترة،

وظل يحاول تحريك أي شيء من حينها، ولمدة عدة أيام أن يفعلها مرة أخرى، وأن يتحكم في تلك القدرة الجديدة ولكن دون جدوى.

رفع يده مرة أخرى ببطء باتجاه الكوب وهو يضيق عينيه ويحرك أصابعه بنفس الرعشة المتوترة، لعله يستطيع تحريكها، وظل يحاول ويحاول ويضيق عينيه أكثر ويعتصر خلايا مخه:

- يا حلاوة أمك !

انتفض من مكانه عندما أتاها صوت والدته من عند الباب وهي تنظر إليه وتضحك :

- بتعمل إيه يا أهبل !!؟

- يا أمي أنت شوفتي أنا عملت إيه لما العربية كانت هاتخطب "تقى"!!؟

- أيوه شوفت، بس شوفت كمان اللي حصلك وشوفت شكلك كان عامل إزاي

- بس مع الوقت هأقدر أتحكم فيها

- هو أنت قدرت تتحكم في الأصوات اللي بتسمعها ؟

أطرق برأسه في حزن قبل أن يرفع رأسه مرة أخرى ويقول بنبرة يأس:

- لا يا أمي

- يبقى تنسى كل ده وتتنيل تقوم علشان الساعة 8، والمفروض تروح الشغل

ثم اقتربت منه ولطمته على رأسه مداعبة :

- قوم يا أهبل يالاً

فقام من مكانه مقبلاً يديها :

- تسلم إيدك يا ست الكل، هاليس وامشي حالا

- أحضرك الفطار؟!!

- لا ربنا يكرمك، ماليش نفس

- طيب يالاً قوم.

تركته والدته حتى يستعد للذهاب للعمل، وما أن تأكد أنها قد ذهبت حتى جلس مرة أخرى في نفس الوضعية، وضيق عينيه ومد يده إلى الكوب ففاجأه صوت والدته من خارج الغرفة:

- يا أهبل أنا لسه هنا

فقام من مكانه منتفضا :

- يادي النيلة ... هالبس أهه.

ارتدى ملابسه على عجل وخرج من منزله متوجها إلى عمله الذي ما أن وصل إليه حتى دخل مباشرة إلى مكتبه وهو يلقي التحية على من يقابله، وجلس على مقعده، فنظرت إليه زميلته "هايدي" بقلق؛ فقد تغيرت أحواله منذ فترة بطريقة ملحوظة للجميع ولم يعد ذلك الزميل المرح الذي كان يملأ أصدقاء المكان بضحكاته دائما.

اقتربت منه ومالت نحوه حتى لامس شعرها المنسدل جانب وجهه وتسلسل عبق عطرها إلى أنفه:

- شكلك النهاردة أحسن يا "كريم"

فأدار وجهه ناحيتها مبتسما :

- الحمد لله يا "هايدي"

- يا ابني البت دي شكلها فقر عليك والله

- لا والله يا "هايدي" هي مالهش ذنب، المشكلة تانية خالص

- طيب إيه المشكلة !!؟

- مش هأقدر أشرحها فعلا، كان نفسي اقول لك ادعي لي بس بالشباك اللي انت فاتحاه قدام ده مش هاينفع.

فضمت ملابسهها حتى تغطي فتحة صدرها، ومالت نحوه مرة أخرى:

- يا "هايدي" الله يكرمك أنا لسه ما اتجوزتش، ومش باستحمل اللي بتعمله فيا ده
- يا سلام، ما أنا طول عمري قدامك إيه اللي جد يعني !!؟
- معلش أصل الواحد كل ما بيتآخر في الجواز أعصابه بتسيب أكثر
- ثم ملمم بعض التقارير ليقدمها إلى المدير العام وقام وغمز بعينه لها قائلاً :
- المهم، اتطلقتي من جوزك والا لسه ؟
- بدأت أفكر في موضوع سم الفيران اللي قلت لي عليه.

فأشار لها وهو يضم يده ويرفع الإبهام بعلامة الاعجاب:

Go on -

وصل إلى غرفة المدير العام وطرق الباب، ودخل عندما أذن له الأخير؛ فقدم له التقارير المطلوبة وظل يناقشه فيها ساعة من الزمن وما أن انتهى حتى استأذن في الانصراف، ولكن المدير استوقفه:

- على فكرة يا "كريم" أنت مش عاجبني نهائي، بقالك فترة

فرد عليه متسائلاً :

- هو أنا قصرت في الشغل يا مستر "مظهر"
- لحد دلوقتٍ لأ، بس تركيزك قل وشكلك مرهق جدًّا كأنك مش بتنام
- يعني شويه تعب وهايروحوا بإذن الله
- تحب تاخذ كام يوم أجازة ؟
- لا يا أفندم مش مستاهلة ... بعد إذنك
- اتفضّل يا "كريم"

قبل أن يخرج من الباب التفت إلى مديره وقد تذكر أمراً:

- صحيح يا أفندم، هي سفريّة تركية لسه الأسبوع الجاي ولا اتأجلت

- هي الأسبوع الجاي بس مش هاتطلعها، أنا وعصام اللي هانروح
- ليه يا أفندم ده المفروض أنا اللي أروح
- معلش يا "كريم" أنت مش في المود بقالك فترة، انت عارف أنا باعزك أد إيه بس الشغل أولى من أي حاجة
- اللي تشوفه حضرتك.

وخرج من الغرفة والشركة كلها والغضب يعتريه واستقل سيارته وذهب ليقل "تقى" من الجامعة حتى بيتها، ولما وصل إلى الجامعة هاتفها ليعلمها أنه في انتظارها، ثم أراح ظهره على مقعد السيارة مغمضا عينيه حتى تأتي.

مر على خاطره تلك الرؤية الظلامية والخطر القادم والذي سيأتي في أقل من شهرين فأخذ يتذكرها وهو يحاول أن يستوعب أي شيء يدلّه على السبب الذي سيوصله إلى هذا الحال فلم يستطع، وبينما هو على حاله هذا انتفض على طرقات خفيفة على زجاج السيارة فإذا هي "تقى" التي وصلت وفتحت باب السيارة وجلست بجانبه:

- إزيك يا "كريم"

التفت إليها مبتسما :

- إزيك انت يا حبيبي
- حبيبي، حبيبي ... الكلمة لما بتتقال كثير بتفقد معناها
- طيب اعمل إيه إذا كان قلبي بيقولها طول الوقت!؟
- ماشي يا مثبتني
- المهم انت عاملة إيه دلوقت
- الحمد لله، بس ضهري واجعني من ساعتها، أنا من وقتها وأنا بافكر في اللي حصل، عارف يا "كريم" أنا بجد حسيت كأن حاجة خبطني جامد كأنها بتشيلني من قدام العربية

- أكيد ربنا عمل كده علشان يبحبك، هو لما قمر زيك عربية تخبطه أومال الخناشير اللي زي يحصل لهم إيه؟ يبخطهم قطر؟

- بعد الشر عنك يارب، هاه لسه الدم بينزل من مناخيرك

- لا الحمد لله، وكشفت وطلعت حاجة عادية سببها خوفاً عليك بس

- ألف سلامة عليك ... يالاً بقى علشان ما نتآخرش.

وما أن وصل إلى أمام بيتها حتى أوقف السيارة ونزلت وهي تودعه:

- سلام يا حبيبي

- يا نهار أبيض، دي تاني مرة تقوليها

- ما تنعودش على كده

- كلها شهر يا حبيبي وهاسمعاها على طول

- قول يارب.

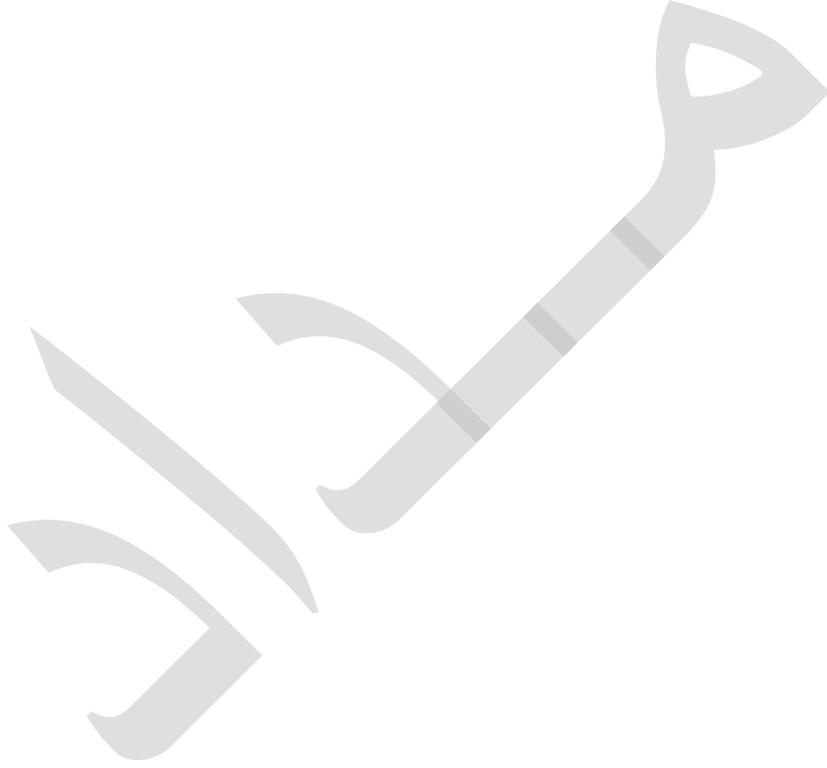
ثم لوحت بيدها مودعة وانطلقت تصعد درجات السلم، وانتظر هو حتى اختفت فعاد إلى وضعية القيادة؛ ليجد أن المشهد قد تبدل إلى الرؤية الظلامية للحظة من الزمن قبل أن يعود المشهد الطبيعي فوضع يده على وجهه من التوتر:

- يارب استر يارب.

ثم أدار السيارة وانطلق بسرعة لعله يصل إلى بيته قبل أن تعود الرؤيا مرة أخرى في الطريق، شارع تلو الآخر عبرهم بسرعة جنونية وهاهو يفصله بينه وبين منزله ثلاثة شوارع وفجأة اختفى الشارع و اختفت السيارة.

رأى نفسه مقيداً إلى منضدة تشريح وبجانبه شخص لم يستطع التعرف على وجهه، فوقف "كريم" يتأمل الحجرة؛ فوجدتها تمتلئ بأجهزة غريبة، وبجانب جسده المقيد أجهزة يخرج منها أقطاب موصلة إلى مختلف أجزاء جسده، وبجانب رأسه أيضاً، وفي آخر السرير وقف عدة أشخاص آخرون يرتدون معاطف طبية وكمامات تغطي نصف وجوههم وهم يراجعون الأجهزة؛ للتأكد من عملها قبل أن يرفع أحدهم رأسه،

وفجأة تحطم زجاج المحال المجاورة بدوي شديد، وتناثر حتى جرح الكثير من الناس بينما انفجرت نافورة دم
من أنفه وسال الدم بشدة على فمه وعلى الأرض وجسده ينتفض انتفاضة عصفور مذبوح قبل أن
يستكين عقله و جسده ويسقط رأسه على الأرض وهو مغشياً عليه



الفقدان

لم يعلم كم مضى من الوقت وهو غائب عن الوعي، فتح عينيه للحظات فلم يرَ إلا أشباح أناس يحيطون به، رؤية ضبابية مشوشة، صراخ هنا وهناك:

- فين الإسعاف ؟ ... الراجل بينزف بقاله ساعتين.

مازال على الأرض إذًا، يتفحصه البعض طوال الوقت ليتأكدوا أنه مازال على قيد الحياة، الأصوات التي في رأسه اختفت وكأن خلايا مخه ترقد في سبات عميق، ثم أغلق عينيه وفقد الوعي مرة أخرى.

يفتح عينيه ليجد أن بعض المسعفين يحملونه إلى سيارة الإسعاف، يغلقها ويفتحها مجددًا ليجد أنه يرقد على سرير يدفعه بعض الممرضين والأطباء، ووجهه صوب سقف الممر يطالع الأضواء، يغمض عينيه مرة أخرى، ويفتحها ليجد أنه يرقد على سرير في غرفة طبية وأقطاب موصلة في يده وعنقه وأمامه تلفاز مفتوح على إحدى قنوات التوك شو والمذيعات تتحدث عما حدث من انفجار لزجاج المحلات:

- وردنا خبر الآن أن بعض الجماعات التكفيرية قد قامت بعملية إرهابية وفجرت عدة محلات في إحدى شوارع المهندسين.

لم يسمع "كريم" ما قالته بعد ذلك فقد أغلق عينيه وغاب عن الوعي ليجد نفسه في مكان لا يعرف ماهيته، لا نور ولا ظلام ... كأنه أصبح عالقا في العدم .

أسبوع كامل مر عليه وجسده كما هو مسجى بلا حراك، لم تفارقه والدته لحظة بالرغم من إلحاح بعض أصدقائه عليها أن تذهب إلى البيت لتستريح ويرافقوه هم مكانها، "تقى" تأتي يوميا لتجلس بجانبه تقرأ القرآن وتدعو له وتنصرف في آخر اليوم وتأتي في اليوم التالي، كان الانهيار والحزن قد بلغ منهما مبلغه خاصة وكلام الطبيب لم يرح صدورهم.

- Coma

في اليوم السابع دخل طبيبان وأحدهما يتفحص "كريم" بشكل روتيني ثم مال على رفيقه لينطق بتلك الكلمة التي لم تفهمها والدة "كريم" ولكنها انزعجت عندما رأت تعبيرات الصدمة وقد ظهرت على وجه "تقى" حينما سمعت الكلمة فسارعت إلى الطبيب وهي تمسك بيده وتبكي وتسأله عن حالة ابنها فربت الطبيب على يدها بحنان وهو يقول:

- غيبوبة يا حاجة

- غيبوبة؟!، يعني ها يخف إمتي!؟

تذكرت زوجها وماحدث معه من قبل فور سماعها كلمة غيبوبة، اضطربت نبضات قلبها والخيالات تراودها أن الكابوس يتكرر والماضي الأليم يعود ولكنه اليوم قد يتلبس ولدها الوحيد، طردت الهواجس التي هاجمت رأسها وتمسكت بأمل أن يجيها الطبيب بكلمات تزيل كل شكوكها إلا أن رد الطبيب جاء كالصاعقة ليدمر ما بقي عندها من تماسك:

- الله أعلم يا حاجة، الغيبوبة ممكن تقعد شهر وممكن تقعد سنة ... الله أعلم

مادات بها الأرض فارتمت على الكرسي الصغير الجاور للسريير الطبي الذي يرقد عليه ابنها وهي تبكي و"تقى" تحتضنها بعدما تركت المصحف من يديها، وهي تشعر بألم يعتصر قلبها، ظلت "تقى" تواسي والدة خطيبها وتخبرها بأن كلام الأطباء لا يصيب كل مرة وأن الأمر بيد الله، تواسيها وهي تتمنى أن تجد من يواسيها هي، حتى انقضت ساعتان حتى سمعت صوت حركة من فراش "كريم"، فالتفتت إليه ووجدت أن رموشه تتحرك بسرعة ويده اليمنى تنتفض انتفاضة خفيفة، فأشارت إليه لتنبه والدته:

- "كريم" ... شوفي

فقامت والدته تتحسسها في حين أسرع "تقى" تستدعي الطبيب ليرى ما يحدث، أما "كريم" فقد كان في عالم آخر.

كان كما هو في العدم، مكان بلا نور أو ظلام جسده يتحرك بدون أن يحركه كأنه يرقد على سطح مياه تحركه أمواجها أو كأنه يطفو في فضاء سحيق، حي بلا حياة وميت بلا موت، لم يشعر بأي وقت يمر كأنه في مكان لا وجود للزمن فيه، وفجأة أرعدت السماء بصوت كاد يخرج روحه من مكمناها وأبرقت بضوء كادت عيناه تحترق من شدته، فأغمض عينيه وسد أذنيه للحظات حتى اختفى الصوت ففتح عينيه ثانية ورفع كفيه عن رأسه ليجد أن المكان تبدل إلى مكان رآه من قبل، كان في وسط أرض جرداء لا نهاية لها سماءها تبكي أثارا والبرق يشق السماء بدوي مخيف بين اللحظة والأخرى، وفي وسط المكان من بعيد رآه، رأى من بعيد رجلا ملامحه غير واضحة وقد عطف على وضع شاهد قبر بجانب قبر آخر قبل أن ينهمك في الحفر أمام الشاهد الجديد، نفس الرجل الذي رآه "كريم" قبل أن يموت والده، بحذر وخوف وملابس ووجه أغرقتهم السماء بمائها اقترب من الرجل ليسأله بصوت مرتعد:

- كده أنا هاموت ؟

لم يجبه الرجل وظل يكمل الحفر كأنه لم يسمعه، فالتفت "كريم" إلى قبر والده يتأمله بحزن قبل أن يلتفت مرة أخرى إلى الكائن الذي يحفر القبر بلا اكتراث كأنه يقف وحده:

- هاموت ... صح ؟

وعاد لي طرح أسئلة يعرف أنه لن يجد أي إجابة لها عند الواقف أمامه:

- طيب والأحلام اللي كنت باشوفها معناها إيه ؟

توقف الرجل عن الحفر وألقى الشادوف الذي يحفر به ثم التفت إلى "كريم" وتحرك نحوه بسرعة خاطفة ثم اخترق جسده وظل بداخله، فصرخت خلايا جسده ومخه وأحس بشيء ينتزع من خلاياه كأنه صوف ينتزع من حديد فجثا بركبته على الأرض وأسند يده أمامه بدون أن يستطيع أن يطلق حتى صرخة ألم، وشعر بقلبه يتواثب وكأنه سيخرج من فمه.

أتى الطبيب الشاب مسرعاً ملبياً توسلات "تقى" واقتحم الغرفة معها لما سمع أم "كريم" تصرخ طالبة المساعدة، فنظر الطبيب إلى الجسد الراقد بدهشة وانزعاج ثم مال بجسده وأخرج رأسه خارج الغرفة يصرخ في أربع ممرضات يقفن بالخارج :

- تعالوا بسرعة.

كان جسد "كريم" كله ينتفض بشكل عجيب ثم بدأ ظهره في التقوس إلى أعلى وينزل مرة أخرى ليعود لنفس الانتفاضة والتقوس بسرعة وبقوة وأمه تحاول أن تثبته، وما أن دخلت الممرضات حتى صرخ الطبيب بهن:

- ثبتوه جامد بسرعة، ظهره ممكن يتكسر كده.

هجمت الممرضات يمسكن جسد "كريم" من يديه وقدميه، وضغطت إحداهن على وسطه وبطنه لتمنعه من تلك الانتفاضة بعدما أبعدن عنه أمه التي ظلت تبكي وقد شعرت أنها تفقد ابنها الوحيد أمام عينيها، وبجانبتها "تقى" تمسك بيديها، أما الطبيب فقد ظل يتطلع إلى "كريم" وإلى الجهاز الذي يوضح قراءة إشارات المخ؛ فوجده يتوالب إلى أعلى وأسفل بشكل عجيب وحاد، وجهاز القلب كان نفس الأمر، وظلت دقات قلبه تتصاعد حتى سجل الجهاز أن عدد النبضات وصل إلى 200 نبضة في الدقيقة، فوقف الطبيب حائراً لا يعرف ما يمكن عمله في مثل هذه الحالة فقد كانت أول مرة يواجه أمراً كهذا !!

ظل جسد "كريم" ينتفض والممرضات يمنعه من الحركة؛ حتى صرخت إحداهن بالطبيب:

- نعمل إيه دلوقتِ يا دكتور؟

لم يجب على الفور وظل ينتقل بصره بين "كريم" وبين أجهزة إشارات المخ والقلب بحيرة، وقبل أن يهتدي لشيء يقوله سكن جسد "كريم" فجأة وتوقفت الجمال التي رسمتها أجهزة القلب والمخ، ليظهر بدلاً منها خطأً مستقيماً؛ لتعلن أن الجسد الموصول بها لم يعد يمت للحياة بصلة !

توقفت الممرضات عن الإمساك بجسد "كريم" لما وجدوا أنه توقف عن الحركة وتحرك الطبيب مسرعاً نحو الجسد، وظل يتفحصه؛ ثم رفع رأسه وأمر الممرضات أن يحضرن جهاز إنعاش القلب، لم تمر لحظات حتى

دخلت ممرضتان يدفعان جهاز الإنعاش، وأوقفوه بجانب السرير؛ فأشعل الطبيب الجهاز وأمسك قطبيه، في حين كشفت إحدى الممرضات جسد "كريم" ودلكت صدره بمادة ما قبل أن يقترب الطبيب ويضع قطبي الجهاز على صدر "كريم"، فانتفض جسده مرة واثنين وثلاثة، وظل الطبيب يحاول ويحاول وهو ينقل بصره بين الجسد وبين جهاز قراءة نبضات القلب، كاد يتوقف لولا صوت بكاء والدة "كريم" الذي دفعه لإعادة المحاولة عدة مرات أخرى؛ حتى أيقن من أن هذا الجسد قد فارقت الروح بشكل نهائي.

ظل "كريم" في وضعه الجاثي وهو يكاد يتمزق من الألم حتى أحس بشيء يخرج من جسده ليتوقف الألم فجأة، التفت "كريم" إلى الخلف ليرى الرجل صاحب اللاوجه وقد خرج من جسده وهو ممسك بشيء دائري له شكل جميل ومذهل وألوانه تتبدل بشكل دائم، فتحامل "كريم" على نفسه ووقف أمام الرجل الآخر وهو يلهث من التعب، وصرخ به:

- مش فاهم ... يعني إيه ؟

لم يعبأ الرجل بكلامه، ومر بجانبه كأنه لم يره، وتوجه ناحية القبر الذي حفره لتوه ووضع الشيء الذي أخرجه من جسد "كريم" في الحفرة وبدأ يهيل عليه التراب تاركًا "كريم" خلفه يكاد يهلك من الخوف والقلق.

اقترب "كريم" من الرجل بتردد وهو يقول بصوت مضطرب لا يكاد يخرج من فمه :

- انت عملت إيه ؟

توقف الرجل والنفت إليه من غير أن يتكلم، وبالرغم من أن الرجل بلا وجه إلا أن "كريم" شعر كأنه يتطلع إلى نقطة خلفه فأدار رأسه ليرى ماهناك؛ فوجد وكأن هناك فجوة تفتح في الهواء، ثم أخذت تتسع وتوسع وبدأت في جذب جسده بشدة، حاول أن يتشبث بأي شيء، إلا أن قوة جذب الفجوة اشتدت كأنها ثقب أسود خلفه نجم منفجر، اشتدت حتى طار جسده في الهواء إلى الخلف لتبتلع الفجوة جسده وصراخه وتنغلق بعدما غاب فيها.

وقف الطبيب يملي على الممرضة ما تكتبه في التقرير ثم نظر في ساعته :

- وقت الوفاة الساعة الثالثة والرابع عصرًا.

ثم التفت إلى "تقى" ووالدة "كريم" يبحث عما يقوله؛ فلم يجد إلا الجملة المعتادة " البقاء لله "، خرجت منه غير واضحة أو مفهومة، ثم نظر إلى الممرضة حتى تغطي الجسد الراقد وتوجه إلى باب الغرفة مغادرًا، وقبل أن يخرج من الباب سمع صوت الممرضة تصرخ؛ فالتفت ليجد "كريم" وقد عدل ظهره على السرير، وهو يمسك بيد الممرضة بقوة.

اندفع الطبيب مذهولاً ناحية "كريم"، وأمسكت أمه بكتفه:

- "كريم"، أحمدك يارب .

لم يبد عليه أنه قد سمعها أو أنه يدرك أي شيء؛ فقد ظل على حاله ونظره مثبت إلى الأمام بنظرة خاوية خالية من أي تعبير، ويمسك بذراع الممرضة التي حاولت تخليص يدها منه والذي كاد أن ينكسر، حاول الطبيب أن يعيد ظهره إلى السرير فوجد جسده متخشبا، فنقل الطبيب نظره إلى جهاز قراءة القلب والمخ فصعق من المفاجأة؛ فقد وجد أن الأجهزة لم تسجل أي نشاط حيوي لا في القلب ولا في المخ، وكأن الجسد قد تحرك وهو خالٍ من الحياة، ظلت الممرضة تصرخ من الخوف، وأم "كريم" تهز جسده لعله يفيق واندفعت "تقى" إلى الجانب الآخر من السرير وهي تكلم "كريم" وتهز جسده بشدة.

ظل على هذه الحالة ما يقارب الدقيقتين، والممرضة تحاول تخليص يدها وتساعدتها في ذلك زميلاتها، في حين أخذ الطبيب يحاول إعادة ظهر "كريم" إلى السرير، وبدون مقدمات أفلت "كريم" ذراع الممرضة وأخذ يحرك رأسه يمنة ويسرة، ويتطلع إلى يده التي كانت تمسك يد الممرضة بحيرة بالغة، ثم أراح ظهره على السرير، وعانقته أمه وهي تبكي؛ فربت على خدها برفق واقتربت "تقى" من أذنه هامسة وعيناها تترقق بالدموع:

- حمدا لله على السلامة يا حبيبي.

أدار وجهه لها وابتسم رغم تعبته :

- حبيبي؟ !، دي تالت مرة على فكرة
- وهقولها لك على طول بس أنت ارجع لنا تاني.

ابتسم مرة أخرى ثم أغمض عينيه واستسلم للنوم، وبعد أن فحص الطبيب جسد "كريم" تطلع إلى الأجهزة التي تراقب إشارات المخ والقلب ليجدها وقد عادت تعمل بشكل طبيعي.

وفي منتصف الليل استيقظ "كريم" من نومه، وفتح عينيه بعناء كأن جفنيه ملتصقان ببعضهما، وأخذ يتأمل سقف الغرفة للحظات ثم اعتدل، وأخذ يقلب بصره في الغرفة والأجهزة المتصلة به، وابتسم عندما رأى أمه تجلس على كرسي بجانب سريره وهي تغط في نوم عميق من كثرة الإرهاق والسهر.

قطب حاجبيه عندما تذكر أمراً، لا أصوات في رأسه ولا شيء مما تعود عليه، مد يده ولمس جهاز القلب فلم تأتته أي رؤى أو يسمع أي شيء حدث أمام الجهاز من قبل، ركز قليلاً فلم يتغير شيء، تذكر تلك الرؤيا التي رآها في غيبوبته فانقبض صدره، وربط بينها وبين اختفاء الرؤى والأصوات.

تذكر أيضاً تلك الرؤى الظلامية والدموية، وأن الأمل الأخير في معرفة من سيفعل به ذلك كانت موهبة الاستبصار، وضياعها يعني أن ما سيحدث لن يستطيع تغييره بدونها، ثم أراح ظهره على السرير مرة أخرى وهو يطرد تلك الهواجس من رأسه ويعزوا أمر فقدان قدرته إلى أن عقله مازال مرهقا ولم يستعد كامل قواه بعد .

لم يستغرق الأمر سوى يومين وخرج "كريم" من المستشفى؛ فلم تكن هناك إصابات بالغة من جراء الحادث، ولم يزد الأمر عن بعض الكدمات الخفيفة في منطقة الوجه والصدر، زالت وقتما كان غارقاً في غيبوبته، أنهى الأوراق اللازمة ودفعت فاتورة المستشفى وخرج مع "تقى" ووالدته وحمامته التي جاءت مع ابنتها، فأمسكت أمه بذراعه بعد أن قبلته للمرة الألف وهم في رواق المستشفى في الطريق للخروج منها:

- حمداً لله على السلامة

- الله يسلمك يا أمي.

وقال وهو يميل إلى "تقى" التي خرجت معهم وهي صامتة والفرحة بادية على وجهها :

- وانتِ مش عايزة تقولي لي حاجة ؟

- حمدًا لله على السلامة

- بس كده !؟ بيتهيا لي كان في حد قال لي إنه هايقول لي ببحك على طول.

اكتست وجنتاها بحمرة الخجل وهي ترد بجياء :

- انت صدقت ولا إيه ؟! دي كانت في لحظة ضعف، ثم أنا كان قصدي هقولها لك بعد الجواز.

لاحظت حماته الحوار الهامس بين ابنتها وخطيبها فتدخلت مقاطعة :

- حمدًا لله على السلامة يا "كريم".

فابتعد عن "تقى" قليلاً وقد فهم قصد حماته:

- أهلا بيك يا طنط، الله يسلمك يا رب.

ثم خيم الصمت عليهم حتى وصلوا إلى أمام المستشفى؛ فسلمت عليهم والدة "تقى" وأشارت إلى سيارة
أجرة :

- نستأذنكم احنا بقى، ابقى طمناً عليك يا "كريم"

- وتاكسي ليه يا طنط، ما أنا هاوصل لكم بالعربية

فردت عليه "تقى" ضاحكة :

- انت فقدت الذاكرة ولا إيه ؟! عربيتك في الإنعاش دلوقت.

ثم سلمت على والدته وأشارت إلى "كريم" مودعة، واستقلت السيارة الأجرة بجانب والدتها؛ فظل وأمه

واقفين حتى انصرفتا، ثم أشار لسيارة أجرة أخرى؛ حتى تقلهم إلى البيت وهو يسأل أمه :

- هي العربية فين دلوقت ؟
- الله يكرمه أبو "سيد" جارنا خلص كل حاجة مع التأمين، وودا العربية التوكيل يصلحوها، وكلها كام يوم وتتصلح
- طيب الحمد لله
- بس أنا والله نفسي ماتسوقش العربية الفترة دي، لحد ما نشوف حل في اللي بيحصل لك ده

رفع يدها و قبلها :

- خليها على الله يا ستي.

توقفت سيارة الأجرة بجانبهم؛ ففتح الباب لوالدته وجلس بجانبها، وأبلغ السائق بوجهته، ثم أراح رأسه إلى الخلف بعد أن انطلقت بهم السيارة.

"3 يوليه 2008"

فتح "كريم" الكمبيوتر المحمول وضغط زر بدأ تسجيل الفيديو، وجلس صامتاً يتطلع إلى الكاميرة عدة دقائق كأن الكلمات قد هربت منه، ثم أخذ نفساً عميقاً وبدأ في الحديث :

" من الواضح إني قد فقدت قدرتي بشكل نهائي، الأصوات والرؤى اختفت تماماً، حتى ساعات نومي القليلة بقت نوم أسود بلا أحلام، فاضل أقل من شهر والرؤيا تتحقق، والله أعلم هايحصل إيه؟ وأنا لحد دلوقت مش قادر أعرف إيه اللي هايصيب ده؟ وإزاي ده هايحصل ؟

سكت قليلاً يبحث عن شيء آخر يقوله، ولما لم يجد تطلع إلى النتيجة المعلقة على الحائط قبل أن ينظر مجددًا إلى الكاميرة.

" الله المستعان ... "كريم عبدالله" بتاريخ 3/07/2008

ثم أنهى التسجيل وظل في نفس الوضعية ينظر إلى الكمبيوتر بلا حراك كأنه تجمد.

لم يشعر يوماً بهذا القدر من الحزن والهجم، حتى وقتما كانت تأتيه الرؤى المزعجة أو يسمع تلك الأصوات، وقتها تمنى زوالها والآن يتمنى استعادتها، نفس شعور الأب الذي يكره الضوضاء التي يحدثها ابنه ليل نهار ويظل يدعو عليه بالويل والثبور وعظائم الأمور؛ وما أن يصيب ابنه مرض - ولو بسيط - تجده يبتهل إلى الله أن يشفي ابنه مما ألم به من مرض !!!

سائر إلى نهايته ولا يعرف كيف؟ والشيء الوحيد الذي كان يعول عليه في معرفة سبب ما قد يحدث ذهب بلا رجعة، شعور العجز أثقل كاهله حتى صار كشيخ يسير على الأرض ولا يعرف طريق النور الذي سينقله إلى الجنة، كبطل إغريقي يسير إلى نهايته بكل حماس وهو لا يدري.

قام أخيراً ليرتدي ملابسه ويذهب إلى العمل، ولما توقف أمام المرأة ليصفف شعره، أخذ يتطلع إلى ملامحه لحظات، تحت عينيه منتفخ بلون أسود بسبب الإرهاق وقلة النوم، وجهه وجسمه أصبحا نحيلين بسبب قلة الأكل، وذقنه نامية لم تعانق موسى الخلاقة منذ فترة . خطر على ذهنه أن شخصاً بهذا الشكل جدير بتجسيد إحدى شخصيات هتشكوك المختلفة.

حاول أن يطرد عن ذهنه كل تلك الأفكار، وأنهى ارتداء ملابسه وخرج من الشقة وأوقف إحدى سيارات الأجرة كما اعتاد منذ أن تعطلت سيارته، وأبلغ السائق بوجهة العمل، وانطلقت به السيارة .

يوم رتيب بلا تجديد، أصبحت أيام عمله كلها تشبه بعضها برتابة نهر يجري كل يوم في نفس المشهد منذ الأزل، يذهب إلى العمل ويجلس على مكتبه ويجري مكالمات قليلة مع فريقه، وعلى غير العادة أصبح يلقي عليهم عبء العمل كله وأصبح دوره مجرد متابع أو واسطة بين ما يطلبه مدير العمل وبين فريقه، يجلس يحتسي قذح القهوة الذي أصبح البديل (للسكافية)، يدفن رأسه بين ذراعيه على المكتب ثم يستغرق في النوم إن استطاع وإلا يظل على هذا الحال مستيقظاً حتى تنتهي ساعات العمل الرسمية، ثم ينصرف عائداً إلى بيته .

جلس في غرفته وحيداً مطلقاً لخياله العنان وهو يتصور ما يمكن أن يحدث له طبقاً للرؤيا، تذكر مشهداً مقززاً لأحد أفلام هتشكوك يحكي عن رجل فقد القدرة على تحريك كل أعضاء جسده إلا أصبع السبابة في يده اليمنى، هو الوحيد الذي كان يستطيع تحريكه فاعتقد الأطباء أنه قد مات؛ فأخذوه إلى غرفة

التشريح والرجل يحرك أصبعه بمعاناة وهو يتمنى أن يراه الأطباء، ولكن- وما أن دخل الأطباء- حركوا جسده ووضعوا يده التي تحوي الأصبع الذي يتحرك تحته في وضعية يستحيل عليهم أن يروا أصبعه فيها؛ ثم بدأوا في تشريح جسده وهو حي ويشعر بكل ما يفعلوه !!!

تمنى أن يقنع نفسه أن الرؤيا الدموية التي رآها ماهي إلا إسقاط لهذا المشهد الذي لم ينسه قط، ولكنه لم يستطع ذلك؛ فهو يعرف جيدًا الرؤيا الحقيقية حين تأتبه .

وبينما هو مستغرق في أفكاره السوداوية، إذ بوالدته تدخل عليه وهي تحمل صينية عليها بعض الشطائر وبجانبها كوب من الشاي؛ فاعتدل مبتسمًا ابتسامًا مصطنعة:

- ليه التعب ده بس يا أمي؟
- أنا قولت أجيب لك الأكل مادام ما طلبت بش بنفسك.

ثم وضعت الصينية على المنضدة بجانب الكمبيوتر المحمول، وجلست بجانب ابنها :

- وقولت يمكن مش عايز تاكل معايا والا حاجة
- أنا يا أمي؟! ... ربنا يسامحك ده أنت أحلى حاجة في الدنيا كلها.

ثم سكت، وسكتت هي الأخرى لبرهة من الزمن وهي تحديق فيه ثم قالت:

- انت زعلان يا "كريم" علشان الحاجات اللي بتشوفها راحت؟!!
- يعني المفروض أفرح يا أمي؟!!
- أيوه تفرح طبعًا

ثم أكملت بثقة :

- اللي أنت فيه دلوقتٍ أحسن مية مرة من العذاب اللي كنت فيه قبل كده، والا نسيت الأصوات اللي كنت بتسمعها، أو الحاجات الثانية اللي كانت بتخليك تقوم من النوم مفزوع، أو حتى تشوفها وانت صاحي.

- طيب والحاجات اللي كنت باشوفها هاعمل فيها إيه ؟

- كنت بتشوف إيه يا "كريم" ؟

تردد وتلعثم - فهو حتى هذه اللحظة لم يخبرها بحقيقة رؤياه والخطر الذي يجنئه له المستقبل - فهمت أمه
رغبته في عدم إخبارها فأكملت حديثها :

- مش مهم أعرف، ومهما كانت الحاجات اللي شوفتها ... كل ده مش مهم

- مش مهم إزاي يا أمي ؟

- أيوه مش مهم، يا ابني اللي ربنا رايده هايكون، والمستقبل بإيده وحده مش بإيدك، كام واحد كان

عايش حياته عادى ومات فجأة في حادثة عربية مثلا؟! إيه الفرق بينك وبينه ؟

- الفرق إني عارف وهو ماكنش عارف

- بالظبط ... يبقى الحل إنك تنسى خالص، وتعيش حياتك، وخلي المستقبل بإيده وحده .

قالتها وهي ترفع سبابتها إلى أعلى فتمتم :

- ونعم بالله

- يالاً بقى سيبك من الكلام ده وخليك في المههم

- المههم!؟

- أه طبعاً ... الأكل

- ماشي يا بطة بس يالاً نطلع بره وناكل مع بعض، ده الأكل من غيرك مالوش طعم .

ثم قام وحمل الصينية وسار خلفها وهو في قرارة نفسه يغطها على قناعتها وجهلها بما يجنئه المستقبل.

"10 يوليو 2008"

أمسك بكوب القهوة يرشف منه وهو يحدق في المجهول، كانت ملابسه غير مهندمة وذقنه النامية وشعر
رأسه الطويل المبعثر يدلان على أنه لم ينظر إلى المرأة أو يهتم بنفسه منذ فترة طويلة، جالساً على مكتبه
وأمامه تقارير عديدة مبعثرة على المكتب بطريقة عشوائية.

- بس .. بس ... "كريم"

لم ينتبه إلى زميلته في الغرفة التي مالت حتى لامس شعرها البني المموج مكتبها الخشبي وتهمس، لم يكن يشعر بأي شيء حوله ولا حتى شعر بمدير عام العمل الذي وقف يحدق فيه بغضب من بعيد حتى أتى إليه ونغزه في كتفه بخشونه فانتفض مفزوعاً :

- تعالى على المكتب يا "كريم"، بس روح الحمام الأول اغسل وشك
- حاضر.

لم تمر نصف ساعة حتى خرج من مكتب المدير بعد أن منحه الأخير أجازة شهراً كاملاً ، وعاد إلى بيته ممدداً جسده على سريره يفكر.

أكثر ما أهمه أنه لا يستطيع أن يحك للناس مشكلته، ولو قالها لما صدقه أحد ولا اعتبروه مجنوناً، هو يعلم أن نهايته ستكون في هذا الشهر على يد مجهول لم يتوصل إلى معرفته حتى الآن، وحتى الشيء الوحيد الذي كان من الممكن أن يساعده أو يرشده إلى ماهية السبب الذي سيؤدي إلى مقتله قد فقده وإلى الأبد.

عم "عبده"

" 13/07/2008 "

ضغط "كريم" زر بدأ تسجيل الفيديو وجلس يبحث عما يقوله :

" النهاردة الأحد يوم 13/07/2008 الساعة 2 الظهر، بقالي يومين قاعد في البيت بعد ما أخذت شهر

أجازة .. ثم أخذ يفكر في شيء يقوله، ولما لم يجد قال وهو ينهي التسجيل :

"مفيش جديد، وفاضل أقل من عشرين يوم على اللي هاجحصل."

قام يتحرك بعصبية في الغرفة بعدما أنهى التسجيل، لا يعرف ما يفعله أو حتى كيف سيقضي يومه، يفكر في الخطر القادم .

آمن بصدق المقولة : "أن انتظار المصيبة أشد من المصيبة نفسها " ها قد اقترب موعد تحقق الرؤيا، ولا يعرف شيئاً عنها .

يتألم من شدة الخوف والتفكير فيما قد يحدث، مثل الشاة التي ترى يوميا القصاب وهو يشحذ سكينه أمامها تنتظر الموت ولا تدري في أي يوم سيكون، أو كالمحكوم عليه بالإعدام في سجنه ينتظر التنفيذ ولا يعلم متى، وكلما سمع خطوات تقترب من باب الزنزانة يحسبها وقع أقدام من سينفذون فيه الحكم، يموت في اليوم مائة مرة في انتظار الموتة النهائية .

سؤال ظل يدور في ذهنه يبحث عن إجابة ترضيه ... هل يمكن تغيير المستقبل ؟

في البارحة كان يجلس في المقهى مع صديقه " خالد " السلفي الذي لم يعد كذلك، يتذكران أيام المراهقة فسأله "كريم" بدون مقدمات:

- تفكر يا خالد إن المستقبل ممكن الواحد يغيره ؟

بدت علامات التعجب على وجه " خالد " من السؤال :

- مش فاهمك
- قصدي يعني إن الواحد لو شاف حلم وحش لازم يتحقق والا ممكن يقدر يغيره ؟
- احنا مش أنبياء يا "كريم"، والحلم من الشيطان والرؤيا الصالحة من الله زي ما الرسول قال
- عليه الصلاة والسلام
- ثم إن الأحلام إما مبشرات أو تحذير، زي الحلم بتاع "عبدالله بن عمر" لما شاف نفسه هايدخل النار فالرسول لما عرف تبسم وقال (نعم العبدالصالح لو كان يقوم الليل).
- فهز "كريم" رأسه موافقاً وهو يحدث نفسه أن أحداً لن يفهمه، فمنذ أن منَّ الله عليه بتلك القدرة ولم يحدث أن أخطأت إحداها أبداً، وقد كان هذا من قبل يسعده، لكنه الآن يتمنى لو أخطأت.
- شيء آخر شغل فكره وهو أن موعد حفلة تقديم الشبكة وعقد القران في نفس الشهر في يوم 24/07/2008 كما تم تحديده سلفاً، أي قبل موعد تحقق الرؤيا بأيام قليلة جداً، ولكم تمنى لو استطاع الاعتذار وتأجيل الموعد؛ حتى لا يعقد قرانه على "تقى" وتصبح أرملة بعد ذلك بأيام .
- ظل على هذه الحالة من التفكير؛ حتى أتاه صوت هاتفه المحمول فأمسك به ليجد أن الاتصال من "تقى"، تردد قليلاً أيجيبها أم لا؟ ثم حسم الاختيار وأجاب الاتصال :

- أيوه يا حبيبتى

أتاه صوتها باكياً :

- أيوه يا "كريم"

- مالك، فيه إيه ؟!

- عمي مات من شويه يا "كريم"

- بجد !

قالها بفرح فقد جاءه أخيراً عذر قوي لتأجيل عقد القران، والسبب من عند حبيبته لا من عنده، فردت عليه من وسط بكائها:

- انت فرحان والا إيه !؟

تمالك شعوره بالفرحة، وحاول أن يتكلم بصوت حزين:

- لا طبعا يا حبيبي، أنا بس اتفاجئت بالخبر، هو عمك ده اللي ساكن قريب منكم ؟

- أيوه هو

- لا إله إلا الله، البقاء لله

- ونعم بالله

- طيب انتوا فين دلوقت

- بابا راح المستشفى يخلص الإجراءات وهانروح ندفنه في البلد

- مستشفى إيه ؟

أمسك بقلم وورقة ودون عنوان المستشفى:

- طيب يا حبيبي أنا رايح هناك حالا، سلام.

أغلق الهاتف وعلى عجل ذهب يرتدي ملابسه وهو ينادي والدته ليخبرها بما حدث:

- مااااااااااا

أتاه صوتها من الصلاة :

- إيه ؟

- مااااااااااا

فتحت باب الحجرة ودخلت وهي حاملة قطعة كوسة ومقوار محشي:

- عايز إيه ؟

- "تقى" كلمتني دلوقتِ وقالتي إن عمها اللي ساكن قريب منهم مات من شويه

- لا إله إلا الله، طيب ثواني البس وأجي معاك

- تيجي فين يا حاجة؟ أنا رايح المستشفى أقف مع أبوها، خليك انت وهاوديك العزا بالليل
- لا يا ابني ما يصحش لازم أجي، أنت توديني الأول البيت وابقى مع أم"تقى"، تبقى عيبة في حقي لو ما روحتش معاهم الدفنة.

أغلق أزرار القميص وأدخله في البنطال:

- ماشي يا حاجة، البسي طيب بسرعة علشان نروح
- هاروح البس أهه.

تركته وذهبت لرتدي ملابسها هي الأخرى، وبعد أن انتهى من ارتداء ملابسه خرج ينتظرها وقبل أن يستعجلها رن جرس الباب فذهب إلى الباب وفتحه ليجد "سيد" أو (الإنسان البيضاء) كما يسميه "كريم" منذ عرفه.

باءت محاولات "كريم" بالفشل عندما حاول منذ فترة أن يكتشف كيف لرجل خلو ق مثل جارهم "مُجد" وزوجته الودود "نعمة" أن يبيت لهم مثل "سيد"، و"سيد" ذو الـثمانية عشر عاماً- لمن لا يعرفه- يملك كل الصفات القذرة والمقززة في الكون كله، فبالرغم من وسامته التي ورثها عن أمه إلا أنه لا يتوانى عن حلاقة شعر رأسه كله وترك صف من الشعيرات في المنتصف كالديك، أو يرتدي دبلة فضية في إبهامه كشواذ أمريكا، قلما تراه إلا وهو يضع إحدى أصابعه في أنفه يعبث بداخلها، ولا يستبعد أن يأكل ما يخرج منها بعد ذلك، أما عن رنات هاتفه المحمول فحدث ولا حرج، في مرة كان "كريم" يقف أمام باب الشقة يعالجه بمفتاحه فسمع صوت كصوت إطلاق الريح من أحدهم فالتفت ليجد "سيد" بيتسم وهو يجيب الهاتف؛ فقد كان الصوت هو صوت نغمة الهاتف، في مرة أخرى يضع صوت إطلاق الرصاص، أو صوت عادل أدهم وهو يقول قولته الشهيرة: "والله القشطة وحشتني يا رجالة"، صافحه "كريم" مرة فأتته رؤى عنه أصابته بالغبثان، وعزف عن الأكل بسببها عدة أيام، رآه جالسا على سريره وقد رفع قدمه اليمنى إلى فمه ويأكل جلد أصابعها، ورآه في رؤيا أخرى يستمني في الحمام ومرة يبول في الحوض المخصص لغسل الوجه، ومن يومها و"كريم" يتحاشاه؛ حتى لا يضطر إلى مصافحته مرة أخرى .

- أيوه يا "سيد"، في حاجة؟

قالها باشمزاز لم يستطع منعه فابتسم " سيد " بلزوجة وهو يمد يده إلى "كريم" بمفتاح سيارة :

- بابا يبسلم عليك ويقول لك هو جاب العربية من التوكيل والمفتاح أهه

مد "كريم" يده متحاشيا لمس أصابع " سيد " ، وأخذ المفتاح:

- طيب هو بابا فين ؟ كنت عايز أسلم عليه

- بابا جاب المفتاح ومشى على طول علشان عنده شغل

- طيب لما يجي سلم لي عليه وقوله "كريم" يقول لك شكرا جداً على تعبك معايا

- هقوله ماشي.

ثم أتت اللحظة التي تمنى "كريم" ألا تأتي فقد مد " سيد " يده إليه ليصافحه، فقاوم اشمزازه ومد يد يسلم

عليه بأطراف أصابعه، و أغلق الباب بعد أن رحل البيضة، ثم دخل مسرعا وهو يتجه إلى الحمام، فوجد

أمه وقد خرجت مرتدية زي العزاء الشهير (طرحة سوداء وجلبابا أسود)، ولكنه مر بجانبها إلى الحمام :

- رايح فين ؟

- هغسل أيدي وأجي.

أفرغ على يده عبوة المطهر كلها وهو يفركها تحت الماء بشدة، أتاها صوت أمه من الخارج :

- مين كان بيخبط ؟

- ده البيضة يا أمي

- ال ... إيه ؟

- قصدي "سيد" يا أمي، أبوه ربنا يكرمه جاب العربية من التوكيل وبعث المفتاح مع ابنه

- طيب الحمد لله، جت في وقتها وأهه كده أحسن من بهدلة التاكسي.

خرج إليها وهو مستمر في مسح يده بالمنشفة بشدة :

- مالك يا ابني ؟! أنت جالك جرب ولا إيه ؟!!

ألقى المنشقة جانبا :

- والله الجرب أهون
- أهون من إيه ؟
- سيبك انت، ماتركزيش كثير .

ثم توجهها إلى الباب استعدادًا للانطلاق إلى الدفنة والعزاء .

في المساء كان "كريم" يقف بجانب حماه يصافح المعزين ويشرف على تقديم مشروبات العزاء الشهيرة إليهم (شاي وقهوة) التي لم يصل "كريم" إلى العلاقة بينها وبين العزاء وسأل نفسه يوما:

هل لو تم تقديم مشروب الليمون أو المانجو سيزيد ذلك من عذاب الشخص المتوفى أم ماذا !!؟، ولماذا أصلا تقديم مشروبات لأناس جاءوا لمواساة أهل شخص مات؟! في الوقت الذي يحتاج أهل المتوفى إلى من يأخذ بيدهم ويرفع عنهم الحزن.

أما على الجانب الآخر كان شخص ما يمر على المعزين ويقدم السجائر للمدخين، وبعد انتهاء العزاء وانصراف الحضور، وقف "كريم" مع حماه يعرض عليه مالا فرفض الأخير بشدة وهو يشكر "كريم" على ذوقه وأدبه ثم صمت قليلاً قبل أن يقول بتوتر :

- شكرا يا "كريم" يا ابني على وقفك معايا
- انت بتقول إيه يا عمي؟! ده واجب وانت زي والدي الله يرحمه
- الله يخليك يا ابني.

ثم صمت مرة أخرى مطرقا الرأس فعاجله "كريم" وهو يتمنى أن يقول حماه ما ينتظره منه:

- مالك يا عمي، عايز تقول حاجة ؟
- بالنسبة لموضوع الشبكة الشهر ده، مش عارف اقول لك إيه بصراحة.

تراقص قلبه من الفرح ولكنه رسم على وجهه أمارات الحزن ممزوجة بالتقدير للموقف:

- لو عايز تأخره شويه ماعنديش مانع يا عمي
- سامحي يا ابني وأديك شايف الظروف
- أنا فاهم طبعا يا عمي، الله يكون في عونك
- ربنا يكرمك يا ابني.

ثم استأذن "كريم" وذهب ليسلم على "تقى" ووالدتها وأخذ والدته وانصرف إلى البيت وأبلغها في الطريق بأن حفل عقد القران قد تأجل إلى أجل غير مسمى .

"10 يولييه 2008"

من البيت إلى المقهى ومن المقهى إلى البيت، أصبح هذا هو حال "كريم"، يستيقظ ويأكل ما يقيم صلبه به، ثم يذهب إلى غرفته ويفتح الكمبيوتر المحمول ويضغط زر تسجيل الفيديو ويجلس أمامه عدة دقائق كالأبله، لا يدري ما يمكن إضافته في ظل عدم وجود أي طارئ جديد حدث، فيغلق التسجيل ويقوم يتجول في الغرفة بعصبية ثم يستلقي على السرير يحاول التركيز لعله يستعيد قدرته المفقودة، وبعد أن يفشل ينهض ويرتدي ملابسه، ويخرج إلى المقهى ليجلس مع أي شخص يعرفه هناك، أو يجلس أمامه الكمبيوتر المحمول يتصفح موقع التواصل الاجتماعي (الفييس بوك)، ويشاهد بضعة أفلام حتى ينتهي اليوم؛ فيعود إلى البيت ليكرر ذلك في اليوم التالي.

بعد أن قام بالطقوس المعتادة في البيت (الإفطار - تسجيل الفيديو - التحرك في الغرفة - محاولة استعادة قدرته) ارتدى ملابسه وحمل حقيبة الكمبيوتر وخرج إلى المقهى في منطقتة الأثيرة إلى نفسه "بولاق الذكرور".

وبعد مضي عدة ساعات، حضر إلى المقهى عم "عبده" وجلس على مقعد قريب منه، تطلع إليه "كريم" فوجده ناحل الوجه، ذابل الجسد ونظراته زائغة، وبعدها بدقائق مر عم "سعد" الذي رمق عم "عبده" بنظرة غضب قبل أن يتوجه إلى داخل المقهى ويجلس وحده !!

لم يفهم "كريم" ما حدث؛ فمنذ وعى على الدنيا لم يرَ أي خلاف بينهما؛ فقام من مجلسه بعد أن ملمم أشياءه وتوجه إلى عم "عبده" "الجالس وحده، وجلس بجانبه :

- إزيك يا عم "عبده" ؟

التفت الرجل إليه وضيّق عينيه يتذكره :

- انت "كريم" ... صح ؟

- الله ينور عليك يا عم "عبده"

بحث عن شيء يجعل الرجل يتكلم :

- انت أخبارك إيه يا عم "عبده" ؟

- نحمده يا ابني

- بس شكلك النهاردة مش عاجبي

- أهى أيام وبتعدي يا "كريم"، مفيش حاجة بتفضل على حالها

- لا يا عم "عبده" ماينفعش الكلام ده، ده القهوة دي مش بتحلو غير لما صوتك يجلجل وانت

بتلعب الطاولة مع عم "سعد".

توترت ملامح الرجل عندما أتى ذكر عم "سعد" فسكت، وغير "كريم" دفعة الحوار عندما لحظ ذلك:

- أخبار عادل إيه ؟

- عادل ابني !

ثم ضحك بمرارة ظاهرة وهو يتطلع إلى السيارات المارة في الشارع أمام المقهى:

- الله أعلم

- الله أعلم؟! هو مش ساكن قريب منك ؟

- أه ساكن بعدي بشارعين، بس تقريبا نسي إن أبوه لسه عايش

- ربنا يدي لك طولة العمر، ماتقولش كده، أكيد عنده ظروف

- أه طبعا عنده ظروف، عنده وقت يشتري عربية جديدة ليه، ودهب للسنيورة مراته

ثم تنهد وهو يحاول منع دموعه من أن تصرت على الهروب من عينيه وهو يكمل:

- وكمان مشغول يقعد على القهوة اللي جنب بيته، فأكيد معذور إنه مايقاش وقت يطمئن على أبوه وأمه اللي ربوه، أو يسأل عن أخته، أو يساعدنا في جهازها.

بأصابع متوترة مد يده يلتقط كوب المياه الموضوع على المنضدة، ورشف منه رشفة وأعاده مكانه وهو يحاول التماسك :

- ياالله، أهه الواحد بيربي لغيره
- لو محتاج حاجة يا عم "عبده" قول، أنا زي ابنك برضه
- زي ابني دي شتيمه، انت أحسن والله يا ابني
- قصدى في جهاز بنتك، لو في أي حاجة معطلاك أنا تحت أمرك

أفلتت من عينيه دموع كثيرة؛ فقال وهو يقوم من مجلسه :

- اتصرفت خلاص يا "كريم"، الحمد لله على أي حال.

كاد أن يقع؛ فقام "كريم" وأمسك بيده، ولما اعتدل الرجل ربت على كتف "كريم" وهو يبتسم له، وعيناه الغائرتان تترقرقان بالدموع، ثم تركه وانصرف.

أكثر ما أثار تعجب "كريم" واستياءه؛ هو كيف يترك عم "سعد" صديق عمره عم "عبده" في مثل هذه الظروف .

لم يطل التفكير؛ فقام وذهب إلى عم "سعد" وجلس بجانبه، وبعد التحية والسلام لم يملك "كريم" أن يمنع تساؤله :

- هو أنت مش بتكلم عم "عبده" والأإيه ؟

ارتسمت على وجهه علامات الغضب والنفور :

- ما تكلمنيش عنه، ده بني آدم غبي
- إيه ياعم "سعد" مالك؟!، ده أنا طول عمري باشوفكم مع بعض

- ماهو علشان كده غبي.

ثم سكت وولوح بيده في غضب أمام "كريم"، وأخذ يتهته بعبارات لم يفهمها الأخير قبل أن يجمع عباراته :

- الله يكرمك يا "كريم" قفل على السيرة دي.

أشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى منها الحوار؛ فسكت "كريم" بدوره وظل يحدق في تلفاز القهوة للحظات؛ حتى تنهى إلى مسامعهم صوت ضجة وجلبة آتية من الخارج، ودخل "عادل" عامل القهوة وهو ينقل لهم ما يحدث في الخارج بحزن :

- عم "عبده" وقع في الشارع، وشكله مات.

ما أن سمع "كريم" وعم "سعد" ما قيل حتى قاما يركضان إلى الخارج؛ فوجدوا أنه على بعد مائتي متر تقريبا تجمهر الناس في شكل حلقة يتطلعون إلى وسطها، فهرعا إلى الحلقة واقحتماها ليجدا عم "عبده" ملقى على الأرض والبعض يتفحصه، وبعضهم يصرخ :

- حد يشوف دكتور بسرعة.

لم ينتظر "كريم" حضور الطبيب واندفع إلى عم "عبده" يتفحص نبضه؛ ليجد أن المسألة قد انتهت، وبدا واضحا من عيني عم "عبده" الجاحظتين المتحجرتين، واختفاء أي نبض لقلبه، أن روحه قد فارقت جسده إلى الأبد، فرفع بصره باتجاه عم سعد ليجده واقفاً وشفثاه ترتعشان بتوتر وخوف على صديق عمره، ولما قرأ في وجه "كريم" الخبر جثا على ركبتيه أمام "كريم" وأزاحه جانبا، ورفع جسده عم "عبده" ووضع رأسه على رجليه، وأخذ يردد باكياً وهو يمسك برأس صديقه :

- يا "عبده"، قوم يا "عبده"

اشتد بكائه وهو يقبل جبين صديقه:

- يا "عبده" قوم، مش بعد العمر ده كله تموت واحنا زعلانين من بعض.

وضع "كريم" يده على عم سعد يواسيه؛ دفعه الأخير بشدة وهو يهز جسده صديقه بشدة :

- قوم بقي، قوم يا "عبده".

حضر طبيب جار لهم بعد لحظات، وأخذ يتفحص جسد عم "عبده" بسماعته؛ ثم رفع رأسه بأسى ليعلن أن الأوان قد فات، وأن الرجل الآن بين يدي ربه .

في المساء وبعد أداءه واجب العزاء، لم يجد "كريم" في نفسه رغبة في العودة إلى البيت؛ فتمشى إلى المقهى ليجد عم "سعد" يجلس بداخله وحيداً يتطلع إلى المجهول، ممسكا بفنجان من القهوة وأمامه على المنضدة (الطاولة) مفتوحة، كأنه ينتظر صديق عمره الراحل أن يأتي ويلعب معه كما اعتادا منذ سنين.

تردد "كريم" أذهب إليه أم يتركه وحده يتجرع أحزانه؟ ولكنه حسم أمره وتوجه إليه، وجذب مقعدا وجلس بجانبه :

- السلام عليكم.

لم يبد على الرجل أنه سمع كلمة أو أحس بوجود "كريم"؛ فمد الأخير يده وربّت على كتفه :

- البقاء لله يا عم "سعد" .

أدار الرجل وجهه إلى "كريم" للحظات وهو صامت قبل أن يعود إلى وضعيته الأولى وهو يقول ببطء وحزن :

- فعلا ... البقاء لله.

تمنى "كريم" لو يستطيع أن يسأله عما حدث بينه وبين عم "عبده" ليفترقا بعد صحبة السنين الطوال، ولكنه أمسك لسانه عندما وجد الرجل غارقا في أحزانه، ظلا على هذا الحال بضعة دقائق قبل أن يقطع عم "سعد" الصمت وهو يقول بحزن ممزوج بالغضب :

- الله يلعن أبو الفقر ... الله يلعنه.

لم يستوعب "كريم" العلاقة بين وفاة عم "عبده" وبين جملة عم "سعد" فسكت حتى يعطي الأخير فرصة يخرج ما يموج به صدره، دقيقة صمت أخرى بدأ بعدها عم "سعد" في الاسترسال :

- زمان يا "كريم" كان الواحد لا بيثيل هم واد ولا بت، يادوب يربيهم ولما يكبروا الواد يشتغل ويجهز نفسه بنفسه، والبت أبوها ماكنش بيتكلف حاجة، يادوب العريس يجي ويجهز شقته باللي ربنا يقدره عليه وياخذ البت، لكن دلوقت الواحد بيكلف بنته أكثر ما الولد بيحتاج، إشي مطبخ وإشي ستاير وسجاجيد وإشي أوضة نوم أطفال، وكمان يدفع نص تكاليف الفرح.

أخرج من جيبه علبة سجائر "كليوبترا" سوبر وأشعل سيجارة، أخذ يلتهمها ويطلق حلقات الدخان في الهواء قبل أن يكمل:

- المصيبة إن العيال لما بتكبر بتنسى أهلها كأنهم ولاد حرام، عندك عمك "عبده" الله يرحمه، ربي ابنه "عادل" أحسن تربية؛ وأول ما الواد كبر وربنا فتحها عليه واتجوز نسي أبوه وسابه محتاس، ده حتى الكلب ده مافكرش يساعد أبوه في جهاز أخته وهو عارف إنها قربت تتجوز.

لم يستطع "كريم" كبح زمام نفسه فسأله:

- انت وعم "عبده" كنتم زعلانين من بعض ليه !!؟

نظر الرجل إلى "كريم" ثم أكمل حديث كأنه لم يسمعه :

- عمك "عبده" برضه عنده بنت وكان بيجهزها، المشكلة إن ماقلش لا ليا ولا لعمك "نصر" إنه محتاج فلوس علشان الجهاز وكل ما نسأله يقولنا مستورة والحمد لله، الله يرحمه كان كتوم ونفسه عفيفة حتى معانا احنا، طيب الغبي ده المفروض يصارحنا احنا وكنا هانتصرف ونساعده، ده احنا برضه صحبة أربعين سنة، لكن الغبي.. الغبي سكت وبدل ما يقولنا راح باع حتة من جسمه !

قالها بغضب وهو يطوح السيجارة بعيدا في حين انتفض "كريم" للجملة الأخيرة وسأل بتعجب :

- باع إيه !!!؟

- من فترة كبيرة كده كنا قاعدين وعمك "نصر" كان بيتكلم على بيع الأعضاء

قاطعه "كريم"

- أه أنا فاكِر، ساعتها كنت قاعد قريب منكم
- من ساعتها والموضوع ده كان شاغل "عبده" وكل شويه يتكلم فيه، بس ما كناش فاهمين ليه؟ لحد ما جت فترة اختفى فيها وقفل موبايله، ولما قلقت عليه أنا وعمك "نصر" روحنا البيت نزوره لاقيناه راقد تعبان أوي ومارضيش يقول ماله، بس بعدها بيومين رحت أنا وعمك "نصر" تاني وفضلنا نقرره لحد ما قلنا اللي حصل ... هات زفت قهوة "سريائوسي" مغلية يا ابني

قال الجملة الأخيرة لعامل المقهى ثم عاد ليكمل :

- الغبي ده لما لقي إن جواز البت قرب ومش معاه يكمل الجهاز راح يلف على الدكاترة يعرض كليته للبيع علشان يستر البت ويجهزها كويس، فضل يلف يلف ومفيش حد راضي علشان سنه الكبير أو خوف من الحكومة الله أعلم، لحد ما لاقى دكتور ابن كلب وافق إنه يشتري كليته ... تخيل إداله كام في الكلية !!؟

لم يجد "كريم" أن السعر أيا كان سيقبل من جرم الطبيب لكنه رد بسرعة :

- كام ؟
- إداله عشرتلاف جنيه، كلية بني آدم بعشرتلاف جنيه ... يابلاش
- اسمه إيه الدكتور ده أو في أهني مستشفى ؟
- يارتني كنت أعرف، والمصحف ساعتها كنت روحت قتلته، بس "عبده" لما قالنا أنا وعمك "نصر" إتخاقتنا معاه وهزأناه إنه ما طلبش مننا وعمل اللي عمله، ومن ساعتها لا أنا ولا عمك "نصر" بنكلمه ... ويارتنا ما إتخاقتنا معاه.

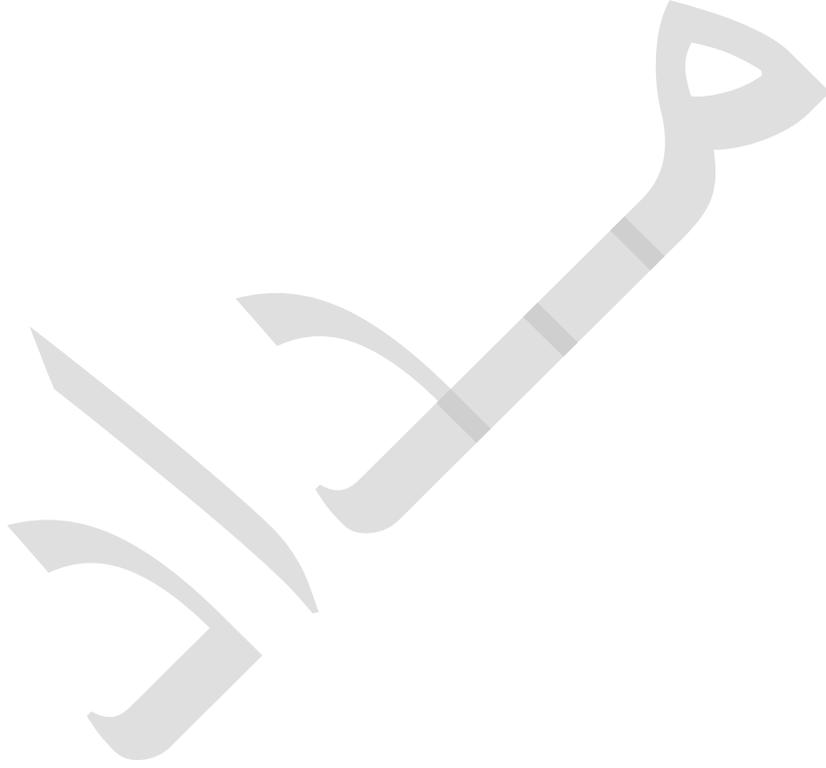
تفلتت دمه من عينه :

- عمري ما تخيلت إن بعد عشرة أربعين سنة ممكن حد فينا يموت وهو زعلان من الثاني، ده أنا وهو أصحاب من الإعدادية !

ثم أطلق زفرة حارة ومسح الدموع التي انسابت على وجهه :

- الله يرحمك يا "عبده"، الله يرحمك ويغفرلك.

ثم أشعل سيجارة أخرى وأدار وجهه الناحية الأخرى معلنا انتهاء الحوار، وأخذ "كريم" ينقل بصره بين التلفاز تارة وبين الجالسين على المقهى تارة أخرى، يتأمل ملامحهم المثقلة بموم الحياة يخرجونها مع دخان الشيشة أو لعب الطاولة وتبادل البذاءات والنكت الجنسية .



الإنسان الخارق

" 22/07/2008 "

" فيلم ناصر 56 هايتم عرضه من قبل احتفالات تأميم القناة بتلات تيام، وبعده تلات تيام كمان يعني من 07\24 إلى 08\1، أفضل حل إني اختفي الفترة دي لحد ما وقت الخطر يعدي ... التاريخ

" 22/07/2008 "

أنهى التسجيل وجلس يفكر..

في اليوم السابق طرأت على ذهنه فكرة أن يستعرض جدول كل القنوات الفضائية في الفترة القادمة؛ فوجد أن فيلم "ناصر 56" سيعرض تباعاً على القنوات ابتداءً من يوم 24/07 إلى يوم 1/08؛ ففكر أن يختفي تلك الفترة عن الأعين تمامًا حتى تمر، ساءته فكرة أن يظل حبس البيت طوال هذه الأيام، ولكنه أخيراً رضي بها؛ فأن يصاب بالملل عدة أيام خير له من أن يحدث له ما شاهدته في الرؤى التي أتته، وما أن استقرت الفكرة في رأسه حتى ذهب إلى أمه وأجلسها أمامه:

- ركزي معايا كده يا ست الكل؛ علشان عايزك في حاجة مهمة
- خير يا ابني !!؟
- صلّ بينا على النبي كده الأول
- عليه الصلاة والسلام
- أنا من يوم 23 اللي هو بكره ده هاقعد في البيت، ومش هأخرج أبدا لحد يوم 2 الشهر الجاي، وهكلم أنا "تقى" كمان شويه وأقول لها إني عندي شغل في شرم الشيخ الفترة دي ... هاه هاروح فين؟

- طيب فهمني الأول
- قولي بس أنا رايح فين ؟
- كفر الشيخ
- كفر الشيخ إيه بس يا حاجة؟! بقول لك شرم الشيخ، شرم الشيخ

- ماشي ... عندك شغل في شرم الشيخ
- جميل جداً، اوعي تغلطي الفترة دي وتقول لي لها إني في البيت
- ماشي.

صمتت تفكر قليلاً، ثم رفعت رأسها بخوف وقلق :

- اللي هاتعمله ده بسبب اللي كنت بتشوفه ؟
- حاجة زي كده، مش أنت عايزة مصلحتي ؟
- أيوه طبعا يا حبيبي ... بس أنا مع أبوك اتعلمت حاجة وهي إن المستقبل ما حدش يقدر يغيره
- المستقبل لسه ما حصلش، المهم دلوقت إنك تركزي وتحفظي اللي قلتها لك
- ماشي يا ابني ... ربنا يبعد عنك كل شر
- أيوه، أنا عايزك تكتري دعواتك الحلوة دي على طول علشان محتاج لها، هاقوم أنا أكلم "تقى"

ثم تركها وتوجه إلى غرفته، وأقفل بابها خلفه وظلت والدته تردد :

- "كريم" ابني مسافر كام يوم علشان عنده شغل في كفر الشيخ.
- بعدها أغلق الباب تناول هاتفه المحمول من فوق الكرسي الصغير بجانب سريره، وطلب رقم "تقى"، وظل يسمع صوت الدعاء التي وضعته "كول تون" وهو يجول في غرفته ذهاباً وإياباً حتى أتاه صوتها العذب:

- السلام عليكم
 - وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... وحشتيني وربنا
- فترة صمت تخيل فيه وجهها وقد احمر خجلاً؛ ثم أجابت بعدها :

- ما علينا ... أنت أخبارك إيه ؟
- يااااااه، طيب حتى قولي وانت كمان وحشتني، ولو صعبة قوليلي I miss u بد لها
- ما تستعجلش على رزقك يا عم الرومانسي، كلها فترة ونكتب الكتاب

- مش كان زماننا هانكتب الكتاب بعد بكره؟ ... الله يساعده عمك ده، يعني ملاقاش وقت تاني يموت فيه؟

- الله يرحمه، ده قدر ربنا بقى هانعمل إيه!؟

- الحمد لله على كل حال ... بقول لك صحيح

- إيه؟

- أنا جالي شغل ضروري، وهاسافر بكرة شرم الشيخ هاقعد هناك فترة

- شغل إيه مش أنت واخذ أجازة!؟

- أه بس مدير الشركة كلمني، وفي شغل ضروري لازم أروحه؛ علشان في وفد جاي من أسبانيا لازم اقعد معاه الفترة دي

- طيب وهاتقعد أد إيه؟

- مش كثير، يادوبك هما عشرتيام بالكثير

- تروح وترجع بالسلامة يا

صمتت فعاجلها:

- أيوه هاتطلع أهه، يا إيه بقى؟

- يا

- أيوه

- يا "كريم"

قالتها ثم ظلت تضحك :

- تصدقي انت رخصة

- أول مرة تعرف يعني؟

- لا والله ماكنتش واخذ بالي، بس على العموم رخصة رخصة مش هاتفرق أنا كده كده باعشقتك

- شكلك هاتسخن ... يالاً إالحق وضّب حاجاتك بقى، وماتنساش تكلمني كل شويه علشان

تطمئني عليك

- يا ذن الله يا قلبي ... يالاً باي باي
- باي؟! طيب باي ورحمة الله وبركاته
- أه معلش يا عم الشيخ نسيت ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
- أيوه كده ... وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أغلق الهاتف وأخذ يفكر :كيف سيقضي الأيام التالية؛ حتى اهتدى إلى أن يستعين بصديق الطفولة والمراهقة -والذي كان قد نسيه لفترة كبيرة -ألا وهو الكتاب؛ فقد كانت هوايته الكبرى ورفيقه الدائم في مراهقته هو الكتاب يقضي جل وقته في القراءة في مختلف المجالات؛ خاصة القصص والروايات والتي استبدلها باستخدام قدراته المختلفة - إبان فترة وجودها - وما أن استقرت الفكرة في رأسه حتى قام وارتدى ملابسه، وتوجه إلى الخارج ليجد والدته تشاهد المسلسل التركي :

- رايح فين يا ابني ؟
- هاروح اشترى شويه حاجات كده يا أمي، أجيب لك حاجة وأنا جاي ؟
- لا يا ابني ربنا يخليك
- طيب سلام عليكم
- وعليكم السلام

أدار ظهره، وقبل أن ينصرف أردفت :

- بقول لك صحيح
- نعم يا حاجة
- خد بطاقة التموين وانت ماشي وهات التموين وانت راجع
- تموين؟! ... طيب عايزة حاجة تانية ؟
- انت هاتقعد في البيت ماتنزلش كام يوم ... صح ؟
- إن شاء الله

أخذت تفكر وهي تعد على أصابعها :

- طيب هات معاك 2 كيلو لبن وكام كيس "كريم شانتي" علشان هاعمل رز بلبن النهاردة، ولو ينفع هات كام كارتونة بيض ودقيق، ومكرونه، ولحمة مفرومة علشان هاعمل مكرونه بالباشميل

وقف يحدق فيها وقد تدلا فاه وهو يحاول استيعاب ما طلبته :

- بس كده ولا عايزة حاجة تانية ؟

أسرع إلى الباب لما رآها تفكر حتى لا تطلب شيئاً آخر :

- السلام عليكم

- وعليكم السلام يا حبيبي

وبعد أن خرج ادخل رأسه وهو يسألها ضاحكا :

- إلا قوليلي يا حاجّة، هي دي الحلقة الكام من المسلسل ؟

- مش عارفة يا ابني ... تقريبا كده الحلقة الخمسمية وشويه

- طيب ربنا يدريك الصحة.

ثم أغلق الباب ورائه وانصرف.

ظل يدور بسيارته حتى اقترب من المغارة السحرية للكتب وعشقه الأول؛ فتوقف بسيارته وتمشى حتى سور الأزيكية، وقف يتطلع إلى الكتب القديمة المتراسة فوق بعضها، يتحسسها بهيام فلمس الكتب القديمة لها متعة خاصة.

ظل ينتقى بعض الروايات وأعطاهها للبائع الذي أخذ يقلب فيها ويرى تاريخ الطبعة حتى يقدر ثمنها:

- حضرتك واخذ (عبث الأقدار) و (الحرافيش) و (الثلاثية) "لنجيب محفوظ" و(خبايا الصدور) و

(وراء الستار) لـ"يوسف السباعي" و (الجريمة النائمة) "لأجاثا كريستي".

ثم صمت قليلاً يحسب السعر :

- يبقى تمهم 150 جنيهه

- نعم !؟ 150 جنيهه ليه يعني ؟
- يا بيه دول طبعة قديمة أوي يجي من 40 سنة ومش هتلاقيهم في أي حتة، دول كنز يا بيه ... ولو مش معاك خلي عنك خالص
- انت هاتجبي عليّ، خد فلوسك أهى يا عم.

أخرج محفظته ونقده ما طلب واستدار ليذهب، وقبل أن ينصرف جذب بصره مجلد ضخّم في فرشة مجاورة للفرشة التي اشترى منها الكتب الأخرى، و يبدووا من غلاف المجلد الجديد اللامع أن يدا لم تمسه من قبل، وأكثر ما جذبته إلى الكتاب هو اسمه الغريب: (الإنسان الخارق ... الخطوة القادمة للتطور)، وصورة رجل يطير بلا أجنحة مرسومة على غلافه، فوضع الكيس الأسود الذي يحوي الكتب التي اشتراها على الأرض، والتقط الكتاب الضخم وفتحته.

كان صاحب الفرشة واقف ينظر بحنق إلى شنطة الكتب التي اشتراها "كريم" من الفرشة الأخرى؛ فاقترب منه بسماجة :

- هاتشترى يا بيه والا بتتفرج ؟

أغلق "كريم" الكتاب ووجه للبائع نظرة سمجة مماثلة:

- يعني اشترى وخلص، والا أشوف الأول هايعجبني والا لأ ؟
- مكانك يا باشا ... براحتك خالص.

ثم ابتعد قليلاً تاركا "كريم" يتفحص محتويات الكتاب، فتح "كريم" الكتاب وأخذ يقرأ المقدمة :

" من أين يأتي هذا ؟ هذا التساؤل وهذه الحاجة إلى حل أسرار الحياة، عندما تكون أسهل الأسئلة لا يمكن الإجابة عنها، لماذا نحن هنا ؟ ماهي الروح ؟ لماذا نلحم ؟ كلها أسئلة ربما من الأفضل ألا نبحث عن إجابتها على الإطلاق؛ فلسنا بحاجة إليها وليست ضرورية لنا ... ولكن هذه ليست بطبيعة الإنسان، وليست بقلب الإنسان الساعي دائما إلى البحث عن الإجابة :

" يقولون أن الإنسان يستخدم فقط عُشر طاقته العقلية، نسبة أخرى وقد نصبح ذوي قدرات أخرى وأعلى، لكن بالفعل هذا اليوم قد جاء، فلقد كشف مشروعات الجينات أن هذا الاختلاف البسيط في شفرة الجين للإنسان يحدث بالفعل بنسب متزايدة وعشوائية، القدرة على رؤية المستقبل، تحريك الأشياء بالقدرة العقلية وحدها، تجدد الخلايا تلقائياً، الانتقال الفوري من مكان لآخر، أو حتى القدرة على الطيران ... هل هذا خارق نطاق إمكانية البشر؟ أم أن الإنسان يدخل مرحلة جديدة من التطور تجعله يقف أخيراً على عتبة الإمكانيات البشرية الحقيقية؟ "

قلّب صفحات الكتاب بسرعة وهفة، ثم أغلق الكتاب يقرأ اسم المؤلف " أستاذ دكتور بيتر عياد دكتور المخ والأعصاب وباحث في علم الجينات "

شعر "كريم" بأنفاسه تتلاحق وقلبه يختلج بين أضلعه؛ فلم يكن يتخيل أن رجلاً عربياً يكتب في هذا المجال بهذه الدقة؛ فأخرج محفظته مجدداً وهو ينظر إلى البائع :

- بكام الكتاب ده لو سمحت ؟

أخذ الرجل الكتاب يتفحصه وينظر إلى تاريخ الطبعة، ثم وضعه على كف يده كأنه يزنه :

- 150 جنيه يا باشا

- هو كلكم حافظين الرقم ده ولا إيه ؟

- بص يا باشا

ثم رفع الكتاب وأدار وجهه الآخر أمام وجه "كريم" يريه السعر المكتوب:

- مكتوب هنا السعر 200 جنيه، والكتاب أصلاً جديد ما حدش لمسه قبل كده، وتاريخ الطبعة من

أربع سنين يعني جديد لانج ... طب وربنا أنا عامل معاك أحلى واجب علشان أنت أول مرة تجيلي.

- غلبتني ... اتفضل يا سيدي.

أخذ الرجل المبلغ ووضع على شفثيه يقبله ووضع في جيبيه :

- شرفتنا يا باشا.

تركه "كريم" وانصرف عائداً إلى سيارته:

- يا باشا ... يا باشا.

التفت إلى الرجل بنظرة تساؤل؛ فأشار الأخير إلى كيس الكتب التي ابتاعها "كريم" منذ قليل ووضعها على الأرض:

- حضرتك نسيت الشنطة بتاعتك

اقرب "كريم" وانحنى يلتقط الكيس وأخذه

- شكراً جداً ... ربنا يكرمك

- العفو يا باشا.

ضم "كريم" الكنز الذي اشتراه إلى صدره وانطلق إلى سيارته حتى يعود إلى البيت، وعقله وقلبه يملقان بين طيات الكتاب، وخلايا مخه تشتعل بالتساؤل، هل يمكن أن يقدم الكتاب الإجابات التي يبحث عنها؟ والأهم من ذلك ... هل يمكن أن يساعده على استعادة قدراته الضائعة؟

"25 يوليو 2008"

" فصل ... القدرة على رؤية المستقبل "

الاستبصار أو القدرة على رؤية الغيب، يتساءل البعض مستنكراً كيف نستطيع رؤية شيء لم يحدث بعد؟ وللإجابة على هؤلاء نقول بأن النظرة المستقرة في عقلهم بأن الزمن ما هو إلا خط مستقيم قد تكون خاطئة، وأن بعض النظريات الحديثة تقول بأن الزمن يسير بشكل دائري يكرر نفسه باستمرار، فما حدث بالأمس قد يتكرر بنفس النمط في المستقبل، وما سيحدث في الغد قد يكون حدث من قبل، وتظل الأحداث عالقة في موجات تتخلل الفراغ تنتظر العقل المناسب لالتقاطها.

و بالرغم من رفض الكثيرين لها إلا أنها حقيقة مشهودة في التاريخ، والأمثلة لا يتسع لها المقام، ولكن على سبيل المثال المنتبئ الشهير "نوستر داموس" صاحب النبوءات الشهيرة أو ما روي عن "عمر بن الخطاب" أنه كان يخاطب في الناس فرأى جيشه الذي يبعد عنه بمئات الأميال؛ فنأدى قائد جيشه "سارية" وهتف به : (يا سارية: الجبل الجبل)، وسمعه "سارية" ودار حول الجبل وهزم الجيش المعادي، في هذا المثال الأمر يتعدى رؤية الغيب إلى القدرة علي إرسال رسالة عقلية أو تخاطرية، وهو ما يؤكد حقيقة أخرى، وهي أن المرء قد يجمع أكثر من قدرة واحدة سواء بشكل دائم أو مؤقت تحت ظرف معين .

أغلق "كريم" الكتاب بعدما قرأه ربما للمرة الثالثة على التوالي، والحماسة والشغف يعزفان ألحان النشوة والأمل في وجود رجل يعرف كل شيء عما يعانیه، وربما يملك الأجوبة عن كيفية استعادة قدراته المفقودة .

قلب الكتاب وقرأ اسم المؤلف مرة أخرى، ووجد في آخر صفحاته وسيلة اتصال وعنوان الكاتب، شعر بشيء يدغدغ عقله ويدفعه دفعا إلى الذهاب ومقابلة الطبيب مؤلف الكتاب، نظر إلى النتيجة المعلقة على الحائط فوجد اليوم هو الخامس والعشرون، أي في أيام الخطر المرتقبة، نظر في ساعته فوجدها الواحدة ظهرا.

استلقى على سريره يحاول الهروب بالنوم فلم يستطع، أخذ يفكر في الرؤيا التي ستتحقق فيها نبوءة اختطافه؛ فتذكر أن يومها ستكون أمه عند خطيبته "تقى" وفي أيام الاحتفال بعيد تأميم القناة أي هذه الأيام، قام وتوجه إلى غرفة والدته فوجدها نائمة.

جمع في عقله الأحداث، وبمعادلة بسيطة قال في نفسه (أمه ليست عند "تقى" إذًا فاليوم ليس هو اليوم الذي قد يحدث فيه الاختطاف)، أقنع نفسه بذلك؛ فارتدى ملابسه وحمل الكتاب وعلى أطراف أصابعه لكيلا يوقظ والدته، خرج من المنزل وأغلق الباب برفق متوجها إلى عنوان عيادة المؤلف "ألبير عياد"؛ حتى يطرح عنده كل شيء، مادام الرجل بهذه المعرفة عن ما يخص القدرات الخارقة .

بعد نصف ساعة استيقظت والدته من نومها، وقامت بخطوات متثاقلة:

- يا "كريم" ... أحضرك الغدا يا حبيبي

كررت النداء فلم يأتيها أي رد؛ فتوجهت إلى غرفته وفتحتها فلم تجده، ساور القلق قلبها فالتقطت هاتفها المحمول وأجرت اتصالاً به:

- أيوه يا حبيبي انت فين ؟

-

- مشوار إيه ده يا "كريم"، مش انت قلت مش هاتخرج الفترة دي ؟

-

- طيب يا "كريم" خلي بالك من نفسك وما تتأخرش بره

-

- مع السلامة يا حبيبي.

أغلقت الهاتف بعدما اطمأنت عليه، ثم جهزت لنفسها طعام الغداء، جلست بعدها والملل يدور حول رأسها كذبابة، فكرت أن تذهب إلى أختها، لكنها تذكرت أنها قد سافرت إلى بلدتهم لعدة أيام، فتحت التلفاز فلم تجد شيئاً يجذب انتباهها أو يخرجها من حالة الملل، ظلت هكذا حتى أتتها جرس هاتف المنزل فقامت وردت علي المتصل فوجدتها "تقى" تتصل لتطمئن عليها.

أنا بخير يا حبيبي والحمد لله، أهه قاعدة في البيت من ساعة ما "كريم" سافر

-

- كويس إنك كلمتيه والله يا بنتي، ده بيحبك أوي ولما بيسمع صوتك بيبقى مبسوط جداً

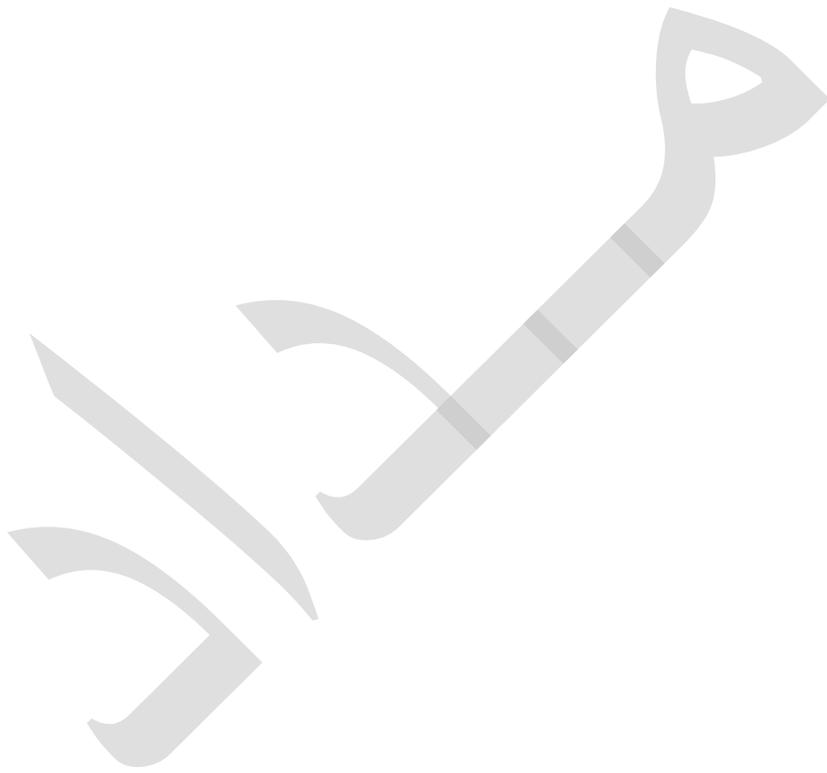
-

- اقول لك حاجة، أنا هلبس وأجي لك اقعد معاكم شويه... سلميلي على ماما لحد ما أجي

-

- الله يخليك يا حبيبي ... مع السلامة.

ثم أغلقت السماعه وارتدت ملابسها على عجل وقبل أن تخرج فكرت أن تهاتف ابنها تخبره، إلا أنها رأت أن لا فائدة من ذلك خاصة وأنها قد قررت ألا تطيل في الزيارة، وغالباً ستعود قبل عودته؛ فتوجهت إلى الباب وخرجت لزيارة خطيبة ابنها .



أول قطعة دومينو

قاد "كريم" سيارته حتى ضواحي العاشر من رمضان، وما أن وصل إلى وجهته حتى أوقف السيارة وترجل حتى وصل إلى مبتغاه.

(المركز الطبي العالمي للأبحاث)

مبنى متوسط الحجم، مكون من سبعة طوابق، واجهته من الزجاج اللامع وبوابته من الزجاج الشفاف، وأمامه بجوالي خمسة أمتار يوجد كشك خشبي يجلس فيه حارس أمن جالس على مكتب وأمامه هاتف وجهاز كمبيوتر.

وقف "كريم" وهو يحمل الكتاب في يده و يتطلع إلى المبنى بانبهار، ودار حول المبنى يتأمله فازداد انبهاره عندما وجد أن مساحة المبنى ضخمة جدًا وتصميمه يضاهي مراكز الأبحاث المستقبلية في أفلام الخيال العلمي، وربما لو وجد طبقًا طائرًا يخرج من أعلى المبنى لما كذب عينيه.

ظل يتمشى بخطوات رتيبة حول المبنى حتى انتفض عندما أتاها صوت حاد من خلفه :

- بتدور على حاجة يا أستاذ ؟

التفت خلفه فوجد مصدر الصوت هو حارس الأمن الذي رآه وهو يدور حول المبنى عدة مرات، فتلثم قبل أن يجمع شتات نفسه :

- أنا جاي علشان أقابل الدكتور "ألبيير عباد "

اتجه الحارس عائدًا إلى الكشك الخشبي بعد أن أشار إلى "كريم" الذي سار حتى وقف الحارس ينظر إلى دفتر موجود أمامه وهو يسأل:

- اسم حضرتك ؟

- "كريم عبدالله عبدالمجيد "

ظل الحارس يبحث عن الاسم؛ حتى رفع رأسه إلى "كريم" وهو يجدجه بنظرة ثابتة

- اسمك مش موجود، والدخول من غير تصريح أو معاد محدد ممنوع
- أيوه بس أنا عايز أقابله في حاجة مهمة
- أسف يا فندم، الأوامر عندي واضحة

فبادله "كريم" نظرتة الثابتة بنظرة تحدي:

- وأنا مش هاتحرك غير لما أقابله ... كلمه حالا وقوله في حد عايز يقابلك في مسألة حياة أو موت.
- أمام إصرار "كريم" لم يجد الحارس بدًا من أن يضغط على زر في جهاز انتركم أمامه، وانتظر حتى أناه صوت وقور:

- أيوه يا "فتحي"
- حضرتك في واحد هنا مصمم يقابلك، وبيقول إنه عايز حضرتك في مسألة حياة أو موت، بس اسمه مش موجود في الكشف ولا معاه تصريح

لحظة صمت خيمت عليهم قبل أن يأتيهم الصوت الوقور يحمل نبرة غضب واضحة :

- بيتهيألى أنا قولت لك يا "فتحي" ألف مرة قبل كده، أي حد عايز يقابلني يطلع على طول وماتمنعش حد عني، لو بتنسى ممكن أسجلها لك على شريط تبقى تسمعه كل شويه.
- ابتسم "كريم" حين رأى الحارس وقد اهتزت يده وتوترت حركته من الخوف؛ حتى خيل لـ"كريم" أن الرجل سيبول في سرواله في أية لحظة.

- أنا أسف يا دكتور "ألبيير" ... هابعتة ل حضرتك حالا

ثم دفع الكشف إلى "كريم" حتى يكتب اسمه فيه وبعد أن وقّع أشار إليه الحارس بخضوع إلى أن يدخل المبني وهو يقول مطأطئ الرأس:

- الدور الثالث آخر مكتب على اليمين
- شكرا .

قالها وهو يرفع حاجبه الأيسر ويخفضه؛ لإغاظه الحارس قبل أن يتوجه إلى المدخل والطمأنينة تملأه وهو يحدث نفسه أن طبيباً بهذا الخلق الرفيع بالتأكيد لن يخذله .

استقل المصعد الذي توقف به عند الطابق الثالث، وخرج منه وأخذ يسير ببطء في الممر وهو يتطلع إلى فخامة رخام الأرضيات، وتناسق ألوان الممر، وبعض المقاعد المنتشرة بترتيب مذهل كأن مهندس ديكور عالمي هو الذي صممه لهم، وما أن وصل إلى المكتب المنشود حتى توقف يطالع الياقطة التي تحمل اسم الطبيب ثم طرق الباب بخفوت :

- ادخل.

أتاه الصوت الوقور من الداخل فملاً "كريم" صدره بالهواء وتنفس بعمق؛ ثم فتح الباب ودخل.

غرفة ضخمة يتوسطها طاولة اجتماعات، وشاشة عرض عملاقة على الجدار، وبجانب الحائط المجاور أريكة فخمة، وعلى الجانب الآخر المقابل لشاشة العرض مكتب ضخم، يجلس خلفه رجل أشيب شعر الرأس حليق الوجه، أفطس الأنف، ظاهر الوسامة مع حدة في الملامح، متين البنيان - بالرغم من كبر سنه الذي ربما جاوز الستين- يرتدي قميصاً وربطة عنق، ويضع جاكيت البدلة على ظهر المقعد .

كان جالساً يداعب أزرار الكمبيوتر المحمول الموضوع أمامه وهو يرتدي نظارة طبية؛ فتقدم "كريم" وجلس على المقعد، فلم يرفع الطبيب رأسه ليراه وإنما اكتفى بأن أمسك قلماً وأخرج كارتاً شخصياً وقلبه على ظهره وكتب بعض الجمل، وقال وهو على نفس الوضعية:

- إيه المرض اللي عندك انت أو اللي جاي علشانه وتحب تتعالج في أنهي مستشفى تبعنا ؟

اندهش "كريم" من السؤال، ولما لم يجد الطبيب أي رد رفع رأسه إليه يتأمله بلباسه المهندم ومظهره الذي يدل على تيسر حاله؛ فترك القلم والكارت وخلع النظارة :

- أوامر

- حضرتك أنا مش جاي علشان مرض ولا حاجة

- طيب أقدر أخدمك بيايه ؟

أمسك "كريم" بالكتاب ووضعه على المكتب ودفعه أمام الطبيب

- حضرتك اللي مآلف الكتاب ده ... صح ؟

التقط الطبيب الكتاب وهو بيتسم كمن تذكر شيء محب :

- يااااه ... هو لسه حد بيشتري الكتاب ده !!؟

- ده كنز يا أفندم، وحضرتك عرضت كل حاجة بشكل مذهل

أعاد الكتاب على المكتب وهو يسأل :

- كويس إن في حد بيهتم بالعلم ده ... بس أكيد أنت مش جاي علشان تشكر في الكتاب

- أكيد طبعا

- طيب أقدر أخدمك بآيه ؟

أطرق "كريم" برأسه كأنه يتحرج مما سيقول قبل أن يرفع رأسه ويقول بتردد :

- الكتاب ده بيتكلم عن القدرات الخارقة، وإن في ناس عايشة وسطنا عندها القدرات دي.

فرد عليه الطبيب ببطاء وهو يضغط على الحروف ويحدق "كريم" بنظرات ثابتة كأنه يثبر أغوار عقله:

- بالظبط

- أنا جاي لحضرتك علشان كان عندي قدرات زي اللي حضرتك اتكلمت عنها في الكتاب

- أهااااا

قالها الطبيب بفتور وهو يرجع ظهره إلى الوراء قبل أن يعقب بطريقة ساخرة :

- وياترى انت "المهدي المنتظر" ولا "ابن زيوس" وعمايز ترجع جبل الأولمب ؟

وقعت جملة الطبيب عليه كأنها صفة إهانة بالغة، وأشعره كأنه مجنون؛ فهم أن يقوم وهو يقول بحزم :

- أسف جدآ ... شكلي غلطت لما جيتلك.

وقبل أن يقوم اعتدل الطبيب ومد يده ممسكا بيد "كريم" وهو يضحك

- آسف آسف، اقعد بس

فجلس ومازال الضيق باديا على وجهه والطبيب يبتسم ابتسامة واسعة؛ ليخفف وقع قولته :

- خلاص بقي، أنا آسف

ثم فتح علبة سجائر أمامه وأخرج سيجارةً منها وقدمها لـ"كريم" فرفضها شاكراً؛ فأعادها الطبيب وهو يكمل :

- أصل المشكلة إن بعد فترة من نزول الكتاب فضلت تجيلي مكالمات في نص الليل أو زيارات في المستشفى، هنا من ناس مريضة نفسياً، واحد منهم كان مصمم إنه سوبر مان ومش عارف يرجع كوكب كريبتون، وواحد تاني قال لي إن سفينة فضاء خطفته ومنحته قوة خارقة، وقيس على كده عشرات الحالات لمدة سنتين تقريبا .

ثم ضغط زر في الهاتف:

- بس انت شكلك مختلف عنهم ... الأول تحب تشرب إيه ؟

- ربنا يكرمك

- يبقى قهوة

- أيوه يا دكتور "ألبير"

كان الصوت من الهاتف فرد عليه وهو يسأل " قهوتك مطبوطة " فأوماً "كريم" برأسه إيجابا

- اتنين قهوة مطبوطة

رفع أصبعه عن الزر واعتدل في جلسته :

- صحيح ... أنا ما اتشرفتش باسمك

- "كريم" ... "كريم عبدالله عبد المجيد "

فمد الطبيب يد مصافحا :

- دكتور " ألبير عياد " ... أهلا بيك يا "كريم"
- أهلا بيك يا دكتور
- هاه ... احكي لي بقى يا سيدي
- مش عارف أبدأ إزاي والله يا دكتور
- قولي الأول: إيه نوع القدرة اللي بتعتقد إننا عندك ؟
- اعتقد؟! ... شكل حضرتك مش مصدق من أولها
- بص يا "كريم" أنا راجل عملي، وشوفت في حياتي كثير وطبيعي جدًا إني لا أصدق إلا اللي أشوفه بعيني
- أنا مش باتوهم يا دكتور، وعشت فترة كبيرة مع القدرات اللي كانت عندي، وعارف أنا بقول إيه
- كل المرضى النفسيين بيقوا مؤمنين بكلامهم جدًا، اللي فاكر إنه المهدي، واللي فاكر إنه من نسل الآلهة، وحتى اللي بيقول إن أمه دبانه، كلهم بيقوا مقتنعين بكده ... أنا مش باهتمك بالمرض أو الجنون، بس لازم تقدر ده.
- صمت "كريم" يتلع كلام الطبيب قبل أن يجيب باقتناع:
- عند حضرتك حق طبعا
- قولي بقى إيه القدرات اللي عندك ؟
- هي بدأت معايا بالقدرة على رؤية أحداث من الماضي أو المستقبل

قاطعته الطبيب :

- استبصار يعني ... ممتاز
- وبعد فترة بدأت تظهر قدرات تانية؛ زي معرفة تاريخ أي شيء أو أي حاجة حصلت من خلاله أو قدامه بمجرد لمسه، وبعدها القدرة على التحريك عن بعد ... ودي كانت آخر حاجة لحد ما فقدتهم كلهم في حادثة حصلت لي من شهر تقريبا .

طرقا على الباب أعقبها دخول أحدهم وهو يحمل قدين من القهوة وضع أحدهم أمام "كريم"، والثاني أمام الطبيب قبل أن ينصرف، فرشف الطبيب رشفة ببطء كأنه يفكر فيما سيقوله :

- بص يا "كريم"، هكلمك بصراحة، وياريت ماتفهمش كلامي بشكل مسيء، وجود شخص يحمل قدرة خارقة للعادة موجود لكنه نادر جداً، لكن وجود شخص عنده عدة قدرات ده يعتبر بشكل عملي مستحيل.

- يعني إيه بشكل عملي؟

- يعني طوال سنين البحث اللي عملها مؤسسي النظريات دي عمرهم ماقابلوا حد عنده أكثر من قدرة واحدة، أما من الناحية النظرية -وده بحث يمكن أنا بس اللي بدأتُه- فهو ممكن

تنفس "كريم" بارتياح من جملة الطبيب الأخيرة :

- يعني حضرتك مصدقي؟

هز الطبيب رأسه وهو يطم شفتيه و يقول ببطء :

- نرجع تاني للنقطة الرئيسية ... أنا مش هأصدق غير اللي يتم إثباته معملياً

- بمعنى!؟

- بمعنى إني هطلب منك تعمل شويه تحاليل وفحص شامل للجسم كله ورسم مخ وقلب، وما

تقلقش كل الفحوصات اللازمة هاتعملها هنا وحالا، ومش هأخذ من وقتك غير ساعتين بالكثير

- طيب إزاي الفحوصات اللي حضرتك قولت عليها دي هاتثبت حاجة والقدرات دي حالياً مش

موجودة؟

- مفيش حاجة اسمها مش موجودة، في حاجة اسمها معطلة ومحتاجة تنشيط ... لا تقلق

ثم أنهى القهوة هو و"كريم" وقام من كرسيه والتقط جاك البذلة وارتداه وهو يشير إليه :

- جاهز؟

- أنا جاهز

- طيب اتفضل معايا.

ثم دار حول المكتب واتجه صوب الباب و"كريم" يسير خلفه حتى وصلا إلى غرفة أخرى معلق على بابها يافطة مكتوب عليها دكتور "عماد مسيحة"، فطرق الطبيب "ألبيير" على الباب، ودخل وخلفه "كريم" ليجد رجلاً آخر يجلس خلف مكتبه، وهو يمسك بمدونة ملحوظات وهو يخط عليها بقلمه، كان بدينًا ومترهل الجسد، طفولي الملامح أسمر الوجه، و يبدو من الشيب الخفيف على جانبي رأسه أنه لم يتعد العقد الرابع من عمره، وخلفه على الحائط مثبت صليب خشبي كبير .

وما أن رأى الطبيب "عماد" أن رئيسه هو من دخل عليه؛ حتى قام من مجلسه وصافحه، ثم صافح "كريم" بفتور نوعًا:

- دكتور "عماد مسيحة" ... أستاذ "كريم عبدالله"

وبعد أن عرفهما على بعضهما البعض وأبلغ الطبيب "عماد" بقصة "كريم" والفحوصات المطلوبة؛ حتى ازداد وجهه عبوثًا :

- حاضر يا دكتور ... اتفضل على الكرسي يا أستاذ "كريم" علشان محتاج شويه بيانات الأول

قالها له بطريقة كأنه يسبه بأمه لا يدعوه للجلوس، فنظر "كريم" إلى الطبيب "ألبيير" الذي ابتسم له ألا يستاء؛ ثم تركهم وانصرف وهو يقول للطبيب "عماد":

- ياريت النتائج تحيلي مع ملف الأستاذ "كريم" بمجرد ما تظهر

- أكيد يا دكتور.

ثم عاد الطبيب عماد إلى مكتبه وجلس، وبدون أن يقول أي كلمة ترحيب بـ "كريم" أخرج ملفًا وفتحته، ودفعه إليه وهو يقول بلهجة آمرة :

- أكتب هنا (اسمك - سنك - طريقة الاتصال)، بياناتك كلها يعني

- أستغفر الله العظيم.

تمتم بما "كريم" وهو يملأ صدره بالهواء؛ حتى يذهب الغضب والضيق من طريقة الطبيب، ثم أمسك قلمًا موضوعًا على المكتب، وشرع في كتابة بياناته، وما أن انتهى حتى دفع الملف مرة أخرى إلى الطبيب، الذي

أخذ الملف وحمله وقام ليدور حول المكتب، واتجه صوب الباب دون أن ينبس بكلمة، ثم التفت إلى "كريم" الجالس مكانه، وقال بحدة كأنه يكلم خادماً:

- انت قاعد ليه؟!... ما تبالاً معايا

فقام "كريم" وهو يتحرك وراءه بعصية ويتمتم :

- صبرني يارب.

سار معه، واستقل المصعد إلى الطابق السابع، وخرجا في ممر يشبه الذي كان فيه من قبل؛ حتى دخل به إلى غرفة يوجد بها عدة ممرضين رجال، و في منتصف الغرفة توجد أجهزة غريبة، في وسط الغرفة جاز إسطواني عرف "كريم" من مشاهدة الأفلام أنه جهاز رنين مغناطيسي، وعلى يمين الغرفة سرير طبي بجانبه بعض الأجهزة التي تتابع المخ والقلب، انقبض قلب "كريم" فور رؤيتها وتذكر الرؤى الظلامية، وأحس كأن كتية فئران تجري بداخل صدره فأجفل، في حين أمر الطبيب "عماد" أحد الممرضين أن يناول "كريم" رداء واسع بلا أكمام يشبه قمصان النوم النسائية، وهو يقول دون أن ينظر إليه :

- ياريت تقلع هدومك ورا الستارة وتقلع أي حاجة فيها معدن (دبلة - ساعة) وبسرعة علشان نبدأ

- هو لازم؟

قالها بتردد ممزوج بقلق؛ فالتفت إليه الطبيب بحدة :

- تحب أقلع أنا واعمل الفحوصات مكانك ... اتفضّل يا أستاذ

تقدم "كريم" وهو يقدم خطوة ويؤخر أخرى، حتى تواري خلف الستار؛ فأتاه صوت الطبيب "عماد" :

- خلى بالك إننا هاناخذ عينة من أنسجتك؟

- عملية يعني؟

- لأ

فخلع "كريم" ملابسه وارتدى القميص وخرج عليهم لتبدأ الفحوصات.

ثلاثة ساعات قضاها ما بين الرنين المغناطيسي، ورسم القلب والمخ، وأجهزة أخرى لم يتعرف عليها، وفي آخر الأمر تم أخذ عينة دماء بشكل كبير؛ حتى فكر في أنه قد يحتاج محلول جفاف حتى لا يسقط فاقداً الوعي، وبعد أن، انتهى ارتدى ملابسه مرة أخرى، ومد يده مصافحا الطبيب "عماد" الذي صافحه بيد مفرودة بفتور قبل أن يجذبها بسرعة كأنه يصافح مجزوم، ثم تركه وانصرف، وقبل أن يترك "كريم" المستشفى عرج على مكتب الطبيب "ألبيير"؛ فوجده قد رحل من المستشفى، فما كان من "كريم" إلا أن خرج واستقل سيارته وطار عائداً إلى بيته.

لم يعرف لماذا عرج على منطقته الأولى "بولاق الدكرور"، وحينما مر على المقهى أبطأ سيره؛ لعله يجد أحد أصدقائه، فلم يجد ولكنه وجد رجلاً قوي البنية حاد القسما، وعلى وجهه جرح قديم في جبهته، كان يجلس يدخن الشيعة وحوله بعض بلطجية المنطقة، أوقف "كريم" السيارة وتأمله كأنه يحاول التعرف عليه، ثم انقبض صدره حينما تعرف عليه... فقد كان "زغلول".

"زغلول" البلطجي الذي كان يحاول سرقة شقتهم منذ سنين عدة ودخل السجن عندما أبلغ عنه "كريم" الشرطة، شعر كأن الخيوط تتجمع وأن عجلة القدر قد بدأت دورانها، وأنها تجمع الخيوط حتى يصل إلى نهايته؛ فأدار سيارته وانطلق وهو يتمنى ألا يكون "زغلول" قد رآه، وما أن وصل إلى بيته ودخل شقته وقلبه يسابقه؛ حتى أغلق الباب، وألصق ظهره إليه لحظات حتى يهدئ روعه؛ ثم انتبه عندما وجد أن أضواء الشقة كانت مطفأة؛ فأشعلها وأخذ ينادي على والدته، فلم يأتها أي رد؛ فأخذ يبحث عنها في غرفتها فلم يجد أي أثر لها في الشقة؛ فانتابه القلق، وقبل أن يخرج هاتفه ليجري اتصالاً بها، وجد باب الشقة يفتح ووالدته تدخل:

- كنتي فين يا حاجة؟

دخلت وجلست على الأريكة لتستريح :

- إيه ده يا حبيبي انت جيت ؟

- لسه واصل حالا ... كنتي فين ؟

- قمت من النوم زهقانة؛ فقلت أروح اقعد مع أم "تقى" شويه

هربت الدماء من وجهه:

- كنتى فين؟!

- إيه يا ابني مالك؟

- وماقنتيش ليه إنك رايحة؟

- عادي يعني؛ أصلي قلت إني أكيد هارجع قبلك، بس القعدة خدتني شويه ... كلت ولا

أحضرلك تاكل؟

- لأ شكرًا ... ماليش نفس.

ثم انطلق إلى غرفته دون أن يقول أي شيء آخر، وأغلق بابها وأغلق هاتفه؛ ثم استلقى على السرير وهو يلهث وصدره يتقافز علوا وهبوطا من الانفعال، يفكر في أحداث اليوم، وفي ذهاب أمه إلى "تقى" على غير موعد، وخروجه في أيام الخطر بحماقة منه، و"زغلول" الذي ظهر فجأة، وكم كان الخطر وشيكا فقال وهو يغمض عينيه:

- That was close one

أما في المركز الطبي العالمي للأبحاث؛ فقد مكث الطبيب "عماد" حتى الثالثة فجرا في مكتبه، يطالع ملفًا يحوي نتيجة الفحوصات الخاصة بـ "كريم" وهو مذهول مما يرى؛ حتى أنه ظل يعيد القراءة عدة مرات كأنه غير مصدق للنتيجة، ثم أمسك بجهاز تسجيل صوتي صغير موضوع على المكتب، ثم ضغط زر التسجيل:

" اسم الحالة : "كريم عبدالله عبدالمجيد "

الفحوصات على المخ أظهرت وجود نشاط قوي في المنطقة الجدارية السفلى ووجود خلايا غروية أكثر من المعتاد , وده ممكن يبقى ليه تأثيرات جانبية غير متوقعة, المنطقة العمياء في العين الأوعية الدموية المتصلة بها أكثر من المعتاد, كما أن الأنسجة العضلية للحالة تشبه في تكوينها أنسجة عضلة القلب والأنسجة العضلية البيضاء الغير إرادية, أما فحص الدم فأثبت وجود بقايا مادة غريبة لم يتم التعرف عليها بعد."

أنهى التسجيل ووضع جهاز المسجل، فكر قليلاً ثم هم أن يقوم بعد أن أمسك بالملف، ولكن تناهى إلى مسامعه وقع خطوات قادمة من الخارج أعقبها طرقة خفيفة على الباب؛ ففتح الباب ليجد أن الطبيب "ألبيير" هو من أتى؛ فنظر إلى ساعته بدهشة :

- دكتور "ألبيير" ... إيه اللي جاب حضرتك في وقت متأخر كده ؟

وصل الطبيب "ألبيير" حتى المكتب؛ فجلس على المقعد المقابل يستريح قبل أن يبتسم بود إلى الطبيب "عماد":

- أصلي اتصلت بالأمن بالليل كالعادة؛ فقالولي إنك سهران لحد دلوقتِ فاستغربت

- أصل مراتي والأولاد عند حماقي النهاردة، ومفيش حاجة أروح علشانها

فقال الطبيب "ألبيير" بلهجة ناصحة :

- ما ينفعش يا "عماد" ترهق نفسك بالشكل ده، لو عايز تحافظ على صحتك لازم تعمل زيي، نام

الساعات المطلوبة ولما تكبر مش هاتمس بالعجز، وبيا سلام بقى لو تمارس رياضة المشي مثلاً ...

انسى حاجة اسمها شيخوخة للأبد

- أكيد يا دكتور

- أنا بانصحك علشان أنت زي أخويا الصغير

ثم وكأنه تذكر أمرا :

- صحيح، إيه نتائج الفحوصات بتاعة الشاب اللي جالي النهاردة ؟ ... Fake زي اللي قبله

طبعاً

حاول الطبيب "عماد" أن يدير يده ليخفي الملف الخاص بـ "كريم" وهو يخفي ارتبائه:

- نتيجة الفحوصات هاتبقى على مكتب حضرتك الصبح

- Ok، هامشي أنا دلوقتِ ... تصبح على خير

قالها وهو يقوم من على المقعد ويتجه إلى الخارج:

- وانت من أهله يا دكتور.

أمسك مقبض الباب وفتحه، ثم التفت إلى الطبيب "عماد" وهم أن يقول شيئاً؛ فرأى ملفاً بيده فقال وهو يقترب منه :

- هاتروح دلوقتٍ ؟

- أه خلاص هاقفل وامشي بعد حضرتك على طول

- هو ده الملف بتاع "كريم".

قالها وهو يمد يده وينزع الملف برفق من يد الطبيب "عماد" الذي امتنع وجهه وفتحه وأخذ يطالعه وعينه تتسع انبهاراً:

- مستحيل ... إزاي يا "عماد" ما تقوليش على النتائج دي ؟

- ما أنا قولت لحضرتك إن التقرير هايبقى على مكتبك بكره

- حاجة زي دي ما تستناش يا "عماد"، حلمي بيتحقق يا "عماد"

ثم أغلق الملف وهو يتكلم بحماس :

- أنا ما قابلتش بنفسي حالة عندها قدرات استثنائية غير مرة واحدة في ألمانيا من ثلاثين سنة، كنت

شاب ساعتها والعلماء الكبار هناك هما اللي اهتموا بيه، بس أخيراً قابلت حالة أقدر أثبت بيها

صحة نظريتي ... من حسن حظه إنه جه هنا

- أو من سوء حظه

قالها الطبيب "عماد" كأنه يحدث نفسه؛ فنظر إليه الطبيب "ألبيير" بحيرة وهو يسأله :

- من سوء حظه إزاي !؟

- لا مفيش يا دكتور، شكل السهر خلاني مش مركز

قالها وهو يصطنع الابتسام؛ فرَبَّت الطبيب "ألبيير" على كتفه :

- علشان كده بقول لك خلي بالك من صحتك ... أنا هامشي دلوقتِ.

اتجه إلى الخارج والفرحة بادية عليه، وهو يمسك بالملف كأنه يمسك بطفل صغير يخشى عليه، في حين ظل الطبيب "عماد" واقفًا مكانه يفكر قليلاً؛ ثم اتجه إلى نافذة الحجرة الزجاجية، وظل يتطلع منها إلى الشارع حتى رأى الطبيب "ألبيير" يخرج ويستقل سيارته ويرحل، وبعد أن تأكد من أنه الآن وحده في المركز، عاد إلى مكتبه وفتح أحد أدراجته، وأخرج علبة كارتونية بيضاء مكتوب على أحد جوانبها "تسجيل حتى 30 ساعة متواصلة"؛ ففتحها و أخرج منها جهاز تسجيل صغير موضوع في أحد جوانبه شريحة ذاكرة.

ظل يقلب الجهاز بين يديه وعقله يفكر؛ ثم مد يده إلى الدرج مجددًا وأخرج مفتاحًا صغيرًا؛ ثم قام وخرج بخطوات بطيئة، وسار في الممر حتى توقف أمام غرفة مثبت على بابها يافطة مكتوب عليها "دكتور" ألبيير عياد"، كان يعلم أنه الوحيد المتواجد؛ إلا أن القلق جعله ينظر يمنة ويسرة؛ ليتأكد أن أحدا لا يراه ثم مد يده في جيبه، وأخرج المفتاح وأولجه في الباب وفتح بهدوء، وتسلسل إلى غرفة الطبيب "ألبيير" وتوقف في منتصفها يتأمل الغرفة؛ حتى أوقف بصره على المكتب الخشبي، وتوجه إليه بحذر ثم مد يده وألصق الجهاز أسفل المكتب بعد أن ضغط زر التشغيل.

وبسرعة وحذر خرج من المكتب، وأغلق بابه بهدوء وعاد أدراجه إلى غرفته، وجلس خلف مكتبه وفتح الكمبيوتر الخاص به يتأمل ملف "كريم" الذي سجله على البرنامج باسم ...

(الحالة صفر)

الحالة صفر

"5 أغسطس 2008"

" النهاردة أقدر أقول فعلا إن أيام الخطر انتهت؛ خاصة بعد مراجعة جدول القنوات الفضائية، وأن الفيلم مش هابتعرض خلال الشهر ده نهائي تاني، وده معناه إن أنا حر لمدة سنة كمان يس يس يس ... "كريم عبدالله"

"بتاريخ 5/08/2008"

أنهى التسجيل وخرج من الغرفة فرحًا؛ فوجد أمه جالسة تشاهد التلفاز؛ فاندفع نحوها وأمسك بيدها وأقامها، وأخذ يتقافز حولها بفرح ثم احتضنها بقوة وأخذ يقبلها فأخذت هي تدفعه :

- هاتخق يا أهبل

فتركها والفرحة مازالت تغمره :

- آسف آسف، بس أصل أنا فرحان جدًّا

- يارب دايمًا ... بس ليه ؟

- أيام الخطر عدت يا أمي ... أنا لمدة سنة حر من غير أي خوف

- الحمد لله ... يارب يبعد عنك كل شر يا حبيبي

قطع حديثهما صوت هاتف المنزل؛ فذهبت والدته ونظرت إلى رقم المتصل:

- دي "تقى" برضه يا "كريم"، هاترد المرة دي ولا زي كل مرة ؟

اندفع نحو الهاتف وقال -وهو يلتقط السماعه - :

- هارد طبعا ... بقول لك خلاص أيام الخوف عدت

ثم وضع السماعه على أذنه وهو يقول بلهفة وهيام :

- مساء الخير على أحلى وأجمل وأرق وأطيب "تقى" في الدنيا كلها
..... -
- لسه واصل حالا
..... -
- أسف والله يا حبيبي بس أصل تليفوني باظ وأنا هناك وماعرفتش أصلحه
..... -
- عارف إني غلطان وأستاهل الضرب بالنار كمان
..... -
- خلاص بقى بلاش شغل القمص ده، وعلى العموم أنا جايب لك حطة هدية تحفة على سبيل
الاعتذار
..... -
- بلاش تعتبرها اعتذار واعتبرها هدية تخرجك من الجامعة اللي ما جبتهاش
..... -
- ساعيني ماتبقيش رخصة
..... -
- أيوه كده هي دي "تقى" العسل اللي أعرفها
..... -
- هو بكرة الأربع ؟ ... طيب تمام أنا هاستأذن باباكي وأجي
..... -
- سلام إيه استني هنا ... مش المفروض تقول لي : وحشتني يا حبيبي ؟
..... -
- وربنا رخصة بس باموت فيك برضه
..... -
- ماشي يا قلبي ... مع السلامة.

ثم أغلق الهاتف، واندفع نحو والدته مجددًا كأنه طفل فرح بقدوم العيد

- ها قبلها بكرة أخيراً

فطبعت قبلة على وجنته ثم سألته :

- صحيح يا "كريم" ... هدية إيه اللي جبتها ؟

فقال بحيرة وقد تذكر مقولته :

- أه صحيح هدية إيه؟!!

- مش بقول لك أهبل

- هأروح أجيب لها هدية بسرعة

ثم تركها واختطف مفاتيح السيارة وانطلق نحو الباب بسرعة

- يا أهبل هاتنزل بالفانلة الحمالات وبنظنون البيجامة!!!!

فتوقف أمام المرآة الموجودة بجانب الباب؛ فوجد أنه بملابسه الداخلية، وذقنه نامية مشعثة وشعره مبعثر- كأنه مجنون فر لتوه من مستشفى المجانين-؛ فقذف المفاتيح على الأريكة وتوجه بتخاذل نحو الحمام حتى يغتسل ويحلق ذقنه، ولم تمر الساعة حتى كان قد ارتدى ملابسه، وحمل حقيبة الكمبيوتر المحمول الخاص به، وخرج من المنزل، وتوجه ناحية سيارته؛ فألقى حقيبته بداخلها وانطلق بها.

ظل يدور بسيارته يفكر في الهدية التي سيحضرها لحبيبته؛ حتى توقف أمام أحد المولات الشهيرة؛ فوضع سيارته بداخل الجراج المخصص بالمول، وصعد درجات السلم وأخذ يتجول في الممرات يشاهد المعروض، وأثناء تجوله وجد محل الكمبيوتر (Apple) فدخله حتى يبتاع بعض الملحقات لجهازه، وقبل أن يخرج وافته فكرة؛ فعاد إلى البائع وقال له وهو يريه جهازه :

- لو سمحت عندك نفس الجهاز ده بنفس اللون ؟

- أه طبعا يا أفندم

ثم قاده إلى جانب موضوع فيه نفس الجهاز:

- أهه يا أفندم
- ممتاز ... طيب بعد إذنك هاخده
- تحت أمرك.

جمع البائع الجهاز ودفعه إلى "كريم" مع حقيبة ماثلة لحقيبتة فقال له "كريم" بعد أن دفع ثمن الجهاز بنظام الفيزا:

- طيب ممكن أكتب حرفين على الشنطة
- فرد البائع وهو يتنسم بحرج :

- للأسف يا أفندم الأويشن ده مش عندنا
- ولا يهملك ... السلام عليكم
- وعليكم السلام

ثم انطلق نحو سلم المول واستقله للأسفل نحو الجراج وهو يحمل حقيبتة والكمبيوتر الجديد، واستقل سيارته وانطلق؛ وما أن وصل إلى أمام بيته حتى أوقف السيارة، وظل بها قليلاً يفكر قبل أن يدير محركها مجدداً وينطلق بالسيارة وهو يقول محدثاً نفسه :

- الأول فيه حاجة لازم أحلها.

بجانب المقهى الذي اعتاد الجلوس فيه - في حي "بولاق الدكرور" - أوقف سيارته، ثم ترجل واتجه ناحية المقهى؛ حتى رأى من أتى من أجله ... رأى "زغلول".

كان جالسا وسط رفقته يدخن المعسل - كعادته منذ الأبد -؛ فتقدم منه "كريم" وهو يقدم قدم ويؤخر الأخرى؛ حتى توقف أمامه فرفع "زغلول" رأسه إلى القادم وأخذ يتأمله بفتور :

- أوامر ... أي خدمة؟

شعر "كريم" كأن أحباله الصوتية قد اختفت؛ فأخذ يفتح فمه ويغلقه عدة مرات قبل أن يجمع شتات نفسه ويقول بطريقة متلعثمة :

- إزيك يا "زغلول" ؟
- أهلا وسهلا ... مين الأمور ؟
- أنا "كريم" كنت جارك هنا من زمان ... مش فاكري ؟

قطب "زغلول" حاجبيه وهو يتأمل "كريم" للحظات وهو يحاول التذكر حتى هتف فجأة :

- "كريم" ! ... "كريم عبدالله" !

فقال "كريم" بحذر :

- أيوه أنا.

فألقي "زغلول" لاي الشيشة على المنضدة، وقام واندفع فجأة نحو "كريم" الذي تراجع بعض خطوات للخلف من الخوف، ولكن على عكس توقعه قام "زغلول" باحتضانه بشدة حتى كاد يحطم أضلعه وهو يردد فرحا :

- إزيك يا "كريم" ... ليك وحشة وربنا ... إزيك يا أخويا،

ثم أفلته وهو يقول بخجل :

- اوعاك تكون لسه زعلان من اللي حصل زمان ؟
- بالعكس ده أنا جاي أشوفك أنت اللي زعلان
- أزعل إيه بس يا راجل ... ده أنا اللي كنت غلطان

ثم جذب "كريم" وأجلسه أمامه وهو يقول معتذراً :

- سامحني يا "كيمو" دي كانت لحظة شيطان وربنا
- لا خلاص أنا نسيت من زمان

- أصيل وربنا يا "كيمو" ... شاي بوسطة هنا يا ابني

كانت الأخيرة لعامل المقهى، قالها وأطرق برأسه؛ فعاجله "كريم" متسائلا :

- إلا صحيح، أنت كنت فين المدة دي كلها؟

- مفيش والله، أنا طلعت من السجن بعد ثلاث سنين، وبعدها رحى قعدت في الشرقية الفترة

الباقية، بس قلت أرجع منطقتي علشان وحشتني هي وأهلها الحلوين

- نورت منطقتك يا "زغلول"

- منورة بأهلها يا ساحبي

ظلا يتحدثان طوال النصف ساعة؛ حتى قال "كريم" له :

- معاك موبيل طبعا يا "زغلول"

- أه طبعا

- طيب هات رقمك بقى.

قالها ثم أخرج هاتفه حتى يدون الرقم؛ فوجد الهاتف مغلقًا كما هو منذ عشرة أيام؛ ففتحه، وقبل أن يدون

الرقم ظل الهاتف يصدر صوت وصول رسائل عدة تجاوزت الخمس عشرة رسالة من رقم غريب ففتح أول

رسالة يقرأها :

" أستاذ "كريم" النتائج الخاصة بيك خلصت والنتائج فعلا مذهلة، أتمنى إنك تكلمني في أي وقت ...

دكتور "ألبير عياد "

شعر بأمل قادم؛ فتراقص قلبه فرحا

- كتبت الرقم يا "كيمو"؟

- معلى قول الرقم تاني يا "زغلول"

دون الرقم ثم استأذن "زغلول" في الانصراف، واتجه نحو سيارته على عجل وانطلق إلى بيته.

وصل إلى غرفته فدخلها، وأغلق الباب ثم جلس يقرأ الرسائل بعد أن وضع حقيبته والجهاز الجديد على الفراش:

" أستاذ "كريم" قدراتك ممكن ترجع تاني، وأنا الوحيد اللي أقدر أساعدك، أرجوك كلمني ... دكتور "ألبير عياد "

" أستاذ "كريم" أنا بجاول أوصول لك بقالي لي أسبوع ومش عارف، أتمنى تكون بخير ... دكتور "ألبير عياد "

أنهى قراءة الرسائل بسرعة وفرح؛ ثم أجرى اتصالاً بالرقم وانتظر حتى أتاه صوت الطبيب :

- دكتور "ألبير "
- "كريم"، أخيراً يا راجل
- آسف يا دكتور، بس كان عندي ظروف الأيام اللي فاتت
- ولا يهملك، أنا فعلاً قلقت عليك
- الله يخليك
- المهم، أنا لازم أقابلك ضروري ... ياريت لو ينفع دلوقت

نظر "كريم" إلى ساعة الحائط؛ فوجدها قد تعدت الحادية عشر مساءً

- الساعة 11 ونص يا دكتور، ممكن نخليها يوم تاني
- طيب بكرة تجيلي المركز
- أنا بكرة عندي مشوار مهم
- أرجوك يا "كريم" تيجي بكرة، وماتقلقش مش هاخذ من وقتك كثير
- ممممم، طيب على الساعة 12 الضهر كويس
- ممتاز ... بس أرجوك تيجي
- أكيد يا دكتور ... شكرا على اهتمامك
- ده أنا اللي المفروض أشكرك إنك جيت لي ... مستنيك بكرة

- بإذن الله ... مع السلامة

- مع السلامة.

أغلق الهاتف وهو يشعر بفرحة ممزوجة بكثير من التعجب من إلماح الطبيب؛ كأنه هو المريض الذي يبحث عن علاج، ثم نفض عن ذهنه ذلك كله وقد عاوده شعور عارم بالفرحة؛ لا لأن الأمل في عودة قدرته أصبح في الإمكان، ولكن لأنه غدا سيلتقي بتوأم روحه... "تقى"

"المركز الطبي العالمي للأبحاث"

في اليوم التالي وفي تمام الثانية عشرة كان قد وصل إلى المركز ووقف أمام حارس الأمن الذي لم ينتبه لقدمه:

- دكتور "ألبير عياد".

رفع حارس الأمن رأسه ليجد "كريم" يقف أمامه وهو يبتسم ابتسامة لزجة؛ فدفق إليه الكشف بحنق - دون أن يطرح أي أسئلة؛ فوقع "كريم" في الكشف، واتجه إلى الباب، ولم تكد تمر خمس دقائق؛ حتى كان في مكتب الطبيب "ألبير" يتناقشان في ما وصلت إليه النتائج، كان الطبيب يتكلم بحماس بالغ وهو يعرض النتائج واحدة تلو الأخرى، وما أن انتهى حتى أغلق الملف هو يقول :

- وده يدل بشكل قاطع إن مخك بالفعل يقدر يخليك تعمل حاجات خارقة للعادة

ابتسم "كريم" من قول الطبيب :

- يا دكتور أنا متأكد من كده، المشكلة هنا إني فقدت القدرات دي

لوح الطبيب يده بثقة :

- قلت لك مفيش حاجة اسمها فُقدت، هي بس معطلة حالياً وبالتأكيد إعادة تفعيل الجزء ده من

المخ في الإمكان.

راودت "كريم" المخاوف فقال على الفور:

- طيب إزاي؟ ... عملية جراحية مثلا؟
- لا ماتخافش، عملية الاستعادة هاتبقى مسئوليتك انت، أما أنا دوري هايبقى عامل مساعد لا أكثر
- إزاي؟!؟
- سيبك دلوقت من الطريقة، واحكي لي كل حاجة من الأول.

نظر "كريم" إلى ساعة يده؛ فوجدها قد تجاوزت الواحدة والنصف ظهرها فرفع رأسه مجددًا إلى الطبيب وقال بحرج:

- آسف جدًا يا دكتور بس أنا لازم امشي؛ علشان عندي مشوار مهم جدًا
- أهم من استعادة قدراتك؟
- بصراحة أيوة ... هروح أقابل خطيبي؛ علشان ماشفتهاش بقالي فترة.
- قالها وهو بيتسم؛ فضحك الطبيب ثم فتح درج مكتبه وأخرج علبة بلاستيكية بلا اسم مدون عليها وقدمها إلى "كريم" وهو يقول:
- ماشي يا سيدي ... خد الحبوب دي ثلاث مرات في اليوم، وتستمر عليها لحد ما اقول لك خلاص
- اسمه إيه الدواء ده؟
- لا ده دوا جديد طوره مركز الأبحاث هنا، وأكد مش هاينزل الأسواق لأن مرض فقدان القدرات الحارقة مش منتشر أوي زي ما أنت عارف.

قالها وهو يغمز؛ فردَّ "كريم" بحيرة وهو يتأمل العلبة:

- مش فاهم ... طيب انتوا عملتوا دوا زي ده ليه إلا لو كان في حالات مشابهة لحالي؟!؟
- احنا عندنا قسم كامل لأبحاث القدرات العقلية - سواء استعادتها أو جعل الإنسان العادي عنده القدرات دي - ... ومش شرط إن حالات زيك تقابلنا علشان نطور دوا زي ده

- طيب يعني إيه " جعل الإنسان العادي عنده القدرات دي " ... مش مستوعب ؟
- سيبك من الأسئلة دي كلها دلوقتٍ، ولما نتقابل ابقى أفهمك ... إيه رأيك نتقابل تاني النهاردة ؟

تبسم بخرج وهو يرد :

- النهاردة مش هافضى قبل الساعة 7، وأكد المركز هايبقى قفل
- لا يا راجل مركز إيه ... إيه رأيك تقابلني النهاردة في سیتی ستارز الساعة 8 مثلا ؟
- أوك ... شكرا جدًا يا دكتور على اهتمامك ده
- ولا يهملك طبعاً ... انت من النهاردة الحالة الوحيدة اللي هاهتم بيها
- شكرا جدًا ... السلام عليكم
- مع السلامة.

قام من المقعد وصافح الطبيب وانصرف.

بعدها استقل سيارته وقبل أن ينصرف أتاه صوت ينبئ بقدم رسالة على الهاتف؛ ففتحها ليجدها من "تقى" تطلب منه إحضار والدته معه- بناءً على رغبة والدتها -، نظر إلى ساعة الهاتف؛ فوجدتها قد تعدت الثانية ظهراً، إلا أنه لم يملك إلا الاستسلام لطلبها؛ فأدار السيارة وانطلق إلى بيته أولاً ليقل والدته. ولم تمض ساعتان حتى كان هو ووالدته قد وصلا إلى منزل "تقى"، بعد الكثير من السلامة والسؤال عن الحال وعن رحلته الوهمية إلى شرم الشيخ؛ انفرد بحبيته في أحد أركان الردهة وهو يقدم لها الهدية :

- أحلى هدية لأحلى "تقى" في الدنيا
- أنا ما يهمني الهدية قد ما يهمني إني أتطمّن عليك
- يا شيخة قولي كلام غير ده، دي انت عينك طول القعدة على الهدية

فضيقت عينيها بغیظ :

- بقى كده ... طيب مش عايزة منك حاجة يارخم، وكمان هاقوم وأسيبك
- خلاص خلاص بهزر والله.

قالها وهو يضحك؛ ثم قدم لها علبة مغلقة فتحتها لتجد جهاز الكمبيوتر المحمول :

- إيه ده ؟ ... مش ده الجهاز بتاعك ؟
- لأ طبعا يا حبيبي أنا جهازي في العربية، وبصراحة أنا حبيت إنك يبقى معاكي نفس الجهاز اللي معايا .

فتحت الجهاز وفي عينيها فرحة الانبهار :

- وااااا ... ربنا يخليك يا "كريم"
 - ويخليك ليا يا حبيبي .
- حانت منها التفاتة إلى المكان الذي كان يجلس فيه منذ قليل؛ فوجدت حقيبة الكمبيوتر فسألته بحيرة :

- طالما جهازك في العربية شايل شنطته معاك ليه ؟
- أه صحيح

قام من مكانه وأحضر الحقيبة وقدمها إليها

- قلت برضه إن شنطتك تبقى زي شنطتي بالظبط ؟
- جميلة

تقرب منها قليلاً وهو يهمس؛ حتى لا يسمعه أحد :

- طيب بالمناسبة دي مفيش كلمة حلوة ليا ؟
- أه طبعا

قالتها وهي لاتزال تتفحص الجهاز، ثم صمتت ولم تعقب فعاجلها بسعادة :

- طيب قولي
- أقول إيه ؟
- الكلمة الحلوة

- بسبوسة.

عدل ظهره بغيظ واضح، وأطبقت هي شاشة الجهاز على لوحة المفاتيح وهي تبتسم ابتسامة واسعة و تكتم ضحكتها:

- هو أنا قولت لك قبل كده إنك رخمة ؟

- كتيبيير، ده أنا بيتهيألي إنك بعد كده هتقول لي يارخمة بدل صباح الخير

- ماشي يا "تقى"

- يا "كريم" ما تستعجلش، بعد كتب الكتاب هاتزهق من كتر ما هقولها

- أما نشوف ... يا رخمة .

لم يعرف كيف مر الوقت سريعاً إلا عندما حانت منه التفاتة إلى ساعة الحائط؛ فوجدها قد قاربت السادسة والنصف؛ فقام مسرعاً وهو يجذب أمه :

- معلش أنا مضطر استأذن دلوقتٍ علشان عندي مشوار ضروري

فردت "تقى" بغيظ :

- النهاردة يا "كريم"؟! ... جاي دلوقتٍ ويبقى عندك مشوار مهم؟!!

- آسف جداً يا "تقى" بس بجد غصب عني

- طيب مادام مشوار مهم يبقى روح أنت، وأنا هبقى أوصل والدتك

كانت هذه من والد "تقى" فجلست والدة "كريم"، وأشارت له أن يذهب هو

- ربنا يكرمك يا عمي ... معلش هاتعبك معايا

- لا يا حبيبي ولا يهملك

- السلام عليكم

- وعليكم السلام

ثم أشار لـ "تقى" بيده وهو يهمس لها :

- ساعيني .

ثم أدار ظهره وانطلق .

بعد ساعة ونص كان يقف وهو يجول بعينه في الكافية الذي حدده له الطبيب؛ حتى وجده يجلس في أحد الأركان يشير إليه؛ فتوجه ناحيته وجذب مقعدًا وجلس:

- اتأخرت عليك ؟

- هما عشر دقائق بس

- سوري الطريق كان زحمة جدًا

- ولا يهتمك ... ندخل في المهم

- وحضرتك مستعجل ليه كده

- الوقت يا "كريم"، لازم أقدر أفهم المشكلة في أقرب وقت علشان نوصل للسبب اللي خلى

قدراتك تتعطل

- تحت أمرك

ثم ابتسم وهو يسأل الطبيب :

- تسمحي أستفسر عن حاجة الأول ؟

- طبعاً

- أنا ملاحظ إن كلامك كله بالعربي من غير ادخال جمل إنجليزية في الكلام زي أغلب الدكاترة !

- أنا باتكلم أربع لغات يا "كريم"، وقضيت حياتي ما بين ألمانيا وفرنسا وإنجلترا وأمريكا، تفتكر وأنا

في ألمانيا ممكن أكلهم إنجليزي أو وأنا في أمريكا هاكلمهم ألماني ... اللي بقى بيكلمك إنجليزي

في وسط العربي ده، يا إما عاش معظم حياته بره لدرجة إنه نسي العربي، يا إما متنطع

- متنطع ! ... دي كلمة عربية جامدة جدًا !

- يعني فاكربي هاجيد اللغات التانية أكثر من لغتي الأم ؟

- ممتاز يا دكتور بجد

- يا ابني ركّز وخلينا في مشكلتك انت
- ماشي ماشي ... تحب تعرف إيه ؟

قالها وهو يضحك فرد الطبيب بجدية:

- إحكي لي كل حاجة من الأول، كل حاجة تخطر على بالك
- أوك ... نقول الأول بسم الله

قالها وهو يلعب ساعة يده ويشمر أكمامه - كأنه سيدخل في قتال لا سيقص على الطبيب ما حدث -، ثم أسند ذراعيه على المنضدة وبدأ في الحديث، ساعتان كاملتان قص فيهما كل شيء، من أول الأحداث الغريبة التي كانت تحدث في المنزل وهو صغير، والطبيب ينصت له باهتمام شديد دون أن يقاطعه - سوى بضحكة تارة على بعض الأشياء أو يدون في مدونة صغيرة أمامه بعض الجمل والملاحظات - وما أن انتهى "كريم" حتى صمت الطبيب قليلاً يشخبط في مدونته وهو يفكر قبل أن يرفع رأسه وهو يبتسم ابتسامة نصر :

- مذهل
- إيه اللي مذهل ؟ امتلاك القدرات والا فقدانها ؟
- امتلاك العدد ده من القدرات مستحيل، مش قصدي أكذبك؛ لأن الفحوصات أظهرت بالفعل وجود نشاط غريب في مخك، ممكن يبقى تأثيره هو وجود قدرات استثنائية ... لكن

ثم أخذ يهز يده بانفعال وحماس :

- الاستبصار، القدرة على التحريك عن بعد، ذاكرة الأشياء -زي ماسميتها -، مع الأخذ في الاعتبار قدرات والدك، نقدر نضيف إن في المستقبل هاتقدر تقرأ الأفكار، وكمان يبقى عندك قدرة التخاطر
- في المستقبل؟!؟

قالها "كريم" بحيرة ثم أكمل :

- يا دكتور إزاي في المستقبل هايبقى عندي قدرات إضافية إذا كنت أنا فقدت

أشار له الطبيب بيده مقاطعا وهو يقول:

- يا ابني قلت لك سيبك من موضوع فقدان ده، اللي انت فيه مجرد حالة إرهاق أو تعطيل للقدرات؛ بسبب الضغط القوي من تراكم القدرات، واللي أنا متأكد منه إن المخ بيقدر يتكيف مع أي وضع وأكد قدراتك هاترجع تاني، وثق تمامًا إن القدرات مستحيل تختفي تمامًا إلا بإستئصال الجزء المسئول عن النشاط ده في المخ .

ثم أخذ يدون أشياء أخرى في المدونة وهو يقول :

- استغرابي يا "كريم" هو إن وجود شخص عنده قدرة واحدة استثنائية يعتبر طفرة نسبة حدوثها بتبقى واحد في المليون، فما بالك بنسبة حدوث إن شخص واحد يجمع أكثر من قدرة استثنائية!!؟

ظل "كريم" صامتًا وهو ينصت إلى الطبيب الذي كان يتكلم بحماسة شديدة - كأنه مشجع ألتراس يقف في المدرجات -، وما أن انتهى الطبيب حتى قال له وهو يبتسم :

- السؤال الأهم دلوقتٍ يا دكتور هو: هل ممكن استرجع قدراتي تاني؟
- أكيد
- طيب إزاي؟
- اختفاء القدرات كان بسبب تعرض المخ لصدمة، والحل هو تعرضه لصدمة عكسية تجبره إنه يعيد تفعيل الجزء المسئول عن القدرات دي
- صدمة عكسية ! ... ودي هاتعمل إزاي؟

مس الطبيب بكفه على وجهه ببطء، ووضع على فمة للحظات قبل أن يقول ببطء :

- مش عارف ... بس أكيد هلاقي حل

هز "كريم" كتفيه بلا مبالاة وهو يبتسم :

- على العموم أنا كده خلاص مش مستعجل، وقدامي لحد السنة الجاية لأن- زي ما قلت لك - فترة الخطر السنة دي مرت على خير
- أه بالنسبة لموضوع الفيلم ده
- ثم نظر إلى المدونة مجددًا - قبل أن يعقب - :
- ساعني يعني بس تصورك ده ساذج جدًا
- تصور إيه ؟
- تحديك إن الفيلم مش هايتذاع غير في فترة الاحتفالات بتأميم القناة ده ساذج جدًا؛ لأن القنوات بتاعتنا ممكن تذيع الفيلم في أي وقت وفي أي مناسبة، مش شرط في الاحتفالات بالتأميم، يعني عندك "نصر" 6 أكتوبر، أو يوم وفاة عبدالناصر، أو عيد ميلاد الرئيس بتاع أول طلعة جوية، أو حتى في عيد ميلاد أحمد زكي ..
- يا نهار إسود !!!
- قالها "كريم" بقلق من وقع كلمات الطبيب عليه؛ فعاجله الطبيب :
- علشان كده استعادة قدراتك في أقرب وقت هي دلوقتٍ أهم حاجة، لازم تركز فيها علشان تقدر تعرف السبب اللي ممكن يوصلك للى شفته في الرؤى، بس فكرة مراجعة برامج القنوات الفضائية ده ممتاز، ومعناه إن قدامك شهر من غير قلق
- فرد "كريم" بشرود :
- أتمنى يا دكتور ... أتمنى
- سؤال ... هل حصل قبل كده إن الرؤى اللي بتشوفها ممكن تغلط أو تتغير ؟
- تفكر "كريم" قليلاً وكأنه يستعيد الذكريات قبل أن يرد بنفس شروده
- لأ عمرها ما اتغيرت
- أصل أنا عندي نظرية في الموضوع ده

- نظرية إيه ؟
- الأول احنا متفقين إن الزمن ثلاث أقسام، ماضى حدث بالفعل، وحاضر بيحصل دلوقت، ومستقبل لم يحدث ... معايا ؟
- معاك
- الماضي لا يمكن تغييره لأنه حصل خلاص، والحاضر احنا اللي بنكونه بتصرفاتنا والاختيارات اللي بناخذها، والمستقبل بيترتب على تصرفاتنا واختياراتنا اللي بناخذها في الحاضر ... صح ؟

أمال "كريم" رأسه يمنة ويسرة وهو يفكر في الكلام قبل أن يجيب :

- صح
- تمام جدًا، يبقى مادام المستقبل لم يحدث، يبقى - بقدرة الاستبصار اللي عندك - ممكن تغير الرؤيا دي بمجرد تغيير الاختيار أو التصرف اللي هايسببها
- بس يا دكتور المستقبل بيد الله ومش ممكن تغييره
- سيبك من الكلام الفارغ ده وهاضربلك مثال ... لنفرض إن أنا عندي قدرة الاستبصار، وجاتلى رؤيا إن أنا دلوقت وأنا في الكافية هاقوم وهاخبط الجرسون اللي هناك ده وهو معدي، وإن المشروبات هاتقع على الأرض ... معايا ؟
- معاك
- جميل ... طيب هل قيامي من مكاني ده إختيار والا إجبار ؟
- إختيار طبعاً
- طيب بما إن أنا عارف إني لو قمت هاخبط الجارسون؛ فقررت -إرادتي - اني مش هاقوم، هايجصل اصطدام بيه وهل الرؤيا هنا هاتتحقق ؟
- المفروض لأ
- ده بالظبط اللي باكلمك عنه، بالإضافة إن عندكم -كمسلمين- إن الرؤى يا إما بشرى يا إما تحذير، بمعنى إن الرؤى لا يشترط لها أن تتحقق.

ابتسم "كريم" من كلام الطبيب واتسعت ابتسامته؛ عندما تذكر حديث صديقه السلفي "خالد" الذي حدثه من قبل عن رؤية الصحابي "عبدالله بن عمر".

- ده أنت كمان دارس الدين الإسلامي ... أنت أسلمت في السر والا إيه ؟

رد عليه الطبيب بابتسامة ساخرة، ولم يجب "كريم" الذي أكمل :

- انت مش ممكن يا دكتور بجد!

- تقدر تقول إن أنا موسوعي شويه، وبجب أعرف كل حاجة ... المهم نفضل على اتفاننا، ونتقابل بشكل مستمر لحد ما أقدر أوصل لطريقة تخلي المخ يعيد تنشيط الجزء المسئول عن القدرات بشكل كافي

- بس اعذرني الأسبوع ده؛ علشان خطيبي زعلانة مني ولازم أزهبها مني اليومين دول، بإذن الله هاعدي عليك في المركز يوم الحد مثلا

- لا لا انسى موضوع المركز ده خالص، وماتجيش هناك تاني

- أو مال هاقابلك إزاي ؟

- انت مش محتاج تحاليل ولا فحوصات تانية، بعد كده ممكن نتقابل هنا أو في أي كافيه تاني

أشار "كريم" إلى النادل أن يحضر الفاتورة، ثم قال للطبيب وهو يبتسم :

- هو أنت ساكن قريب من هنا ولا إيه ؟

- لا خالص ده أنا عندي فيلا في (6 أكتوبر)، بس أنا من النهاردة هاتفرك ليك

- ربنا يكرمك يا دكتور .

حضر النادل ووضع حافظة جلدية بداخلها الفاتورة على المنضدة، وابتعد قليلاً فمد "كريم" يده ليأخذها؛ فحدجه الطبيب بنظرة حادة ممزوجة بغضب :

- انت هاتعمل إيه ؟

- هاحاسب ... كفاية تعبك معايا

- انت عندك كام سنة يا حبيبي؟

تعجب "كريم" من السؤال الذي يدرك أن الطبيب يعرف إجابته مسبقاً إلا أنه أجاب بحيرة :

- حوالي 31 سنة
- وأنا عندي 65 سنة يعني أنت بالنسبة ليا (سورى يعني) عيل ... عيب يا حبيبي تحاسب والأكبر منك موجود

فدفع "كريم" الحافظة إلى الطبيب وهو يضحك

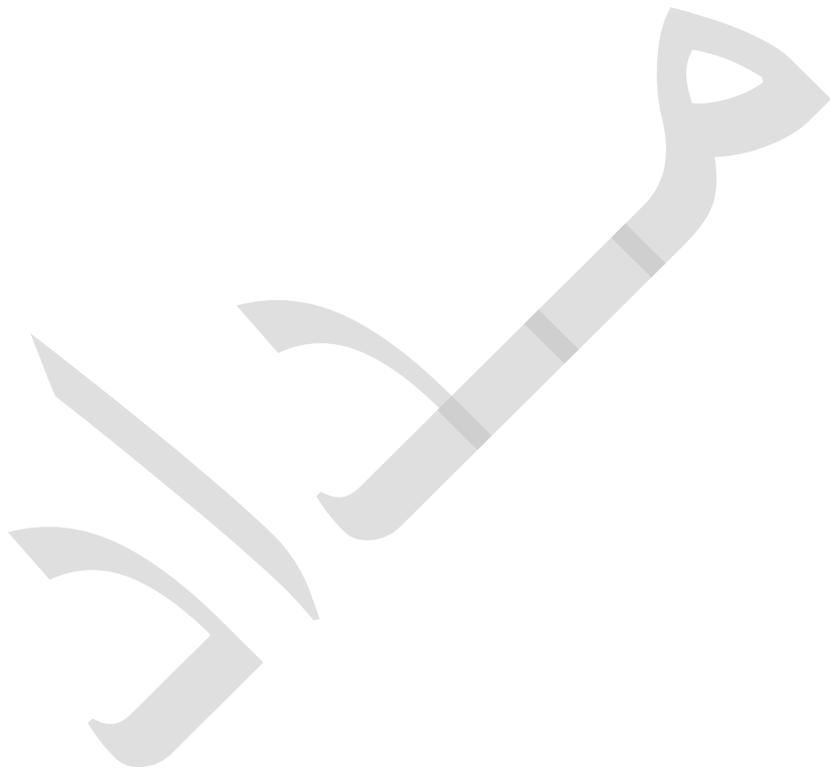
- أولك أولك ... آسف يا دكتور
- أيوه كده .

التقط الطبيب الحافظة ووضع بداخلها بعض المال، وأعادها على الطاولة؛ فتقدم النادل وأخذ الحافظة وانصرف، وقام الطبيب وتبعه "كريم" حتى خرجوا من الكافيه؛ فالتفت إليه الطبيب وقال قبل أن يصفحه :

- تحب اوصل لك لأي مكان؟
- ربنا يكرمك يا دكتور، عريقتي في الباركنج تحت
- تمام ... كلمني الأسبوع الجاي علشان نتقابل
- بإذن الله
- بس ياريت ماتكسلش ... مع السلامة
- مع السلامة يا دكتور.

ظل "كريم" واقفا وهو يتابع الطبيب وهو يستقل المصعد إلى أسفل وهو يبتسم، ثم أخذ يدور في ممرات المول قليلاً، ثم انطلق إلى الجراج واستقل سيارته عائداً إلى بيته، وفي نفس الوقت كان الطبيب لا يزال جالسا في سيارته وقد أخرج الكمبيوتر المحمول الخاص به ووج إلى الإنترنت، ثم فتح برنامج المستشفى وأخذ يستعرض ملفات الحالات المسجلة حتى توقف عند ملف "كريم"؛ فأخذ يتأمله قليلاً قبل أن يستعرض القائمة العليا ويضغط زر فيها؛ ثم انتظر حتى ظهرت جملة :

" File has been deleted "



موت

الآلهة

"9 أغسطس 2008"

جلس "كريم" على طرف الفراش وهو يجري اتصالاً بـ"تقى"؛ فأتاه الجرس قبل أن يتغير الصوت ليعلن أنها قد ضغطت زر رفض المكالمة؛ فألقى الهاتف جانبا ثم وضع يده على المنضدة المجاورة للفراش وهو يسند رأسه إليها.

لم يشعر بمثل هذا الحزن منذ فترة طويلة؛ فطوال اليومين الماضيين لم تجب "تقى" أي اتصال له؛ بالرغم من أنه هاتفها عشرات المرات؛ ليظل الجرس يرن دون أن ترد أو تضغط زر رفض المكالمة، وحتى عندما حاول الاتصال على هاتف المنزل كان الرد دائماً من والدتها أو والدها بمرح أنها نائمة وترفض الاستيقاظ، وبالرغم من إرساله عشرات الرسائل النصية -وهو يرجوها أن تجيبه تارة أو يعتذر إليها تارة أخرى- ألا أن ذلك لم يشفع له عندها.

كان يعلم أنها غاضبة من تصرفه الأخير عندما تركها وانصرف، وود لو تتيح له فرصة الاعتذار؛ فظل يفكر ويفكر وهو على نفس الوضعية؛ حتى اهتدى لفكرة؛ فقام فجأة وخرج إلى الردهة وجلس بجانب والدته :

- حبيبي يا بطلة

- عايز إيه ؟

ردت عليه وهي ممسكة بالريموت وتنقل بين القنوات :

- إيه المعاملة السوداء دي ؟

- أصلك مش هاتتمجلس كده غير لو عايز حاجة

- لا والله أبدا، هو بس طلب صغير أوي

- مش قلت لك ... عايز إيه بقى ؟

- أنا بس عايز اعمل مكالمة من موبايلك

تركت الريموت والتفتت إليه وهي تنظر إليه بتعجب :

- يا سلام، وموبايلك ماله بقي إن شاء الله؟ ... فاصل شحن ولا مش معاك رصيد؟
- ولا ده ولا ده بس بصراحة عايز أكلم "تقى"
- آآآآآه قلت لي

ثم عادت لمتابعة التلفاز وهي تعقب :

- هي لسه مش عايزة ترد عليك ؟
 - أيوه
 - والله معاها حق
 - يا حاجّة ده أنا ابنك مش هي
 - أيوه بس الحق حق، وانت حركاتك زي الزفت
 - ما أنا عايز أكلمها علشان أصلحها أهه
 - طيب اتبيل روح كلمها، التليفون في الأوضة بتاعتي على التسريحة؛
- فقام وقبل يدها وركض وهو يقول لها :
- رينا يخليلك يا أحلى أم في الدنيا.

أمسك الهاتف بلهفة وأجرى اتصالاً برقم "تقى"، وانتظر قليلاً حتى أناه صوتها العذب وهي تقول:

- إزيك يا ماما ؟
- طيب ما ينفعش إزيك يا حبيبي ؟

سكون تام خيم عليهما، تخيل للحظة أنها ستغلق الهاتف في وجهه، ولكن بدلا من ذلك ظلت صامتة قرابة الدقيقة قبل أن ترد بجفاء :

- إزيك يا أستاذ "كريم" ؟

قالتها وهي تضغط على حروف كلمة أستاذ؛ فلم يصمت هو وانحال عليها بكلمات الحب - وقد تذكر جملة قرأها من قبل أن كلمات الحب تذيب ثلوج الغضب عند المرأة - :

- إزيك يا حبيبي يا روحي يا قلبي، والله العظيم وحشتيني يا أجمل وأرق "تقى" في الدنيا كلها

لحظة صمت أخرى منها قبل أن تقول بلهجة أقل حدة :

- جزاك الله خيرًا

- خلاص بقي ما تبقيش رحمة

- أنا اللي رخمه !!! ... ماشي يا سيدي زي ما تحب

- "تقى"

- نعمين

- ساعيني بقي

- خليها على الله

تناهى إلى مسامعه صوت سيارات كأثما في الشارع وليست في المنزل فسألها :

- إيه صوت العربيات ده ... أنت واقفة في البلكونة

- لأ ... أنا جنب مركز كورسات

- كورسات إيه إن شاء الله

- أصل أنا اشتريت في كورس تويغل.

لا يعرف لماذا شعر كأن كلماتها تحمل قدرًا من محاولة إغاظته؛ وكأنها تخرج لسانها له وهي تقولها؛ فقال بدهشة ممزوجة بغضب :

- نعم ... وده من إمتي إن شاء الله ؟

- اشتريت فيه من أسبوع

- ومش المفروض برضه إن الواحدة تقول لخطيبها اللي هايبقى جوزها قبل ما تعمل كده؟

- أآآآه، معلش بقى، أصل أنا خطيبى اللي هايبقى جوزي قفل موبايله عشر تيام، ولما حن علىّ

وجه زارنى سابني فجأة علشان عنده مشوار مهم !!

أيقن أنه لن يفوز بحرب الكلام المتبادل معها، فقبل الهزيمة و رد برقة :

- نفسي أشوفك

- وهو حد منعك ؟

قالتها برقة وقد بات واضحاً أن قلبها قد لان أخيراً، تمنى "كريم" وقتها لو استطاع أن ينتقل أنبا إلى

مكاتها، أن يحطم كل القواعد الفيزيائية السخيفة التي تحول بينه وبينها :

- "تقى" أنت فين دلوقت ؟

- قريب من محطة المترو بتاعة (الدقى)

- حبيبتي أنا جايلك حالا

- استنى يا مجنون

- ما تحاوليش، أنا جاي حالا ... سلام

- استنى بس ... أنت فاكربي واقفة عند المحطة يعني

- أه صحيح ... طيب هاتي العنوان

أملت عليه العنوان؛ فدونه بسرعة قبل أن يغلق السماعه وهو يقول :

- جايلك حالا ... بجبك.

ساعة واحدة سار فيها بسيارته بسرعة جنونية؛ حتى لقد سار في عكس الاتجاه في عدة شوارع بسبب

الازدحام غير مبال بأي مخالفات قد تسجل عليه، حتى وصل إليها ... وراها.

كانت قد انتهت من الدورة التدريبية لهذا اليوم وتقف أمام باب المركز فاتجه إليها وقلبه يسابقه الخطى،

كاد أن ينسى نفسه ويحتضنها من فرط شوقه إليها، لولا أن كبج جماح نفسه واكتفى بأن اقترب من

جانبها وهي لم تره بعد ثم يهمس :

- وحشتيني

انتفضت ذعراً والتفتت إليه؛ ثم هدأت عندما رأته :

- إيه الحركات دي؟ ... خضتني

- اعمل إيه طيب؟ ... أصل انت والله وحشتيني

- عارفة.

قالتها برقة ودلال تكفي لأسقاط أشد الرجال صريعا في هواها :

- طيب مفيش (وانت كمان وحشتني)؟

- يا ابني أنت مش بتيأس؟ ... قلت لك ما تستعجلش على رزقك، وكفاية إنك عارف أنا حاسة

بإيه

- أيوه حاسة بإيه بقي؟

نظرت إلى ساعة يدها ثم نظرت له وهي تبتسم :

- حاسة إني اتأخرت ولازم أروح

- دلوقت؟

قالها بيأس؛ فردت هي عليه بمرح وهي تتجه إلى سيارته :

- أيوه دلوقت ... يالاً وصلني، وأهه أنت أولى بتمن التاكسي.

ضغط زر فتح السيارة ولحقها ليفتح لها الباب؛ ثم دار حول السيارة وركب خلف مقود السيارة؛ ثم أدار

السيارة وانطلق وهو يسألها :

- مش جايبه اللاب توب معاكي يعني

أشاحت بيدها :

- ما تفكرنيش ... اللاب ده عجيب الشكل والملامح بصراحة

- نعم يا أختي ... اللاب ال (Apple) وحش !؟
- يا سيدنا ماقولتش وحش، بس في زراير مكانها متغير، وأرخم حاجة بجد هو السيستم بتاعه
- لا لو كده يبقى عادي، انت بس مستغربة علشان هو مختلف عن الويندوز شويه
- قول مختلف جدًا مش شويه بس، ثم المفروض لما تجيب لي جهاز السيستم بتاعه مختلف تعمل أي

واجب

- اعمل إيه يعني ؟
- يعني تنزلي عليه برامج (IDM)، (Firefox)، برامج تشغيل أفلام وكودك ... كده يعني
- أوامرك يا قلبي، هاروح معاك أقابل باباكي في موضوع، وأنا ماشي هاخذ اللاب منك

التفتت إليه بجسدها كله وهي تضع ذراعها خلف مسند مقعدها وهي تسأله :

- موضوع إيه ده إن شاء الله ؟
- حاجة كده هاتبقى تعرفيها
- بتخبي عليّ يا "كريم" ... براحتك
- يا حبيبتى مش باخبي بس حابب أخليها مفاجأة
- ماشي يا Mr. surprise
- هو اللي هاتأخديه في الكورس هاتطلعيه عليّ ولا إيه ؟

قالها وهو يضحك؛ فضحكت هي الأخرى وهي تقول بلهجة مسرحية:

- Of course

أكمل الطريق وهو يتجاذب معها أطراف الحديث؛ حتى وصلا إلى أمام منزلها؛ فأوقف السيارة ونزلا منها، ولم تمر دقيقتان حتى كان يجلس في غرفة الاستقبال مع والدها ووالدتها -بعد طلب الانفراد بهما قليلاً- وذهبت "تقى" إلى غرفتها بناءً على طلبه، جلس معهما قليلاً وهو يعبث في أصابع يده كأنه يبحث عن بداية للكلام؛ فسأله والدها بود :

- مالك يا "كريم" ؟ ... قول عايز إيه ؟

- بصراحة يا عمي، كنت عايز أكلمك في موضوع (كتب الكتاب)
- جميل ... إيه بقى ؟
- يعني حضرتك مش شايف إننا اتأخرنا أوي ؟
- ما أنت عارف الظروف يا "كريم"
- أيوه يا عمي بس دلوقتٍ فات حوالى شهر، والحق ابقى من الميت

تبادلت والدة "تقى" النظرات مع والدتها التي أوأمت برأسها إيجاباً؛ فقال باستسلام وهو يبتسم :

- طيب تحب إيه ؟
- يعني ياريت لو نخلي كتب الكتاب والشبكة الشهر ده
- طيب سيبني أفكار
- صلّ على النبي بقى يا عمي ووافق

ثم وجه الكلام لوالدة "تقى" وهو يقول برجاء:

- ما تقولي حاجة يا طنط

فابتسمت وهو تقول لزوجها :

- ما توافق بقى يا أبو "تقى" وخلينا نفرح، وكفاية إننا أجلنا كتب الكتاب الفترة دي كلها
- يعني انت شايفة كده ؟
- بصراحة أه

فقام "كريم" من مكانه وقبل وجنتها وهو يقول لها فرحا :

- ينصر دينك يا أحلى واحدة في الدنيا
- بس يا بكاش

ثم التفت إلى حماه :

- إيه رأيك في الجمعة الجاية يا عمي ؟
- لا حيلك ... خليها آخر جمعة في الشهر؛ علشان أكون عملت حساي

جلس "كريم" وأخذ يحسب اليوم :

- يعني يوم "29/08"؟ ... ماشي يا عمي
- على خيرة الله

ثم أشار لزوجته:

- روجي اندهي "تقى" وقوليلها

فقامت مسرعة، وقام هو أيضا وهو يقول :

- هاقوم أنا كمان علشان تتكلم أنت و"تقى" براحتكم
- تسلم يا أبو الذوق كله

لحظات وكانت "تقى" تجلس معه وحدها، وقد وضعت حقيبة الكمبيوتر المحمول بجانبها فقال لها بفرح :

- إيه رأيك في المفاجأة دي بقي ؟!

هزت كتفيها وهي تضحك :

- ولا مفاجأة ولا حاجة ... هو أنت هاتكلم بابا في إيه غير كده يعني ؟
- يا سلام على الرخامة ... ماشي يا ستي، بس عارفة بعد كتب الكتاب لو عملي حركاتك الرخمة دي تاني ؟

- هاتعمل إيه ؟!

- ولا حاجة، هافضل أحبك برضه

- ما أنا عارفة

- ياسيدي ع السيطرة !

ثم أشار إلى الحقيبة :

- هاتي الكمبيوتر طيب، هاظبطه وأجيبهولك في أقرب وقت
- هاتمشي دلوقتٍ والا إيه ؟

قالتها وهي تعطيه الحقيبة؛ فأخذها وهو يقوم من مجلسه :

- مش عايز ابقى تقفل يا حبيبي، وكفاية إني جيت من غير معاد

ضيقت عينيها وهي تنظر إليه وتقول ببطء :

- ماشي

فترك الحقيبة وجثا على ركبتيه أمامها :

- زعلانة ؟

ارتسمت على ملامحها ابتسامة عذبة، وفي عينيها ضحكة أجمل طفل:

- لا مش زعلانة ... وقوم قبل ما حد يشوفك

فقام وحمل الحقيبة وقال وهو يخرج من الغرفة :

- كلها عشرين يوم يا حبيبي ... سلام

وقبل أن يخرج اصطدم بوالدة "تقى" فسألته :

- رايح فين يا ابني

- لازم امشي دلوقتٍ يا طنط

- يا ابني استني ده أنا خلاص جهزت الأكل

- بالهنا والشفانتوا بقى ... تتعوض إن شاء الله

- ماشي يا حبيبي ... ربنا معاك

- الله يكرمك ... السلام عليكم.

خرج على الفور ولم ينتظر ردها؛ وبينما هو على درجات السلم أثاره صوت هاتفه؛ فأخرجه ونظر إلى شاشته فوجد المتصل هو الطبيب "ألبيير" فأجاب على الفور وهو يخرج من المنزل:

- دكتور "ألبيير" ... ازي حضرتك

-

- لا أنا النهاردة فاضي

-

- طيب تمام أقابل حضرتك الساعة 8 في نفس الكافية؟

كان قد وصل إلى سيارته؛ فأغلق الهاتف، وقبل أن يستقل السيارة لمح في المقهى المجاور آخر شخص يتمنى رؤيته، رأي "حازم حديدة" يجلس وحوله بعض المهنيين أو المنافقين -إن شئت الدقة- الذين هللوها فرحا عندما تم القبض عليه، واليوم يتسابقون إلى تقديم التهنئة بخروجه من المعتقل، يقبلونه على وجنته، ومن فرط حماسهم الزائفة ربما يقوم بعضهم بتقبيل يده حتى يثبتوا ولائهم لبلطجي المنطقة، وكأن ما يحدث هو تجسيد لما كان يفعله الحرافيش مع فتوتهم المتجبر وحامي حمى الفساد!

بهدوء انسل إلى السيارة وانطلق في الاتجاه العكسي حتى لا يراه، وأخذ يتذكر ما تسبب هو في فعله لـ"حديدة"، وما الذي يمكن أن يفعله به إذا علم أنه هو من أبلغ عنه، لا يدري لماذا اعتقد أن الرؤى التي كانت تأتيه أصبحت لطيفة جدًا بجانب ما قد تنتجها قريحة "حديدة" من وسائل التعذيب، تذكر ما قرأه عما حدث لمن أخفوا إسلامهم، وكيف قامت محاكم التفتيش في "أسبانيا" بسلخ جلود بعضهم، أو وضعهم على مقاعد بها مسامير تدخل من جانب وتخرج من الجانب الآخر، جسّد له شيطانه أنه مقيد في أحد تلك المقاعد، و"حديدة" يقف أمامه ويقوم بدور الجلاد.

ضرب مقود السيارة بغضب وهو يسير بها، وفي الأفق يبتسم ألف شيطان، الحظ العثر دائمًا يطارده أينما ذهب، كأنه ذبابة مصابة بمرحلة متقدمة من الزهايمر تدور حول وجهه باستمرار، في شهره هذا سيعقد قرانه على توأم روحه، وفي شهره هذا خرج من بيده أن يعكر صفو حياته، لو كان بطل فيلم أمريكي؛ لكان

الحل أن يستأجر قاتل محترف يخلصه من عدوه، ولكن - للأسف - الحياة ليست في سهولة الأفلام؛ وعندما وصل إلى أمام المقهى في "بولاق الدكرور" أوقف سيارته ونزل منها، وتوجه إلى أحد مقاعد المقهى وهو يتمتم:

- استرها يا رب.

"المركز الطبي العالمي للأبحاث"

في نفس الوقت كان الطبيب "عماد" يجلس في مكتبه وهو يعث في الكمبيوتر الموضوع أمامه، ويستعرض البرنامج الخاص بالحالات المسجلة مرة تلو المرة، والدهشة مرسومة على وجهه، وكلما وصل إلى نهاية القائمة عاد إلى أولها مجدداً؛ ثم ضغط أيكونة البحث وكتب "كريم عبدالله"؛ ثم ضغط على زر البدء، وانتظر قليلاً حتى ظهرت له كلمة واحدة "Unavailable"، فأغلق شاشة الكمبيوتر على لوحة المفاتيح بعنف؛ حتى كاد يحطمها، وظل صدره يعلو ويهبط في غضب؛ ثم نظر إلى الهاتف الموجود أمامه، وبدون أن يرفع السماعه ضغط زر مكتوب عليه "IT manager" وانتظر قليلاً حتى أثاره صوت خشن نوعاً

- أيوه يا دكتور "عماد"

تمالك أعصابه وحاول التكلم بهدوء:

- بقول لك يا باشمهندس "أشرف"، في حالة كنت مسجلها على البرنامج باسم "كريم عبدالله" بس

مش لاقبها، وعملت بحث أكثر من مرة وبرضه اختفت :

- طيب ثواني

بصبر نافذ صمت وانتظر الرد، حتى مرت دقيقتان قبل أن يأتيه الصوت من الهاتف :

- أه، الحالة دي اتحذفت ومسجل عندي في ال "Log file" إن اليوزر اللي شالها هو الدكتور

"ألبيير"

- إزاي يا باشمهندس؟! هو مش المفروض إنك انت الوحيد اللي تقدر تلعب في البرنامج ولا إيه؟!!

خرجت عباراته بغضب رغما عنه؛ فأتاه صوت مدير المعلومات بهدوء ممزوج بالحزم :

- اهدى يا دكتور "عماد" بعد إذنك، صلاحيات دكتور "ألبير" بما إنه مدير المركز هي نفس صلاحيات الـ " Administrator " وأنا وإن كنت أقدر ألعب في البرنامج؛ فده مايدنيش أي حق في حذف أو إضافة أي حالة، وانت عارف كده كويس، وياريت لو في مشكلة تخاطب دكتور "ألبير" مش أنا
- أولك يا باشمهندس ... شكرا .

ثم ضغط زر إنهاء الاتصال، ووضع يده اليسرى على وجهه، وأغمض عينيه وهو يفكر قبل أن يقوم فجأة من مكانه، ويتجه بسرعة إلى غرفة الطبيب "ألبير" فوجد الأخير يخرج من الغرفة ويغلقها ثم يلتفت إليه ويتسّم:

- مالك يا "عماد"، شكلك تعبان .

توقف أمامه وهو يصطنع الهدوء، ومد يده وصافحه :

- مش تعبان ولا حاجة أنا بس مرهق شويه
- طيب يالاً روح استريح ولو عايز أجازة قول
- لا أجازة إيه، حضرتك عارف إن الشغل حياتي
- طيب يا سيدي ... أستأذنك أنا دلوقت؛ علشان عندي مشوار مهم

وقبل أن يرحل عاجله الطبيب "عماد"

- دكتور "البير" بعد إذنك عايز أسألك عن حاجة :

بحنان أبوي أجابه :

- اتفضّل يا "عماد "
- بالنسبة للحالة اللي جت من فترة اللي اسمه "كريم" ده

بجذر رد الطبيب " ألبير "

- ماله ؟

- أصلي النهاردة - وأنا باستعرض الحالات - لاقيت ملفه مش موجود فقلت أسأل حضرتك، يمكن حصل حاجة جديدة.

صمت الطبيب " ألبير " للحظات، وهو يتطلع إلى عيني الطبيب " عماد " وكأنه يثير أغوار عقله ثم قال بهدوء :

- لا يا " عماد " مفيش جديد غير إن " كريم " ده طلع موضوعه فشكك " Fake " من الآخر
- أيوه يا دكتور بس الفحوصات بتقول

قاطعه بحزم هذه المرة :

- " عماد " ... أنا في مجال القدرات الخارقة ده بقالي أكثر من ثلاثين سنة، وعارف أنا بقول إيه، انسى بقى موضوع الفحوصات والكلام الفارغ ده.

توتر في وقفته وقلبه يغلى من الغيظ والغضب وهو ينظر إلى الطبيب " ألبير " وتخيل نفسه وهو يلكمه في وجهه ويحطم جمجمته، أو يضع يده في بطنه ويخرج عموده الفقري من مكانه، إلا أنه حاول تمالك أعصابه وهو يبتسم ابتسامة مرتعشة ويقول:

- تمام يا دكتور ... أنا بس حبيت أعرف من حضرتك

- حاجة تانية يا " عماد "

- لا يا دكتور، اتفضل حضرتك ... الرب يحفظك

قالها وهو يمد يده ليصافحه؛ فقال الطبيب بسخرية وهو يغمز بعينه بعد أن صافحه :

- خليه يحفظك أنت .

ثم انطلق صوب المصعد ودخله، في حين ظل الطبيب "عماد" يتطلع بغضب إلى المكان الذي كان يقف فيه الطبيب "ألبير"، ثم عاد إلى غرفته وهو يغلق الباب بعنف وهو يتمتم :

- ملحد ابن وسخة

ثم ارتقى على الأريكة الموضوعة بجانب المكتب الخشبي، وفرد قدميه وظهره عليها وأغمض عينيه، وظل على نفس الوضعية بلا حراك؛ حتى مرت نصف ساعة؛ فقام واتجه إلى الهاتف واتصل بحارس الأمن :

- دكتور "ألبير" خرج والا لسه يا "فتحي" ؟

- خرج يا دكتور من شويه

- طيب في حد تاني في المركز ؟

- لا يا دكتور كله مشى خلاص، حضرتك الساعة 6 ونص

- طيب تمام ... شكرا يا "فتحي"

أنهى الاتصال وفتح درج مكتبه، وأخرج نسخة مفتاح غرفة الطبيب "ألبير" والذي استنسخه في غفلة من الأخير، وأخرج جهاز تسجيل آخر، وبسرعة توجه إلى غرفة الطبيب "ألبير" وفتحها، وبدون تردد توجه ناحية المكتب الخشبي ومد يده أسفله، وأخرج جهاز التسجيل ووضع في جيب معطفه واستبدله بالآخر، وخرج بعد أن أغلق باب الغرفة وتوجه إلى غرفته، و بعد أن أخرج سماعة من درج مكتبه ووضع قطبها بداخل جهاز التسجيل، وسماعتها في أذنه استلقى على الأريكة وضغط زر الاستماع، وهو يسرع ما تم تسجيله حتى توقف عندما سمع اسم "كريم" ؛ فأرجع التسجيل قليلاً ثم أغمض وهو ينصت باهتمام شديد.

في التاسعة مساءً كان "كريم" والطبيب "ألبير" يجلسان في أحد كافيئات "سي تي ستارز"، وقد مر عليهما قرابة الساعة وهما يتحدثان وأمام كل منهما قدحان من القهوة؛ فأمسك "كريم" بقدحه وهو يرشف منه والضيق بادٍ عليه :

- مالك يا ابني ؟ ... في حاجة شغلاك

- لا مفيش بس "حازم" زفت "حديدة" ده خرج من السجن و شوفته النهاردة

قطب الطبيب حاجبيه يتذكر الاسم؛ ثم ابتسم وهو يقول :

- مش ده اللي أنت بلغت إنه عايز يفجر الكنيسة؛ علشان تخلص منه
- أيوه هو ... مش عارف خرج إزاي ده !!؟
- ماتقلقش منه، ولو تحب أنا ليا اتصالاتي، وممكن أرجعه السجن تاني
- هاشوف، لو رجع لنفس الرخامة بتاعة الأول أكيد هقول لك

ثم تذكر أمرا؛ فأخرج من حقيبته الموضوعه على المقعد المجاور كتاب " الإنسان الخارق ... الخطوة القادمة للتطور " الذي ألفه الطبيب "ألير" بنفسه وقال له :

- صحيح يا دكتور كنت عايز أستفسر منك عن حاجة
- اتفضل

أخذ "كريم" يقلب في صفحات الكتاب؛ حتى توقف عند صفحة قد ثنى طرفها السفلي:

- انت قايل هنا " القدرة على رؤية المستقبل، تحريك الأشياء بالقدرة العقلية وحدها، تجدد الخلايا تلقائيا، الانتقال الفوري من مكان لآخر، أو حتى القدرة على الطيران ... هل هذا خارج نطاق إمكانية البشر أم أن الإنسان يدخل مرحلة جديدة من التطور تجعله يقف أخيراً على عتبة الإمكانيات البشرية الحقيقية ؟ " ... سؤالي هنا هو قصدك إيه بأن الإنسان بيدخل مرحلة جديدة من التطور ؟

قطب الطبيب حاجبيه ملياً ثم سأل باستغراب:

- مش فاهم السؤال ؟

أغلق "كريم" الكتاب وأعادته إلى حقيبته، ثم اعتدل وهو يقول :

- قصدي هل معنى كلامك (إن ظهور أشخاص يمتلكون قدرات خارقة أو استثنائية)- زي ما بتسميهم - ده شيء جديد على البشرية وعمره ما كان موجود قبل كده ؟
- أهأا ... لا مش ده قصدي ده كمان يمكن العكس هو الصحيح

- بمعنى ؟

- بمعنى إن نسبة وجود أشخاص يمتلكون قدرات استثنائية في العصور الأولى أعلى منها في أي عصر
تالي متقدم، بص يا "كريم"

ثم رسم منحنى في الهواء يتدرج من أعلى لأسفل وهو يكمل :

- وجود قدرات استثنائية زي " Curve " بدأ من أعلى نقطة، وفضل يقل مع الزمن لحد ما
وصل لنقطة السكون أو "نقطة الصفر" وفجأة بدأ يطلع تاني بشكل بطيء وتدرجي لأعلى تاني،
لكن طبعاً لم يصل إلى النقطة اللي كان فيها في البداية .

ظل "كريم" صامتاً وهو يتطلع إلى الطبيب؛ وقد ارتسمت على ملامحه نظرة بلهاء؛ فضحك الطبيب بشدة
وفهم أن "كريم" لم يستوعب شيئاً فقال معقبا :

- هاضرب لك أمثلة مهمة؛ بس خيلنا في أبسط مثال، الإنسان الأول بسبب الظروف الخطرة
المحيطة كان بيقدر يتحكم في أجزاء من جسمه احنا دلوقتٍ مانقدرش نتحكم فيها -زي الودن
مثلا -

- الودن !!!

قالها "كريم" بتعجب؛ فأوماً الطبيب برأسه إجابا وهو يكمل :

- أيوه الودن، الإنسان الأول كان بيقدر يتحكم في عضلة الأذن لدرجة إنه يحركها في الإتجاهات
المختلفة بشكل مستقل؛ لتحديد موضع الخطر بالظبط، زي ما الحرباء بتقدر تحرك العينين
وتشوف مكانين مختلفين في نفس الوقت.

صمت الطبيب لما وجد أن "كريم" غير منتبه، وهو يحاول بحركة لا إرادية تحريك أذنيه؛ فأخذت حواجه
تتراقص بدلا من ذلك؛ فتبسم وسأله

- بتعمل إيه يا بني ؟

انتبه "كريم" فضحك بارتباك :

- آسف، مش عارف ليه جاتلي حالة عصبية وكنت عايز أجرب موضوع تحريك الأذن ده !

ثم رفع قذح القهوة ورشف منه ثم أعاده إلى مكانه وهو يتساءل :

- بس أنت كده بتكلمني عن التحكم في بعض عضلات الجسم، ودى مش القدرات الاستثنائية اللي أقصدها.

- فاهم طبعاً بس أنا حبيت أبدأ بحاجة بسيطة، قول لي بقى يا "كريم" إيه رأيك في الآلهة ؟

- آلهة ! ... لا إله إلا الله يا دكتور

قالها بتلقائية فرد الطبيب بسرعة:

- ياسيدي زي ما تحب، بس أنا قصدي على الآلهة بشكلها الوثني اللي ظهرت في العصور الأولى

عند شعوب الإغريق، والفراعنة، وبلاد ما وراء النهرين، وشعب المايا..

- أه قصدك زينا وهرقليز والناس دي ؟!

جملة "كريم" الأخيرة جعلت الطبيب يصاب بهسترية ضحك شديدة أدمعت عينيه؛ حتى تخيل "كريم" أن

الطبيب سيستلقي على ظهره ويرفص برجليه، ظل الطبيب يضحك؛ حتى انقلبت الضحكات إلى سعال

فأمسك صدره وهو يسعل بشدة؛ فهرع "كريم" وقدم له كوب الماء الموضوع أمامه؛ فتناوله الطبيب

ورشف منه وأعاده إلى المنضدة وهو يحاول منع نفسه من الضحك وقال :

- يخرب عقلك ... إيه ثقافة المسلسلات دي؟!!

فرد "كريم" بخجل :

- أصل أنا ماقرتش كتير في الميثولوجي

- ده أنت كده ما قرتش خالص ... أنا هافهمك.

ثم أخذ نفس عميق ومسح عينيه براحة يده اليمنى، وقد عاد إليه هدوءه وأكمل :

- عند الإغريق - مثلا - الأساطير بتقول: إن كان في مجلس من الآلهة اسمه المجلس الأولمبي بيتكون من 12 إله هم " زيوس، هيرا، بوسيدون، هايدس، أثينة، أفروديت، أبوللو، أرتميس، أريس، هيفاستيوس، هيستا و هيرميس " وممكن نضيف ليهم هيرقل علشان خاطر ك ... معايا ؟
- معاك
- تعالى ناخذ منهم ثلاثة مثلا، أولا "زيوس" القدرة المنسوبة ليه هي: التحكم في البرق وإنه إله السماء، ثانيا: "أبوللو" إله التنبؤ، ثالثا: "هيرميس" الطائر، وده كان الرسول بين "زيوس" وباقي الآلهة ... إيه رأيك في الكلام ده لحد دلوقت ؟
- تخاريف طبعا.

قالها باستنكار واضح؛ فعقب الطبيب :

- أكيد تخاريف، بس تعالى نطبق جملة سير" آرثر كونن دويل " الشهيرة على لسان بطل قصصه "شارلوك هولمز" وهي : " إذا تجاهلت كل الأشياء المستحيلة؛ فلن يتبقى إلا الحقيقة مهما كانت غرابتها "، بمعنى إننا أولاً نتجاهل كلمة إله ونجردهم منها، وأكد نتجنب قدرة التحكم بشكل مطلق في قوى الطبيعة ... هايتبقى لنا إيه ؟
- حك "كريم" رأسه وقطب حاجبيه دلالة عدم الفهم؛ ثم قال :
- معلىش يا دكتور اعتبرني غبي شويه، بس حقيقي أنا مش فاهم
- زيوس يا "كريم" كان دائما يُقال إنه بيعاقب أعدائه بإرسال الصواعق، طيب لو جنبنا التحكم في الصواعق إيه أقرب شيء ليها ؟

ومن غير أن ينتظر رد "كريم" رشف من قدح القهوة وأكمل :

- هايتبقى لنا القدرة على إخراج شحنة كهربائية من جسمه وصعق عدوه، بالظبط زي ثعبان البحر اللي بيطلق شحنة كهربائية للدفاع عن نفسه.

ثم رفع يده وأمسك بيده اليسرى أصبع السبابة في يده اليمنى وهو يكمل:

- اتنين "هيرميس" الطائر، - لو جنبنا خرافة إنه إله - مش هابتبقى غير قدرته على الطيران

قبل أن يكمل قاطعه "كريم" بدهشة :

- لحظة يا دكتور، إزاي قدرة على الطيران من غير أجنحة، أنا فاكِر إني قريت قبل كده إن الإنسان

علشان يطير محتاج يكون ليه جناحين طول الواحد منهم 6 متر

- قوة العقل يا "كريم" ممكن تتحدى كل القوانين الفيزيائية، وأقرب مثال هو رهبان التبت اللي

وصل بعضهم للقدرة على الارتفاع عن الأرض بضع خطوات بمجرد التركيز، مع العلم إن دول

اتولدوا من غير أي قدرة استثنائية؛ لكن بالتدريب قدروا يوصلوا للمرحلة دي ... تخيل بقى لو

واحد زيك اتولد وهو يمتلك القدرة الاستثنائية دي بالفعل ممكن يعمل إيه ؟

ثم ابتسم وهو يكمل :

- حاجة تانية كلنا بنشوفها وهي النحل، علميا المفروض النحل علشان يطير محتاج تكون أجنحته

أكبر من كده، لكن مع ذلك النحل بيطير في تحدي قوي جداً لكل القوانين اللي البشر وصلوا

ليها

- الكلام ده حقيقي !؟

- يا ابني هو أنا هاغشك

- لا يا دكتور العفو، بس أنا أول مرة أعرف الكلام ده

- المهم، ثالثاً وأخيراً "أبوللو" وده قدرته أنت أكثر واحد ممكن تفهمها، وهي الاستبصار أو رؤية

المستقبل، حاجة تانية مهمة وهي إن عدد سكان العالم ساعتها كان مقارنة بدلوقتٍ قليل جداً؛

ومع ذلك كان ظهور أشخاص يمتلكون قدرات خارقة بعدد كبير نسبياً في أوقات متقاربة؛ بيدل

على إن الأصل في الإنسان هو وجوده بالقدرات دي، وده اللي أنا باتوقع إنه ممكن يرجع تاني في

المستقبل.

شعر "كريم" بالدوار من كم المعلومات التي قالها الطبيب فشبك أصابع يده ووضعها خلف رأسه ومال

بظهره إلى الوراء وهو يتطلع إلى سقف الكافيه للحظات؛ ثم اعتدل وهو يفرك عينيه ثم قال بحيرة :

- كل القدرات اللي قولت عليها يا دكتور ممكن أفهمها بإستثناء رؤية المستقبل، إزاي أشوف حاجة لسه ما حصلتش ؟ ... أنا مؤمن بيها طبعاً لكن مش فاهمها.



فوضى الحواس

همَّ الطبيب أن يجيب لولا "كريم" الذي أكمل بسرعة وهو يبتسم :

- بس أرجوك بلاش الجزئية بتاعة " الزمن يسير بشكل دائري يكرر نفسه باستمرار " دي علشان مش مقتنع بيها .

ابتسم الطبيب بدوره وهو يتساءل:

- ليه مش مقتنع بيها ؟
- لأن فكرة إن الزمن بيتكرر بنفس الأحداث بتدي إحاء إن الإنسان مُسير مش مُخير، وكأن الله سبحانه وتعالى بيتلاعب بينا وده بالنسبة لأي مؤمن لا يمكن قبوله، وحاسس كأنها مقتبسة من فيلم " Groundhog Day " اللي كان في التسعينات.

أطرق الطبيب برأسه قليلاً، ثم رفع رأسه مجدداً وهو يشير للنادل أن يأتي ويقول :

- الأول تشرب حاجة ؟
- أه .. ياريت قهوة تاني أحسن أنا دماغي هاتفرقع .

أتى النادل فطلب منه الطبيب قدحين من القهوة، ثم أخرج من جيبه العلوى قلما :

- هات ورقة من شنطتك .

فتح "كريم" حقيبته وأخرج منها دفترًا، وقدمه للطبيب الذي فتحه وأخذ يرسم خطوطا فيه ويقول :

- بص يا "كريم"، هانعتبر المساحة البيضاء دي هي الزمن .

ثم رسم في المنتصف دائرة صغيرة يخرج من أسفلها خط له يدان وقدمان وكتب بجانبها كلمة "كريم" :

- وانت الشخص الواقف ده ... تمام ؟

- تمام !!

رسم الطبيب خطأ وراء الشخص الافتراضي في الورقة :

- والمساحة اللي ورا الخط ده هي الماضي، والنقطة اللي انت واقف فيها هي الحاضر..

ثم رسم خطأ آخر أمام الشخص الافتراضي بشكل قريب :

- وده المستقبل القريب

خط آخر بعيد نسبياً :

- والخط الأمامي الثاني ده هو المستقبل البعيد.

ثم رفع رأسه إلى "كريم" الذي ارتسمت على وجهه أعتى أمارات (عبيط القرية)، وبتتسم ابتسامة بلهاء؛ فضحك الطبيب وهو يقول:

- يا ابني ماتقلقش، أنا لسه ما قولتش حاجة، وهافهمك دلوقتِ

- يعني في أمل أفهم يا دكتور!؟

بدعابة قالها؛ فرد الطبيب مبتسماً :

- أكيد هتفهم، بس علشان اللي هاتسمعه دلوقتِ صعب نوعاً فأننا لازم أجيبه ليك بالتدريج

- يا مسهل الحال يارب.

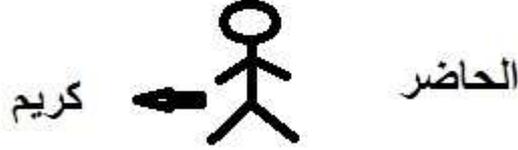
أتى النادل وهو يحمل قدحي القهوة؛ فسكت الطبيب حتى وضعهما النادل وانصرف، ثم أدار الطبيب الورقة حتى يراها "كريم" وأشار إليها وهو يقول له :

- دلوقتِ عايزك تبص في الرسمة كويس

أمسك "كريم" الورقة وأخذ يدقق فيها وهو لا يفهم الغرض منها:

المستقبل البعيد

المستقبل القريب



الماضي

وبعد أن تأملها أعطاها للطبيب مجددًا وهو يقول :

- ماشي ... شوفتها
- تمام

وضعها الطبيب مجددًا وهو يشير إلى منطقة المستقبل :

- انت دلوقتٍ في الحاضر بس السؤال هل أنت شايف اللي بيحصل في المستقبل؟
- لأ

قالها "كريم" باستنكار فسأله الطبيب على الفور :

- ليه ؟
- لو هجاوبك إجابة منطقية - لشخص عادي عمره ما كان عند قدرة الاستبصار - هقول :

ثم تفكر حيناً وقال ببطء وتردد :

- علشان المستقبل لسه ما حصلش
- اقول لك أنا إجابة تانية ؟
- اتفضّل طبعاً

- الإجابة الثانية هي علشان اللي ها يحصل في المستقبل عادي، وما فيهوش حاجة تسترعي انتباهك، ولو في حاجة خطيرة أو مهمة ها تحصل في المستقبل المفروض إنك تشوفها .
- إزاي ???!
- طيب خليك معايا واحدة واحدة واستحملني شويه وهافهمك في الآخر
- ماشي
- هاسألك سؤال ... لما كان عندك قدرة الاستبصار عمرك حلمت إنك في الحمام ؟

ظهرت علامات الاشمزاز على وجه "كريم" وهو يجب :

- لأ
- طيب هل عمرك حلمت إنك بتاكل في مطعم، أو قاعد مع والدتك بتتفرجوا على فيلم، أو قاعد مع أصحابك على القهوة، أو إنك بتغير هدومك ؟
- لأ
- طيب إيه الرؤى اللي شوفتها ؟

هم "كريم" أن يجيبه؛ لولا أن الطبيب أشار له بيده وهو يكمل :

- أنا هقول لك :

ثم أخذ يعد على أصابع يده وهو يكمل :

- الرؤيا الأولى هي: وفاة والدك، والثانية هي: "زغلول" لما كان بيخطط لسرقة شقتكم، والثالثة هي: الرؤيا الظلامية لما كنت متكثف، والرابعة: الرؤيا الدموية ... صح ؟
- صح

- تقدر تقول لي إيه الرابط بين الرؤى دي ؟

رفع "كريم" قدح القهوة ورشف منه؛ ثم برقت عيناه ببريق النصر وأجاب بحماس :

- إن الأحداث دي كلها مهمة وتسترعي انتباهي

- بالطبط

هز "كريم" كفيه وقد تملكته الحيرة :

- بس برضه يا دكتور أنا مش فاهم، إزاي ده بيحصل و إيه الآلية اللي بتسبب ده ؟
- يا ابني اهدي شويه وأنا هافهمك
- آسف آسف ... اتفضّل
- هاسألك سؤال تاني، احنا دلوقتِ قاعدين في الكافيه والمفروض إنك شايف كل حاجة قدامك

... صح ؟

- صح
- متأكد ؟
- طبعا متأكد

هز الطبيب رأسه نافيا وهو بيتسم ويعدل وضع سماعة البلوتوث الموجودة على أذنه:

- غلط طبعا ... أنت مش شايف كل حاجة موجودة في نطاق رؤيتك
- لا إله إلا الله ... أنت هاتشككني في نفسي يا دكتور ولا إيه ؟

تلقت الطبيب على جانبه الأيمن، ثم عدل وجهه ناحية "كريم" وهو يسأله :

- طيب الراجل اللي على يميني ده في نطاق رؤيتك ولا لأ ؟

تطلع "كريم" إلى الرجل حيناً- في الوقت الذي أزال الطبيب سماعة البلوتوث من أذنه-، عاد "كريم" ينظر إلى الطبيب ثم أجاب :

- أيوه في نطاق رؤيتي
- طيب المكان ده كان فاضي لما انت جيت؛ فهل شوفت الراجل لما جه ؟ وهل شوفته لما الجارسون جاب له (الميلك تشك) اللي قدامه ؟، طيب هل أخذت بالك إن الجارسون عدى جنبك دلوقتِ حالا ؟

- لأ

قالها بحيرة بالغة وهو يهز رأسه غير مستوعب؛ فعاجله الطبيب :

- طيب أنت شايف وشي كويس ؟

- أكيد يا دكتور لأن تركيزي كله معاك

تبسم الطبيب بثقة وسخرية :

- متأكد ؟

- أه طبعاً متأكد

هز الطبيب رأسه نافيا مرة أخرى، وقد اتسعت ابتسامته :

- طيب أخذت بالك إني شلت سماعة البلوتوث من وديني ؟ ... وهل كنت شايف وديني أثناء حوارنا

أصلاً ؟

- انت عايز توصل لإيه يا دكتور ؟

- باختصار : إن الجهاز البصري مستحيل يركز في كل حاجة موجود في نطاق الرؤية؛ لأن ده

هايبقى تشتيت وهو بينتقي - تلقائياً - الحاجة اللي تجذب انتباهه؛ حتى لو الشخص نفسه مش

مركز ... مثلاً :

ثم أشار بإصبعه خلسه إلى أحد الجالسين على يمين "كريم" وهو يقول :

- شايف الشاب ده ... بص عليه كده ؟

نظر إليه "كريم"؛ فوجده ممسكاً بقدم من (النسكافية) ويبدو عليه التفكير، وكأن عقله في مكان آخر،

فعاد "كريم" ينظر إلى الطبيب وهو يهز رأسه :

- شوفته ... شكله سرحان ويفكر في حاجة

- طيب بما إنه سرحان يبقى أكيد تركيزه مش هنا ... تتبع بقى نظره رايح فين ؟

عاد "كريم" مجددًا ينظر إلى الشاب، وتتبع بصره فوجده يحدق في صدر إحدى الفتيات الجالسات على الطرف الآخر، ففلتت منه ضحكة وهو يقول للطبيب هامسًا :

- ده ببص على صدر البنت اللي قاعدة الناحية الثانية
- بالظبط ... عارف ليه ؟

ثم أكمل ..

- لأن البصر في حالة الهدوء، وإن كان العقل مشغول يستقر على الحاجة اللي تريحه، ومش بعيد وانت بتكلمني تكون بصيت على بنات قاعدة هنا في الكافيه، أو ممكن أكون أنا كمان عملت كده بدون تركيز
- دكتور أنا كده دماغي هربت مني خلاص
- سؤال كمان ... الكافيه دلوقت مشغل موسيقى كلاسيك وحاسة السمع عندك خدت عليها لدرجة إنك بدأت تتجاهلها، تخيل لو الكافيه فجأة دلوقت شغل موسيقى عنيفة زي الميتالك ... إيه اللي هاجحصل ؟

تخيل "كريم" ما قال الطبيب ورد :

- أكيد هانتبه
- طيب ممكن سؤال أخير ؟
- اتفضل ... مع إن دماغي جاهها قمتك خلاص من المعلومات اللي قولتها
- لا هو مثال أخير ... عايزك تتخيل إنك بتاكل بيف برجر ومستمتع بيه، وفجأة وانت بتاكل لاقيت طعم ملح زيادة أوي ... إيه اللي هاجحصل ؟

بحركة لا إرادية حرك "كريم" لسانه وكأنه يتذوق بالفعل، وقال :

- أكيد هاحس بيه وهاتدايق جدًا

ثم أكمل ضاحكا :

- على فكرة يا دكتور أنت عليك أمثلة عجيبة جدًا

تبسم الطبيب وهو يقول :

- استخدام الأمثلة في الشرح هو أقوى الأساليب وأسهلها لتوصيل المعلومات؛ لأن المعلومات بشكلها الرتيب بتخلي المخ بعد وقت يبدأ في تجاهلها والملل منها، لكن استخدام الأمثلة والتشبيهات يحفز خلايا المخ ويخليه يرسم ويكوّن مشاهد من الكلام، ويمكن أكثر حاجة عجبا في القرآن عندكم هو استخدام التشبيهات بشكل مدهش جدًا، زي الآية اللي بتوصف شجرة في النار وتتقول: (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) ... أنت ماتعرفش شكل الشيطان، ومع ذلك لما تقرى آية زي دي هتلاقي محك - تلقائيا - بيحاول التخيل، وده يربطك بالكلام اللي بعده.

تقائيا تخيل "كريم" أقرب شكل رسمه محه للشيطان، وتخيل شجرة معلق على أفرعها رؤوس كثيرة؛ ثم هنر رأسه وهو يقول :

- مش بقول لك، شكلك أسلمت في السر
- يا ابني زي ما قلت لك ، أنا موسوعي، وتقريبا قريت كل حاجة من أول قصص (تان تان)، لحد آخر ما توصلت ليه علوم الفزياء ... المهم

ثم أكمل :

- إيه خلاصة اللي أنا قولته ؟

- مش عارف

قالها "كريم" بحيرة؛ فعقّب الطبيب على الفور :

- الخلاصة إن كل حواس الإنسان - سواء العقلية أو البصرية أو السمعية أو حتى حاسة التذوق- بتتجاهل الإشارات والحوادث الهادئة الرتيبة، وبيزداد تركيزها بس في حالة استقبال أشياء شاذة عن الطبيعي ... صح ؟

- صح

ثم شبك كفيه أمامه ووضعهما على المنضدة ومال بجسده بانتباه مستفسرا:

- ممكن بقى تفهمني إيه علاقة ده بالاستبصار ؟

قالها "كريم" وصمت في انتظار إجابة الطبيب الذي صمت بدوره قليلاً يفكر؛ ثم قال :

- من البديهي إن كل حاسة من الحواس مخصصة لاستقبال إشارات معينة، يعني العين بتشوف مش

بتسمع، واللسان بيتذوق مش بيشوف ... لكن في النهاية كل حاسة بتنبه باقي الحواس

هم "كريم" أن يتكلم لولا أن أشار له الطبيب مبتسماً وهو يقول:

- أرجوك، ماتتكلمش خالص غير لما اقول لك علشان حبل أفكارى، ولو عندك سؤال قوله في

الآخر ... اتفقنا ؟

- اتفقنا

- تمام ... نيجي لحاسة الاستبصار، الماضي والحاضر والمستقبل، أو الزمن بشكل عام هو عبارة عن

موجات، أو ممكن نقول عبارة عن سيمفونية موجودة حوالينا، بتتخلل الهواء والمخ المناسب بس

هو اللي يقدر يلتقطها ويفهمها، بالظبط زي موجات المحمول، هي حوالينا بس جهاز الموبيل بس

اللي يقدر يلتقطها.

ثم مد يده وأمسك بكوب المياه الموضوع أمامه ورشف منه رشفة وأعاده مكانه، وأكمل :

- كل حدث حصل في الماضي - وإن انتهى - إلا إنه بيفضل موجود أثره المادي والموجات الناتجة

عنه، وكل حدث بيحصل في الحاضر بيشكل موجات جديدة بتتلاقى مع موجات الماضي، وده

اللي بيكون موجات الأحداث المستقبلية قبل ما الأحداث نفسها تحصل، حتى التفكير والنوايا

بتشكل موجات ... كأنها عمليات حسابية معقدة جداً، الكمبيوتر المسئول عن استقبالها وترجمتها

وحلها هو المخ.

رفع "كريم" كفه يستأذن في الحديث كأنه تلميذ في فصل؛ فنظر إليه الطبيب بتساؤل :

- ممكن تشرح الجزئية دي ... يعني لو سلمت إن كل حدث بتشكل لحن أو موجات -زي ماقلت- إزاي المستقبل بيبقى ليها موجات هو كمان ؟
- اضربلك مثال ... فإكر لما قلت لك إني لو مستبصر ممكن أشوف إني باقوم وفجأة اصطدمت بالجارسون والمشروبات وقعت علىّ ؟
- أيوه
- طيب احنا قلنا إن الماضي بيشكل موجات، والحاضر بيشكل موجات، والنوايا والتفكير بيشكل موجات ... صح ؟
- صح
- يبقى السيناريو كالتالي ... الراجل اللي ورايا طلب من الجارسون مشروب، والجارسون راح ويبجهاز المشروب ... ده يعتبر إيه ؟
- يعتبر ماضي
- جميل جدًا، ده يعتبر ماضي شكل موجات، طيب أنا دلوقتٍ قررت إني هاقوم، وتجميع موبايلي وباقي حاجاتي هاأخذ دقيقتين، وفي نفس الوقت الجارسون جهز المشروب وقرر إن هايمشي جنب المكان اللي أنا فيه، ووصوله لهنأ هياخذ دقيقتين ... ده حاضر عمل موجات.

قطب "كريم" حاجبيه للحظة وهو يفكر، في حين أكمل الطبيب:

- بالنقاء موجات الماضي مع موجات الحاضر، ولو أنا مستبصر مخي هايستقبل الموجات دي وهايطلع بنتيجة؛ وهي إني هاقوم وهاصطدم بالجارسون والمشروبات هاوقع علىّ؛ وبمجرد ده مايحصل المخ هايفز باقي الحواس وهايكون المشهد أمام عيني وهاأسمعه وداني ... مستوعب ؟

تبسم "كريم" وأشار برأسه إيجابا فأكمل الطبيب:

- كمان شخصية مُصدّر الموجة بتأثر على النتيجة، مثلا ... لو واحد شخصيته قوية بيرجع بيته يوميا الساعة 6 المغرب وهو شايل مسدس لأي سبب، وفي نفس الوقت مراته بتخونه وهو في الشغل، في أحد الأيام قرر إنه يروح بدري فرجع وشاف مراته بتخونه؛ فقتلها وقتل عشيقها ... لو أنا مستبصر هاأشوف المشهد بمجرد تفكير الأشخاص دي، وهاشوفه بيقتلها، في حين إن لو

- نفس الأحداث حصلت مع شخص شخصيته ضعيفه، هاشوف المشهد إنه هو بيقتل نفسه من الصدمة ... ده طبعا بشكل مبسط جداً، لكن الموضوع أعقد من كده بكثير
- سؤال يا دكتور ... معنى كلامك إن مجرد التفكير بيشكل موجه، طيب إزاي وأنا شوفت رؤيا من سنة تقريبا ولسه ما حصلتش يعني شوفتها قبل ما أفكر في حاجة تؤدي لكده ؟
- ما أنا قلت لك إن الموضوع أعقد من كده؛ لأن الأمر ممكن يتطور إلى إنك تفكر؛ فيتم تشكيل موجه، تتلاقى بموجة تفكير شخص تاني؛ فيحصل تنبؤ بموجة أخرى لسه ما حصلتش، والموجة الجديدة تنبأ بأخرى، ويفضل النمط ده مستمر لحد ما عقلك يستقبل النتيجة النهائية وهي المشهد المستقبلي، نرجع تاني ونقول إن بالرغم من إن المخ بيستقبل كل الموجات دي، ألا إنه بيتجاهلها كلها ومش بينبهك إلا للحاجة المهمة اللي تخصك.
- فعلا أنا كل الرؤى اللي شفتها كانت تخصني، أو تخص حد قريب مني.
- ثم تفكر قليلاً وهز رأسه وهو يتمتم :
- سبحان الله !
- جز الطبيب على أسنانه بغيظ، ثم قال باستنكار:
- الله !!! ... بعد كل اللي قلتهولك ده تقول لي سبحان الله !؟
- توترت ملامح "كريم" من انفعال الطبيب المفاجئ فقال بدهشة:
- إيه المشكلة في جملة (سبحان الله) ؟، أنا ممكن أتفهم إنك لا تؤمن بالإسلام لأنك مسيحي لكن أكيد عندكم (الله) برضه !
- ملاً الطبيب صدره بالهواء حتى يهدأ؛ ثم صمت ولم يُعقب، وظل "كريم" يتأمل له للحظات قبل أن يهتف باستنكار:
- دكتور ... انت ملحد !!!

صيحته جذبت انتباه بعض الجالسين؛ فالتفت إليهم "كريم" بحرج، ثم عاد إلى الطبيب ومال بجسده هامساً:

- انت ملحد يا دكتور!؟

- كقنبلة موقوتة - انطلق الطبيب يتحدث بسرعة وبصوت منخفض:

- تفتكر واحد زبي مجال أبحاثي في الظواهر الخارقة، وقرأت في كل المجالات ممكن يفضل مؤمن بالخرافات دي؟! اللي أنا مندهش له هو إزاي واحد زيك كان بيمتلك كل القدرات دي ولسه مؤمن بوجود شخص في السماء خلقنا وبيراقبنا وبيتحكم فينا؟!... الإيمان بالإله ده للناس الجهلة المغيبة، وعيب إن ناس متعلمة زينا تردد كلام اتقال من آلاف السنين.

ثم رفع قده القهوة ورشف منه بأصابع متوترة، ثم أكمل :

- الإله الوحيد في الكون ده هو الإنسان، مش كائن خرافي موجود بس في عقول البعض !

بمجرد انتهاء الطبيب من الكلام كان "كريم" يشعر بغليان في دمه، وفورة غضب تعتمل في صدره من كلام الطبيب، تمنى لو أن يحطم رأسه أو يفتق عينيه، إلا أنه هدأ نفسه وآثر استخدام المنطق والعقل، وبعد تفكير -للحظات - قال للطبيب :

- تسمحلي أكلمك بالعقل؟

لم يرد الطبيب، واكتفى بأن أوماً برأسه علامة الموافقة.

- طبعا احنا متفقين على وجود القدرات الاستثنائية - زي الاستبصار - بس الأفضل ننحيا جانبا

ونتكلم على أحلام الناس العادية ... إيه رأيك في الأحلام المرمزة؟

- يعني إيه مرمزة؟

- انت فاهم قصدي كويس يا دكتور ... أنا باتكلم عن الرؤى اللي الناس العادية بتشوفها

وبتتحقق، مثلا طالب شاف في الحلم إن قميص المدرسة اتقطع منه، ويحصل في السنة دي حادثة

ما تخليه مايروحش الامتحان، أو واحد شاف في الحلم إن ابنه تاه منه، ويكتشف بعد كده إن ابنه

بيهرب من المدرسة، أو واحدة تحلم إن أختها المتزوجة بتتزوج في الحلم، وبعد فترة يحصل طلاق لأختها، أو واحد يحلم إن قدامه شجرة ورقها بيتساقط وبعد فترة أبوه يموت ... إيه تفسيرك للأحلام المرمزة دي؟

- إيه علاقة ده بالموضوع؟

خرج الكلام من الطبيب بنبرة أهدأ نوعاً ما؛ مما شجع "كريم" على الإكمال بحماس:

- ليه علاقة كبيرة جداً يا دكتور؛ لأن الأحلام المرمزة دي بتعني إنها جاية من جهة ما أقوى وأعلى وأعلم بالمستقبل، لو كانت الأحلام بتكون واضحة كان ممكن نسقط عليها تفسير قدرة الاستبصار بأنها موجات بيلتقطها العقل؛ لكن دول ناس عادية جداً لا يملكون قدرة الاستبصار ورؤياهم شكلها مختلف تماماً عن اللي أنا كنت باقدر أشوفه ... حاجة كمان بتدل إن الأمر بتسيره قوة أعلى..

ثم نظر في ساعته وأكمل:

- في مثال جميل جداً أنت استشهدت بيه، وهو قصة "عمر بن الخطاب" لما شاف جيش العدو هايلتف حول الجبل فقال "يا سارية الجبل الجبل"، وقائد الجيش سارية سمعه، تقدر تقول لي ليه "عمر بن الخطاب" هو اللي شاف الرؤيا دي مش قائد الجيش سارية؟! بالرغم من إن الأقرب للمنطق إن قائد الجيش هو اللي يشوفها لأنه أقرب للوضع ... لو فكرنا هنلاقي إن الإجابة الوحيدة هي: إن هناك قوة أعلى أرادت أن يكون "عمر بن الخطاب" هو اللي يشوفها قدام الناس حتى يشهدوا المعجزة دي.

انتظر من الطبيب أي رد، ولكن بدلاً من ذلك نظر الطبيب إلى ساعته ثم قال وهو بيتسم:

- ياااه، دي الساعة 11 ... كفاية كده النهاردة .

ضحك "كريم" من قهر الطبيب وهو يقول:

- ماشي يا دكتور ... زي ما تحب .

أشار الطبيب للنادل وهو يجمع أشياءه ويقوم:

- ياريت تكون بتاخذ الحبوب اللي ادتها لك
- ثلاث مرات زي ما قلت لي.

ثم قام "كريم" بدوره و خرج هو والطبيب؛ بعد أن دفع الأخير الحساب وقبل أن يتركه سأله :

- طيب بالنسبة للقدرات ... هاترجع إزاي ؟
- ماتقلقش ... هاوصل لحل أكيد

ثم تذكر أمرا وقال :

- صحيح أنا هسافر أمريكا أحضر مؤتمر هناك
- هاتقعد كثير ؟
- لا هما ثلاث تيام بس، هاسافر يوم 18 وهارجع يوم 21 الصبح

ثم صافح "كريم" الذي قال له مداعبا :

- بس أنا أخرجتك ... اعترف
- امشي يالاً .

ثم أشار له مودعًا وانصرف، وذهب "كريم" واستقل السلم إلى أسفل باتجاه جراج المول، واستقل سيارته وانطلق وهو يهاتف "تقى"، التي ما أن أجابت حتى عاجلها "كريم" وهو يقول ويصطنع التوتر :

- عايز أسألك على حاجة مهمة جدًا
- إيه ؟

سألته بقلق؛ فابتسم وهو يقول:

- هو أنا قلت لك النهاردة إني بجدك ؟

المأجور

"17 أغسطس 2008"

في منطقة "شبرا الخيمة" وفي إحدى المقاهي، كان هناك حشد من العاطلين يشاهدون فيلم " In hell " لـ"فان دام" وفي المقدمة كان البعض يلتفون حول شاب في العقد الثالث من عمره، جسده عبارة عن حائط بشري قمحي اللون، تكاد العضلات أن تمزق ملابسه الضيقة التي يتعمد ارتدائها؛ حتى يبرز جسده ويبرز وشم التنين الذي رسمه عليه، وبين الحين والآخر يسألونه عن الحركة التي يقوم بها مقاتلوا الفيلم، أو يصيح هو بغضب ويسب بطل الفيلم:

- علىّ النعمة "فان دام" ده ابن مرة ولا يفهم حاجة
- ليه يا "بروس لي" ؟

- المفروض كان يضرب برجله ضربة جانبية مش خلفية طيارة ... بص ابن الجزمة بيعمل إيه !!؟

ثم ضرب بيده المنضدة التي أمامه بحنق وهو يشرح :

- الحركة الأخيرة دي بقي غلط؛ لأن المفروض جسمه يكون مايل شويه، لأن الأحسن يعمل صينية أمامية مش خلفية.

وقبل أن يكمل ربت أحدهم على كتفه بإلحاح؛ فالتفت إليه بغضب فوجده طفلاً صغيراً يحمل صندوقاً متوسط الحجم؟

- عايز إيه يالاً ؟

فقدم له الطفل الصندوق وهو يقول فرحاً :

- في واحد راكب عربية "مرسيدس" إداني اللعبة دي وقال لي أديها لك وادالي مية جنيه ليه لوحدي..

قالها وهو يلوح بورقة المئة جنيه؛ فاخطفها "مجدي" منه وأعطاه بدلاً منها عشرين جنيهاً

- كفاية عليك عشرين جنيه.

فصرخ الطفل وهو يبكي:

- وربنا انت حرامى ... الراجل ادّهالى أنا

- امشي من هنا يا ابن الكلب بدل ما أقسمك نصين.

فانصرف الطفل وهو يبكي، وظل الشاب يتطلع إلى الصندوق ويقلبه فوجد على جانبه مكتوب اسمه "مجدي هاشم" وتحتة مكتوب "لا تفتحه إلا وانت وحدك"؛ فحمل الصندوق وقام فقال له أحدهم بانبهار:

- هو الصندوق ده من المخابرات يا "بروس لى"؟

فتطلع إليه "مجدي" وهو يضيق عينيه بنظرة ذات معنى:

- الحاجات دي ما ينفعش أتكلم فيها يا بقرة.

فأطرق الآخر رأسه احترامًا وإجلالاً؛ ثم انصرف "مجدي" بخطوات بطيئة وهو يحمل الصندوق ويشعر بالفخر من المهمات - التي ظل من كانوا يجلسون حوله يصدرونها - وأحدهم يحكي عن البطولات التي لا يعرفها سواه عن "مجدي" أو "بروس لى" كما يلقب نفسه، وعن التدريبات التي تلقاها في أحد المعابد السرية.

لم يكن "مجدي" سوى شاب ساعدته الظروف على تعلم بعض الفنون القتالية في صغره في إحدى الصالات المنتشرة في الأحياء، وأكمل تدريبه ثم اكتفى بدراسة المرحلة الثانوية، بعدها أصبح لصًا وبلطجيًا ذائع الصيت بين بلطجية المنطقة والمناطق المجاورة ومشهورا بقوته ولبنوته الفائقة؛ حتى تم القبض عليه وتم سجنه ثلاث سنوات، كان أفضل ما حدث له - منذ القبض عليه - هو الخبر الذي نُشر في الجريدة بعنوان "القبض على خبير فنون قتالية يتزعم تشكيل عصايي" ومن يومها وهو يحمل خبر الجريدة في جيبه ويريه لكل من يقابله متفاخرًا بجملة "خبير الفنون القتالية" وبدأ في نسج الأساطير حول نفسه، من أول تدريبه في معابد "شاو لن" في الصين، حتى تعاونه مع أجهزة المخابرات.

وصل إلى غرفته التي يقطنها، غرفة متهالكة لا تحوي سوى سرير بنى فيه الباعوض قصورا مشيدة له، وعلى جانب الحائط الأيمن مقعدين خشبيين أوشكت أرجلها على التآكل .

ما أن دخل "مجدي" حتى أغلق بابها وجلس على طرف الفراش، وفض غلاف الصندوق يتأمل محتوياته، وجد في أعلى الأوراق صورة للجريدة التي تتحدث عن خبر القبض عليه، وتحتها ملف آخر يتضمن معلومات عنه، ولكن أكثر ما أثار انتباهه وأسأل لعبه هو رؤيته لرزمة مالية كبيرة من فئة المائتي جنية؛ فظل يعدها بلهفة ثم وضعها جانبا ليرى باقي المحتويات، مجموعة صور خارجية لإحدى الفلل الفاخرة، ومسدس عجيب الشكل فتحه ليجد مجموعة رصاصات زجاجية تحتوى على سائل شفاف ورأسها كالإبرة، تأمله بدهشة، ثم وضعه جانبا هو الآخر ليقرأ ورقة موجودة في الأسفل ومكتوبة بالكمبيوتر:

"مجدي هاشم مُجَد"

لاعب كنفوف سابقا، وبلطجي وشمام حاليا، أنا عارف إن المخدرات أكلت جسمك، لكن أتمنى إنك تقدر تنفذ المهمة اللي اخترتك ليها، في الصندوق هتلاقى عشرين ألف جنية ودول مقدم، ولو نفذت اللي هاطلبه منك هتاخذ ثلاثين ألف جنية كمان، في الصندوق مجموعة صور لفيلا موجودة في منطقة (السادس من أكتوبر)، وهتلاقى في آخر الورقة دي رسم كروكي للفيلا من الداخل، كل المطلوب منك إنك تدخل الفيلا، وتجيبي كل الملفات الموجودة في الخزانة، وحلال عليك أي حاجة تانية تلاقياها في الخزانة من فلوس، الأهم إنك تدور على ملف باسم "كريم عبدالله عبدالمجيد" وما تخرجش من غيره، في رقم موجود ماتصلش بيه غير في يوم التنفيذ بعد ما تخلص واليوم ده هو 20/08؛ لأن صاحب الفيلا مش هابقى موجود يومها، يعني قدامك ثلاث أيام تشوف موقع الفيلا براحتك، في الصندوق مسدس بيحتوي على مخدر قوي وفوري؛ علشان فيه كلبين في جينة الفيلا وغفير واحد على البوابة " .

انتهى من قراءة الرسالة، وبحث عن أي توقيع باسم صاحب الخطاب فلم يجد، ثم أخذ يتطلع إلى الرسم الموجود والذي يصف الفيلا، وفي الغرفة السفلي لها دائرة مكتوب عليه بخط أحمر " الخزانة " وفي آخر الورقة رقم هاتف محمول، وعنوان تفصيلي لموقع الفيلا.

أمسك بهاتفه وجرب الاتصال بالرقم المكتوب فوجد الهاتف مغلقاً؛ فألقاه جانبا وأمسك بالمسدس يتأمله ويتأمل طلقاته بتعجب، ثم قام ونظر من نافذة الغرفة حتى وجد أحد أصدقائه؛ فناداه :

- بقول لك يا "سيد" ... تعالى عايزك

- في حاجة يا "بروس لي" ؟

- تعالى بس عايز أجرب حاجة.

دقيقة وكان صديقه معه في الغرفة فأخذه "مجدي" من يده وأوقفه أمام المقعد الخشبي المتهاالك في طرف الغرفة

- خليك واقف هنا

- قولي بس يا شقيق في إيه ؟

اتجه نحو المسدس وهو يقول:

- اثبت مكانك يالاً وهاتعرف دلوقت.

ثم أمسك المسدس، والتفت إلى صديقه، وفجأة أطلق عليه طلقة خرجت بلا صوت و استقرت في ذراعه الأيمن فصرخ بألم غير مصدق ما حدث؛ ثم سقط على الكرسي فاقدًا الوعي فاقترب منه "مجدي" وتحسس وريده واطمأن عندما وجده نابضاً بالحياة، ثم رفع المسدس يتأمله وهو يتمتم :

- أه والله شغال زي الفل ... كده يبقى على بركة الله.

ثم نزع الرصاصة الزجاجية المستقرة على ذراع صديقه، وجلس على المقعد المجاور وهو يمرر أصابع يده على شعره الأكرت الذي أجبره باستخدام الجل أن يجعله يلتصق بجبهته كما كان شعر "بروس لي" ثم أمسك بالرسالة التي تحتوي على عنوان الفيلا يتأملها وعقله يحلق في سماء المستقبل، ويخيل له ما يمكن أن يحدث.

"20 أغسطس 2008"

في (السادس من أكتوبر) وعلى مقربة من الفيلا المنشودة أوقف "محمدي" دراجته البخارية وهو يرتدي قفازين أسودين من الجلد، و سترة جلدية سوداء اللون بها رقعتان على جانبها الأيمن، ويرتدي بنطالاً قماشياً أسوداً هو الآخر، نظر في ساعته فوجدها قد تحطت الحادية عشرة مساءً بدقائق.

كان الطريق خالياً إلا من السيارات القليلة التي تمر بسرعة محدثا الصوت المميز (فوووووووو)، وبالطبع لم يكن هناك مارة في الشوارع، ببطء دار حول الفيلا دورتين ثم أوقف الدراجة بجوار أحد أسوارها بعيداً عن البوابة التي يجلس الغفير خلفها من الداخل في غرفة أسمنتية، وضع يده على صدره وهو يتنفس بعمق وتحسس مسدس التخدير حتى يقنع قلبه بأن يهدأ قليلاً، كان أمر اقتحام المنازل جديداً عليه؛ فكل ما بيرع فيه هو تثبيت المارة أو فرض إتاوة على سائقي الميكروباص والتكاتك؛ لكنه أقنع نفسه أن المبلغ الذي تقاضاه وسيتقاضاه يشجع على المجازفة، كما أن الأمر تطلب أن يشاهد عدة أفلام أكشن وسرقات، وهو يتخيل نفسه دائماً مكان بطل الفيلم الذي يهرب بغنيمته ويحظى بالفتاة الجميلة، صحيح أنه لا فتاة سيحظى بها لكن الغنيمة تكفي.

نزل من على الدراجة وارتدى قناعاً قطنياً يخفي وجهه بالكامل ولا يظهر سوى عينيه وفمه، ووقف يتطلع إلى السور المغطى من أعلى بقطع زجاجية مدببة حتى تمنع اللصوص، ثم أحضر من مؤخرة الدراجة بطانية سميكة وقذفها فوق السور حتى يستطيع العبور من فوقها دون أن يتأثر بالزجاج، وحمل حقيبة ثقيلة على ظهره وتراجع عدة خطوات إلى الوراء؛ ثم جرى باتجاه السور وقفز وهو يسند إليه قدمه اليمنى، ووضع يده اليسرى على البطانية وهو يرفع كلتا قدميه إلى مستوى رأسه؛ حتى استقر على السور وقدماه تتدليان إلى الداخل.

ظل على نفس الوضعية قرابة الدقيقة ولما لم يرَ كلبى الحراسة أرهف السمع؛ فلم يسمع أي صوت، بخفة قفز على أعشاب الحديقة بدون أن يحدث أي صوت، وألصق ظهره إلى السور، وأخرج المسدس ورفعته أمام وجهه وهو يسير ببطء حتى رأى الكلبين يجلسان بجانب الغرفة الإسمنتية ورأى الغفير نائماً وهو جالس على كرسيه، وبجذر وجه المسدس نحو الكلبين، وأحكم التصويب ثم أطلق طلقتين متتابعين أصابتا الكلبين؛ فنباح الكلب المختصر ثم سقطا مغشياً عليهما، وقبل أن يتحرك سمع مزلاج باب الغرفة

يُفتح وقد تنبه الغفير إلى صوت الكلبين وخرج، ثم رأى "مجدي" بقناعه، وقبل أن يصرخ أو يفعل أي شيء أطلق عليه "مجدي" رصاصة استقرت في عنقه فخر على الأرض في سُبَات عميق بجانب الكلبين.

تملكت "مجدي" أحاسيس النصر والبطولة؛ فسار بثقة نحو نافذة زجاجية للفيلا، وأخرج من حقيبته قاطعا زجاجيا وضغط على الزجاج وهو يرسم مربعا ثم دفعه بيده وقبل أن يسقط اللوح الزجاجي في الداخل أمسك به "مجدي" في حذر، وأخرجه ووضع بجانب الحائط الخارجي، ومد يده وفتح المزلاج ثم قفز إلى الداخل، ووقف يتأمل قاعة الفيلا بانبهار.

أثاث، وديكور لم يشاهدهما في حياته سوى في الأفلام، سار ببطء وسط الأثاث، ويقف أمام كل قطعة يتحسسها برهبة وهو يفكر فيما يمكن سرقة؛ ثم نفذ كل ذلك عن ذهنه وأخرج الورقة التي تحدد مكان الخزانة؛ فاتجه إلى حجرة في آخر القاعة وفتحها دون عناء، ثم دلف إلى الداخل ووجد الخزانة موضوعة بجانب مكتب خشبي ضخم مواجه لباب الغرفة .

وبسرعة أشعل إضاءة الغرفة و توجه نحو الخزانة، ووضع حقيبته على المكتب الخشبي ثم فتحها وأخرج منها قاطعا حديديا (صاروخ) استعاره من أحد معارفه ممن يعملون في (الفيورجيه)، وأوصل به من أسفل اسطوانة مخصصة له، بحث عن مصدر للكهرباء فوجد واحدًا خلف مقعد المكتب؛ فأوصله به وتوجه إلى الخزانة وجلس أمامها، وارتدى نظارة شمسية ثم شغل الصاروخ وبدأ في قطع باب الخزانة.

دقيقتان كانتا كافيتين حتى يستسلم بابها ؛ ففتحه وكاد قلبه يتوقف مما شاهده:

في مقدمة الخزانة كان هناك بعض الملفات موضوعة فوق بعضها؛ ولكن الأهم بالنسبة له هو كمية الأموال الرهيبة التي تراصت فوق بعضها حتى سقف الخزانة في شكل جمالي يستحق بالنسبة لـ"مجدي" أن يوضع مكان الموناليزا، جذب حقيبته وأخذ يسقط الأموال بداخلها بسرعة وهفة وقلبه يتراقص بداخل صدره، وعقله يهيب له أنه جالس في قصر مثل هذا، والخدم من حوله يأمرهم فيطيعون .

انتهى من تعبئة الحقيبة بكل الأموال التي في الخزانة؛ ثم مد يده وأخذ الملفات يتفحصها .

كان من الواضح أن أغلبها ملفات طبية في كل منها صورة لشخص مختلف، وأغلبهم محتوم على صورته بختم أحمر يتوسطه كلمة (Eliminated)، ثم أخيراً وجد ملفا مكتوبا عليه الاسم المطلوب "كريم

عبدالله عبد المجيد "؛ فلملم الملفات ووضعها جميعا بداخل الحقيبة وفوقهم الصاروخ؛ ثم أحكم إغلاقها و حملها وخرج من الغرفة متجها بسرعة صوب النافذة التي دخل منها، ثم إلى السور عند المكان الذي دخل منه، قذف الحقيبة الثقيلة إلى الجانب الآخر من السور.

وقفز - بنفس طريقة دخوله - من الداخل إلى الخارج، ووضع الحقيبة على مؤخرة الدراجة البخارية، وأحكم ربط حبل فوقها، ثم خلع القناع ووضع بدلا منه خوذة القيادة، و أدار الدراجة وانطلق مسرعاً .

وبعد مسافة كيلو متر أوقف الدراجة، وأخرج هاتفه المحمول وأجرى اتصالاً بالرقم الخاص بصاحب المهمة؛ فأتاه صوت الرنين ثم رفض المكالمة، تعجب مما حدث لكن تعجبه زال عندما أتته رسالة نصية فتحها ولم يجد سوى كلمتين " جبت الملف ؟ "، إذًا فصاحب المهمة يريد التعامل بالرسائل، فتح "مجدي" رسالة فارغة وكتب فيها " أيوه " وضغط زر الإرسال وانتظر فأتته رسالة بسرعة قرأها " امشي لحد الدائري، وقبل الطلعة هتلاقي عربية "مرسيدس" مشغلة الانتظار، شنطتها مفتوحة وهتلاقي باقى فلوسك فيها، حط الملفات وخذ فلوسك ".

أغلق الهاتف وانطلق بالدراجة، وهو يشعر أنه بطل أحد الأفلام التي طالما شاهدها، وقبل أن يصل إلى الدائري وجد سيارة "مرسيدس" فاخرة، أضواؤها تشتعل وتنطفئ علامة الانتظار؛ فتوقف خلفها وتوجه نحو حقيبتها المفتوحة؛ فوجد المبلغ المتبقى من الاتفاق؛ فأمسك بالأموال ووضع الملفات في الحقيبة وأغلقها برفق، وتوجه ناحية باب السائق :

- أي خدمة ... مش هانتعرف بقى يا باشا ؟

كان الرد هو أن انطلق السائق -الذى لم يرَ "مجدي" أي شيء من ملامحه - بالسيارة على الفور؛ فهتف "مجدي" :

- طيب لو عوزتني انت عارف هتلاقيني فين ؟

ثم حمل المال واتجه نحو الحقيبة الموضوعه على مؤخرة الدراجة ووضعها بها وأغلقها، واستقل دراجته وانطلق باتجاه منطقتة تسابقه أحلام الرفاهية والغنى .

الأولى

"21 أغسطس 2008"

لم يكد الطبيب ينهي إجراءات عودته إلى أرض مصر في الساعة صباحاً؛ حتى فتح هاتفه وهو يتجه ناحية سيارته التي تركها في جراج مطار القاهرة، وعلى الفور أتته رسالة بأن رقم الغفير قد حاول الاتصال به عشرات المرات فاتصل بالرقم؛ فأتاه صوت الغفير مدعوراً وهو يقص عليه ما حدث :

- أكلم البوليس يا دكتور ؟

- لا بوليس ولا زفت ... ما تعملش أي حاجة وأنا جاي حالا.

قالها بغضب وذعر؛ ثم أنهى المكالمة وهو يسرع الخطى إلى سيارته المرسيديس الفارهة؛ ففتح بابها وألقى الهاتف على المقعد الجانبي واستقل السيارة وانطلق.

ساعة واحدة وكان يقف في الغرفة التي تحوي الخزانة ويتطلع إلى الفوضى، ثم رفع الرصاصات الزجاجية التي أعطاها له الغفير وظل يتأملها لحظات :

- حضرتك اعمل أنا حاجة دلوقت ؟

تنبه إلى أن الغفير مازال موجوداً معه؛ فالتفت إليه بحدة :

- امشي انت دلوقت يا "محمود" وما تتكلمش عن أي حاجة

أطاعه الغفير وانصرف على الفور، وانتظر الطبيب لحظات في مكانه ثم اتجه خلف مكتبه الخشبي وجلس على المقعد، ثم فتح حقيبة تحتوي على الكمبيوتر الخاص به وأخرجه، مد يده تحت المكتب وظل يتحسسها حتى وجد ضالته؛ فأخرج سلك ينتهي بوصلة (USB) وأدخلها في المكان المخصص لها في الكمبيوتر؛ وضغط زر التشغيل وانتظر قليلاً حتى انتهى نظام التشغيل من البدء؛ ثم ضغط أيقونة وبدأ في استعراض ما سجلته الكاميرة الموضوعة في قاعة الفيلا، وغرفة الخزانة.

رأى "مجدي" وهو يدخل القاعة ويتجول فيها قليلاً، ثم رآه يتجه على الفور إلى غرفة الخزينة كأنه يعلم جيداً أين يقع هدفه، انتقل إلى تسجيل الكاميرة الثانية في غرفة الخزينة - والموضوعة أعلى الخزينة -؛ فوجد "مجدي" يتجه على الفور إليها ويفتحها ويأخذ الأموال؛ ثم يمسك بالملفات يتفحصها.

مال الطبيب إلى الأمام يدقق النظر ويعيد تشغيل الجزء الذي يتفحص فيه اللص الملفات، وأوقف التسجيل عدة مرات ثم بدأ في الاستعراض لقطعة لقطعة؛ حتى رأى اللص وقد توقف عند ملف "كريم" وبدأ بعدها في ملزمة أشياءه ورحل على الفور.

ظلت نظرات الطبيب مثبتة على شاشة الكمبيوتر وعقله يجمع الخيوط ثم انتفض فجأة ولملم الكمبيوتر ووضعه في الحقيبة، وركض بسرعة باتجاه سيارته وهو يجري اتصالاً بـ "كريم" فوجد هاتفه مغلقاً، فتح السيارة وانطلق بها بسرعة حتى كاد يصطدم ببوابة الفيلا؛ ثم وبسرعة جنونية انطلق إلى المركز الطبي في "العاشر من رمضان".

في التاسعة والنصف صباحاً و في سط ممرات المركز، تجاوز الطبيب كل من قابله بالترحاب دون أن يجيب أحدهم، ودخل غرفته ثم جلس على مقعده وهو يضغط زر مكتوب عليه " IT manager " وظل يديق بأصابعه على المكتب حتى أثار صوت مدير النظم والمعلومات :

- حمدًا لله على السلامة يا دكتور

- تعالى لي حالا يا "أشرف" وهات معاك الكمبيوتر بتاعك

- دقيقتين وأكون عندك

مر الوقت على الطبيب كمن يشاهد سلحفاة في سباق ماراتون؛ حتى سمع صوت طرقات على الباب :

- ادخل يا "أشرف".

دخل مدير النظم بقامته الفارعة وكرش صغير يتدلى أمامه، كان في أواخر العقد الثالث من عمره وشعره أسود من غير سوء، بسرعة توجه ناحية الطبيب ومد يده يصافحه؛ فصافحه الأخير بسرعة وسحب يده وهو يشير له أن يجلس؛ فجلس وهو يقول بتوتر من طريقة الطبيب غير المعتادة:

- فيه حاجة يا دكتور؟

- افتح الكمبيوتر بتاعك وادخل على السيستم

أطاعه على الفور، ونظر إليه متسائلاً؛ فقال الطبيب بسرعة :

- في حالة كانت مسجلة عندنا باسم "كريم عبدالله عبدالمجيد " :

- ثواني

هم مدير النظم أن يبحث عن الاسم، ثم توقف وهو يقطب حاجبيه مفكراً ثم قال :

- مش دي الحالة اللي حضرتك مسحتها؟

- أيوه هي

- طيب ما أنا كده مش هاعرف أشوفها لأنها اتشالت خلاص

بنفاذ صبر أشار له الطبيب وهو يقول بعصبية :

- اتصرف يا "أشرف"

- يا أفندم ده مستحيل، بمجرد مسح الملف ماينفعلش استعرضها تاني.

وضع الطبيب كفه الأيمن على وجنتيه وهو يضغط بعصبية كأنه يريد تحطيمهما، ثم انتبه وهو يشير لمدير النظم :

- تقدر تقول لي مين اللي شاف الملف ده قبل ما يتمسح؟

- دى ممكن اعمالها.

على الفور بدأ "أشرف" في استعراض بعض القوائم، وضغط على زر فيها مكتوب عليه (History)

وانتظر انتهاء التحميل، ثم قال ونظره مثبت إلى الشاشة :

- اتنين بس اللي استعرضوا الملف ده، دكتور "عماد"، وده يوم ما وضع الملف على السيستم

والتاني ...

ثم أخذ يتطلع إلى الشاشة؛ فعاجله الطبيب بصبر قد نفذ :

- سيبك من "عماد" ... مين تاني غيره ؟

رفع مدير النظم رأسه وهو يكمل:

- التاني هو حد من المركز الطبي في "كندا"، مش مكتوب مين لكن اللي دخل كان ليه نفس
صلاحياتك، وقبل مسح الملف بيوم تمت طباعته مرتين من هناك.

- Dam it

بأصابع مرتعشة رفع يده ووضعها على فمه؛ فسأله مدير النظم وقد أصابته نوبة التوتر هو الآخر:

- في إيه يا دكتور؟ ... الحالة دي برضه سألني عليها دكتور "عماد" من فترة وكان متدابق جدًا.

نظر إليه الطبيب بنظرات زائغة وهو يقول ببطء وتوتر:

- "عماد" مش مهم ... مش مهم

ثم أشار له :

- شكرا يا "أشرف" ... اتفضل انت دلوقت.

انصرف مدير النظم، ورفع الطبيب هاتفه وهو يجري اتصالاً برقم "كريم"؛ فوجده مازال مغلقاً فظل يعيد
الاتصال بذهن شارد وقلب مضطرب.

في منزل "كريم" في الواحدة والنصف ظهراً، جلست والدته وحدها وهي تشعر بالملل وتفكر في كيفية
إمضاء يومها؛ فقد تعودت طوال الشهر الماضي على تواجد "كريم" معها معظم الوقت، ولكن ما أن
انتهت أجازته وعاد إلى العمل؛ حتى أصبح الملل هو جليستها الوحيد، قامت وحاولت التشاغل بتنظيف
الصحون للمرة المئة؛ حتى كادت الصحون تختفي من كثرة تحرش سلك المواعين بها، وبينما هي كذلك إذا

بصوت الهاتف المحمول الخاص بها؛ فمسحت كفيها في المنشفة المعلقة على جانب المطبخ، وأسرعت إلى الهاتف وهي تجيب :

- ألو سلام عليكم

- أيوه يا ماما صباح الخير .

كانت "تقى" هي المتصلة ..

- صباح النور يا حبيبي

- هو "كريم" فين يا ماما، بتصل بيه من الساعة 10 وتليفونه مقفول

- هو ما كلمنيش من ساعة ما راح الشغل .

كانت تحدثها وهي تتجه ناحية غرفة ابنها؛ ففتحتها ووجدت هاتفه موضوعاً على المنضدة، تفحصته فوجدته مغلقاً:

- أيوه يا "تقى" ده تليفونه هنا أهه بس مقفول ... شكله نسيه

- والله "كريم" ده مسطول يا ماما

- انت هتقولي لي ... ما أنا عارفه

- انت وراكي حاجة النهاردة ؟

- لا والله ده أنا حتى زهقانة من القعدة لوحدي

- طيب ما تيجي يا ماما بالله عليك وتقعدي معانا شويه

- بس يا بنتي

- بالله عليك بقي ... ده حتى ماما بتحب قعدتك .

أناها طوق النجاة لينقذها من بحر الملل الذي كادت تغرق فيه؛ فأجابت :

- خلاص شويه وأجيلك

- ربنا يخليك يا أحلى حماه في الدنيا ... ممكن طلب رخم وانت جاية ؟

- قولي يا حبيبي

- الكمبيوتر اللي "كريم" جابولي، هو كان قال لي إنه ظبَّطه خلاص، ممكن تجيبه معاكي ... لو ينفع يعني؟

تلفتت في الحجرة فوجدت حقيبة الكمبيوتر موضوعة بجانب الفراش:

- أه موجود ... هاجيبهولك يا حبيبي وأنا جاية
- ماشي يا ماما ... مستنياكي.

أنهت الأم الاتصال، وبعد أن ارتدت ملابس الخروج أحضرت حقيبة الكمبيوتر من غرفة "كريم"، وخرجت من المنزل ووقفت أمام باب العمارة وهي تشير لإحدى سيارات الأجرة التي توقفت أمامه ومال السائق يتطلع إليها

- "عين شمس" يا اسطى؟
- اتفضلي يا أمي.

فجلست على الأريكة الخلفية، وانطلق السائق على الفور.

"الرابعة والنصف عصرًا"

دخل "كريم" شفته وهو ينادي أمه؛ فلم تجب، بحث عنها في أرجاء الشقة فلم يجدها، ألقى حقيبة الكمبيوتر بسخط ودخل غرفته؛ فتعجب عندما لم يجد حقيبة الكمبيوتر الخاص به؛ لأنه في الصباح اكتشف أنه قد أخذ حقيبة "تقى" بدلا من حقيته هو، أمسك بهاتفه وأوصل به الشاحن ليعطيه قبلة الحياة الكهربائية، وانتظر قليلاً ثم ضغط على زر بدأ التشغيل، وأجرى اتصالاً برقم أمه :

- أيوه يا ماما

أتاه صوت مغاير يقول بدلال:

- مفيش ماما ... تنفع "تقى"
- "تقى"؟! .. هي ماما عندكم؟

- أيوه منورانا النهاردة
- بنت ال ... مافالتليش يعني
- كان نفسها تقول لك والله، بس في واحد صاحبنا مسطول كان سايب تليفونه في البيت، بس برضه هي غلطانة كان المفروض تبعت لك إيميل
- إترقي إترقي ... وحشتيني والله
- انت أوحش ... صحيح أنا قلت لمامتك تجيلي الكمبيوتر معاها علشان سيادتك مش فاضي تجيهولي
- أه بالنسبة للكمبيوتر ...

قبل أن يكمل أياه صوت بأن هناك مكالمة أخرى؛ فنظر إلى الشاشة فوجد المتصل الطبيب "ألير" :

- ثواني يا حبيتي، جيلي مكالمة من ... الشغل
- أوك.
- ضغط زر الرد فأناه صوت الطبيب بإندفاع وعصبية :
- انت فين يا "كريم" من الصبح ... تليفونك مقفول ومش عارف اوصل لك
- حمدًا لله على السلامة يا دكتور ... معلى أصلي كنت ناسي التليفون في البيت
- انت بتهزر يا "كريم" ؟ المهم أنا هستناك في الكافيه اللي بنتقابل فيه ... تعالى حالاً
- أيوه يا دكتور بس

قاطعته الطبيب وهو يصرخ به :

- بلا بس بلا زفت ... ضروري تقابلني هناك حالاً.
- صمت "كريم" لحظات وقد تملكته الدهشة من عصبية الطبيب وإحاحه الغريب في مقابلته فرد أخيراً :
- طيب يا دكتور أنا هاروح هناك دلوقت
- وماتجيش بعريبتك يا "كريم"، وماتركبش تاكسي نضيف وتعالى بأعفن تاكسي تلاقيه

- هو فيه إيه يا دكتور !!!؟
 - لما تجي هافهمك، المهم تنفذ اللي بقول لك عليه ... مستنيك
- ثم أتى "كريم" صوت إنهاء المكالمة من طرف الطبيب من غير أن ينتظر أي رد منه؛ فعاد إلى "تقى" يكمل معها الحديث :

- أيوه يا حبيبي، معلىش كانت مكالمة مهمة شويه
 - ولا يهملك يا سيدي ... ماتيجي تقعد معنا
 - كان نفسي والله بس جالي شغل مهم دلوقتٍ ولازم أرجع
 - رينا معاك ... ابقى طمني عليك
 - إن شاء الله ... لا إله إلا الله
 - مُحمد رسول الله.
- وضع الهاتف في جيب بنطاله، والتقط مفاتيحه ونزل من البيت، كاد أن يوقف سيارة أجرة ولكنه وجد أن طلب الطبيب في غاية الغرابة والسخافة فتوجه إلى سيارته القابعة أمام مدخل البيت وانطلق بها ..
- في الكافيه - وفي المكان المعتاد - وجد الطبيب جالسًا، ولأول مرة يراه "كريم" ممسكا بالسيجار ويكاد يلتهمه بأسنانه ويطلق حلقات الدخان في الهواء؛ وما أن رأى "كريم" حتى أشار له بعصبية؛ فذهب إليه وجلس أمامه وهو يسأله بقلق :

- في إيه يا دكتور؟ ... قلقلتنني
- فيلتي اتسرقت امبارح بالليل.

حدقه "كريم" بنظرة عجيبة هي خليط من الدهشة والاستنكار فقال :

- طبعا ده خبر يدايق جدًا، بس سامحني يعني في السؤال ... إيه علاقتي بالموضوع ؟
- علاقة كبيرة ... انت الهدف من اللي حصل يا "كريم"

لم يرد "كريم" وظل يحدق في الطبيب بنفس النظرة؛ فدس الطبيب السيجار في المطفأة التي أمامه كأنه يقتله، ثم سحب نفسًا عميقًا ملاً به صدره، ثم أخذ يقص على "كريم" ما حدث، وما استنتجه من مشاهدته لشرائط الكاميرا، مع إغفاله الجزء الخاص بملفه الذي تم سحبه من المركز في "كندا"، ثم صمت وصمت "كريم" أيضاً وهو يحاول الاستيعاب قبل أن يقول كأنه يحدث نفسه:

- الفيلا اتسرفت، واللي سرقها كان هدفه الأساسي هو ملفات الحالات الطبية خصوصاً الملف

بتاعي ... صح ؟

- أيوه صح

أشار "كريم" إلى النادل :

- قهوة دبل لو سمحت

ثم التفت إلى الطبيب :

- السؤال هو ليه ؟ ... إيه الاستفادة اللي ممكن حد يحصل عليها من ملفي ؟

رفع الطبيب قده القهوة واحتساه كله كأنه يشرب زجاجة بيرة، ثم وضعه مجدداً على المنضدة :

- أنا طبيب أغلب مجال أبحاثي عن القدرات الخارقة، وأنا مش الوحيد اللي في مصر اللي بادور

على الحالات دي، وفي غيري مراكز كتير غير معلنة بتتمول من دول ثانية بتتهم بالأبحاث دي

ويتدور على أي حد ممكن يكون عنده قدرات استثنائية..

- برضه أنا مافهمتش ... ليه ؟

- يا "كريم" المراكز دي عبارة عن شويه جزارين مش أطباء، ليهم عيون في كل المستشفيات وهم

المسؤولين عن حاجات كتير بتحصل، زي تجارة الأعضاء الشرعية أو حتى غير الشرعية ..

قاطع "كريم" بدهشة:

- غير الشرعية !

- أيوه غير الشرعية، زي خطف أطفال الشوارع وتقطيعهم وبيع أعضائهم، وكل الحوادث اللي حصلت في مصر في آخر عشر سنين من خطف أطفال، أو حوادث قتل اتاخذ فيها من الضحية بعض أعضائه، وحتى عمليات اختطاف وقتل المتسللين من أفريقيا إلى سينا وسرقة أعضائهم، هما المسئولين عنها .

- طيب وده إيه علاقته بيا ؟

- انت بالنسبة ليهم السمكة الكبيرة، فإكر لما قلت لك إن هدي في هو إني أقدر في يوم إني أنقل القدرات الاستثنائية للناس العادية ؟ ... هما ليهم نفس الهدف لكن الطريقة مختلفة، أنا طريقي طريقة علمية من غير ما أسبب أذى لحد، لكن هما ممكن يشرحوك قطعة قطعة علشان يوصلوا للهدف ده.

مر في ذهن "كريم" ذكريات عن عم "عبده" الذي باع كليته، وخبر مذبحه "بني مزار"، وسرقة أعضاء الضحايا، وتجسد في ذهنه المشهد الذي يرقد فيه على منضدة تشريح وأحدهم يشرع في قطع جبهته، انتابه زعر بالغ وتراقص قلبه في صدره رقصة الموت؛ فراغت عيناه وهو يحاول التفكير؛ ثم أخذ نفساً عميقاً وهو يقول :

- ثواني ثواني ... أنا متأكد إن باقي الشهر ده، مستحيل حاجة تحصل فيه لأني راجعت برامج القنوات

قاطعته الطبيب بانفعال :

- انسى خالص موضوع الفيلم ده، ما تجازفش اعتماداً على حاجة مش مضمونة ..

- طيب اعمل إيه ؟

- حاول تختفي الفترة دي، تقلل خروجك على الأقل، وخلي تنقلاتك بتاكسي من العادي، وماتركبش تاكسي نضيف؛ لأنهم مش هايفكروا في ده، لو تعرف تسافر سافر.

- أنا كتب كتايي يوم 29 الجاي يا دكتور، ومستحيل أجمله لأي سبب

- يبقى تقلل خروجك إلا لسبب مهم، وغير نمره تليفونك، وابقى ابعتالي على الرقم ده

ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة مدون عليها رقم هاتف محمول.

- ماتكلمنيش تاني على رقمي؛ لأنهم ممكن يكونوا مراقبينه

اتسعت عينا "كريم" في دهشة :

- يراقبوا تليفونك ! ... هما واصلين للدرجة دي

لوح الطيب بيده:

- أكثر مما تتخيل، دول واصلين لناس كبيرة في الوزارات ... أو مال انت فاكّر الطرمخة على كل

الحوادث اللي حصلت دي، ودايما الجاني بيبقى مختل عقليا جت إزاي غير بالرشاوي وسيطرتهم

على قيادات عليا؟! .

ثم قام الطيب وهو يللمم أشياءه بعصبية؛ حتى أن هاتفه سقط على الأرض فأنحنى والتقطه، ثم أشار إلى

النادل وهو يقول:

- امشي دلوقت، ومش هنتقابل لحد ما أتأكد إن الموضوع هدى، وماتنساش تبعلي رقمك الجديد

على الرقم اللي إدتهولك.

ثم اتجه ناحية النادل ونقده الحساب وانصرف على الفور تاركا "كريم" وحده والخوف يأكله، لحظات وقام

من مكانه، وبخطوات تائهة استقل السلم الكهربائي إلى أسفل، وظل يسير ببطء حتى وصل إلى سيارته

وعقله مشغول بما قاله الطيب، والخطر الذي لاح فجأة في الأفق، مشغول لدرجة أنه لم يهتم بأن جراج

المول التجاري كان خاليا من أي شخص إلا شخصا واحداً ممشوق القوام ويرتدى حلة رسمية أنيقة، ويسير

بخطوات هادئة وراء "كريم" على مسافة خمسين متراً ..

فتح "كريم" باب السيارة وجلس خلف مقود السيارة، سمع صوت الهاتف معلنا وصول رسالة نصية من

رقم غريب؛ فتحها فلم يجد سوى كلمة واحدة " Run "، نظر إليها بدهشة ثم انتفض عندما أته

طرقات خفيفة على زجاج النافذة؛ فالتفت ليجد شخصاً أبيض اللون شعره أسود وعيناه زرقاوين، ويضع

يده اليمنى داخل جيب بنطاله و يتطلع إليه بنظرات ود كأنه يعرفه؛ ففتح "كريم" باب السيارة وهو يتطلع إلى الشخص ويسأله:

- أفندم؟

- MR. Kareem?

قالها بلهجة أجنبية خالصة فرد عليه "كريم" على الفور :

- Yes ... Can I help you ?

اتسعت ابتسامة الرجل وهو يرد ويومئ برأسه إيماءة خفيفة:

- Indeed

وفي حركة خاطفة أخرج الرجل يده من جيبه وهي حاملة جهاز صاعق صغير، ومد يده ناحية عنق "كريم" الذي مال برأسه فجأة كأنه مدرب على ذلك، وتحاشا الصاعق ثم أدار جذعه وأمسك يد الرجل بيده اليسرى، ورفع يده اليمنى التي تحمل مفاتيحه الشخصية وغرز أحدهم في راحة يد الرجل الذي صرخ بألم عندما قام "كريم" بإدارة المفتاح داخل راحة يده وسالت دماؤه على باب السيارة، ولكن الرجل تماسك ومد يده اليسرى والتقط الصاعق - قبل أن يسقط على الأرض - وغرز أطرافه في فخذ "كريم" وأطلق شحنة كهربائية فيه؛ فصرخ "كريم" وأفلت يده، وعلى الفور رفع الرجل الصاعق ووجهه إلى رقبة "كريم"، وظل يطلق شحناته الكهربائية فيه والأخير ينتفض بشدة؛ حتى سال الزبد من فمه وسقط مغشياً عليه، ألقى الرجل الصاعق على الأريكة الخلفية، ثم أزاح "كريم" إلى المقعد الجانبي وجلس خلف مقود السيارة، وأخرج منديلاً ووضع على كفه الذي ينزف للحظات وهو يجز على أسنانه من الألم، ثم أخرج هاتفه وأجرى مكاملة، ولم ينطق سوى بكلمة واحدة:

- Done

ثم أغلق الهاتف وأدار السيارة بمفتاح "كريم"؛ ثم انطلق إلى مخرج المول، و "كريم" بجانبه فاقد الوعي

وعلى وشك أن يفقد كل شيء آخر .

في الثامنة مساءً في منزل "تقى" نظرت والدة "كريم" إلى ساعتها فقامت وهي تستأذنها في الانصراف لتأخر الوقت وهي تقول لـ"تقى" ووالدتها:

- والله قعدتكم ما يتشبعش منها ... بس لازم امشي

فقال لها "تقى" برجاء:

- طيب ما تخليك شويه ... ده لسه بدري

- بدري من عمرك يا بنتي

- طيب حتى كلمي "كريم" يوصلك

- لو كان فاضي كان كلمني ... سلام عليكم.

فقامت والدة "تقى" وصافحتها وأوصلتها و"تقى" إلى الباب ووالدة "تقى" تقول لها :

- كلمينا أول ما توصلي علشان نتطمئن عليك

- أكيد إن شاء الله.

عادت "تقى" إلى غرفتها، وحاولت الاتصال برقم "كريم" فوجدته مغلقاً؛ فوضعت هاتفها على التسريحة وأمسكت بحقيبة الكمبيوتر المحمول وأخرجته وفتحته، وانتظرت قليلاً حتى انتهى نظام التشغيل من البدء؛ فوجدت صورة لها موضوعة خلفية لسطح المكتب، فتمتمت

- حاطط لي صورتي ... طيب حط صورتك انت يا فالخ ؟

فتحت تقسيمات القرص الصلب فوجدته بأسماء غريبة، نظرة أخرى كانت كفيلة بأن تعرف أن هذا الجهاز لـ"كريم" وليس لها، قامت إلى هاتفها مرة أخرى وحاولت الاتصال به حتى تخبره بذلك؛ فوجدت هاتفه مغلقاً كما هو، تملكها فضول "باندورا" حينما لم تستطع مقاومة رؤية ما في الصندوق الذي أهداه إليها "زيوس"، فجلست تتجول في القرص الصلب فوجدت فولدر باسم (فيديوهاى) فتحتها وبدأت في مشاهدة الفيديوهات التي سجلها "كريم" لنفسه والدهشة تتوغل بداخلها؛ حتى سيطرت على كيانها كله.

- "كريم عبدالله عبدالمجيد"، قدرات استثنائية متنوعة (استبصار، تحريك عن بعد) ... كلام فارغ

ثم صوت اصطدام خفيف على شيء معدني، كأن الرجل قد ألقى الملف وهو يكمل :

- انت لسه ماتعرفش حاجة عن قدراتك الحقيقية يا "كريم"، في جزء ثاني مكتوب فيه إن "أنسجتك

العضلية تشبه في تكوينها أنسجة عضلة القلب، والأنسجة العضلية البيضاء اللاإرادية"، طبعاً

ماحدش قالك ده معناه إيه؟

- عندي ملف قديم جداً هنا لواحد اسمه : "عبدالله عبدالمجيد محمود"، اعتقد إنه أبوك، مكتوب إنه

هرب من حوالي 35 سنة قبل التجارب ما تكمل.

ثم تأوه "كريم" بألم؛ عندما شعر بإبرة محقن تنغرز في ذراعه الأيسر والرجل يُكمل :

- نام دلوقتٍ وهانبداً بكرة .

ثم أردف ساخراً :

- بس اوعى تكون شقي زي أبوك.

أحس "كريم" بالسائل يجري في دمائه، وبسحابة كثيفة تغلف عقله، و لم يسمع أي شيء بعدها وسقط في

تُبات عميق ..

"23 أغسطس 2008"

اكتظت صالة الشقة ببعض الأقارب والجيران يواسون والدة "كريم" التي جلست تبكي وبجانها جلست

"تقى" تربت على ظهرها ودموعها تترقق في عينيها هي الأخرى؛ في حين وقف أمامهم ضابط شرطة

يسألهم أسئلة روتينية عما حدث وعن أي خيط قد يُوصلهم إلى سبب الاختطاف وقد سأل "تقى" في نهاية

الأمر :

- طيب في أي حاجة نخصه ممكن تبقى خيط نمشي وراه ؟

هل تُقدم الكمبيوتر إلى الضابط أم لا، وهل إذا قدمته سيتعامل مع الأمر بجدية أم سيظن أن "كريم" مجنوناً يعاني من خلل في عقله، ظلت تلك الأسئلة تعصف بعقل "تقى" طوال اليومين الماضيين بلا هوادة، هالها ما شاهدته في التسجيلات التي كان "كريم" يحتفظ بها على حاسبه، صدقته وآمنت بما قال، هي تعرفه جيداً، تحبه وتعشقه وتحشى عليه، ولكن شيئاً ما منعها من تقديم ما لديها لمُسئولي التحقيق، فمدت يدها وضمت حقيبة الكمبيوتر المحمول الخاص بـ"كريم" وهي متوترة :

- لا لا مفيش.

أكمل الضابط التحدث مع "تقى"، ثم جاءته مكالمة؛ فتنحى جانبا يستمع للمتحدث؛ ثم أنهى المكالمة وقال لأحد رفاقه :

- لقوا عربية "كريم" ده على الدائري وفيها دم.

سمعت والدة "كريم" ما قاله الضابط؛ فانفجرت في البكاء، وتساقط الدمع من عيني "تقى" وصوت يتردد في أذنها ... قد تحققت النبوءة

في ذلك الوقت كانت سيارة الشرطة تقف أمام العمارة التي يقطن فيها "كريم"، وأمام السيارة كان ضابطان يقفان فلمح أحدهم "سيد" جار "كريم" يتجه إلى مدخل العمارة، فأشار الضابط إليه وهو يحدث زميله:

- شوف الواد المتني ده

ثم اعتدل وأشار بيده لـ "سيد" أن يأتي

- تعالى هنا يالاً

فتقدم "سيد" نحوه بتوتر، ثم صرخ في ألم عندما جذبته الضابط من القرب الذي يضعه في أذنه

- إبه يا ابني العلوقية اللي انت فيها دي !! حاطط لي حلق في ودنك، وداهن لي نص شعرك بني

ونصه إسود!! أنت بسكلته يالاً!!؟

قالها ثم ترك أذنه فتحسسها "سيد" بألم، وهو يقول بصوت ممزوج بتأوه :

- بسكلتة إزاي ؟

صفعه الضابط على قفاه :

- وكمان مش عارف يعني إيه بسكلتة؟! انت رايح فين يالاً ؟

أشار "سيد" إلى العمارة.

- أنا ساكن في العمارة دي

- طيب اطلع يا روح أمك، بس اعمل حسابك إني لو شوفتك بالمنظر ده تاني هاركبك ... ابقى

استرجل شويه يا حبيبي .

قالها وهو يدفعه في صدره فانطلق "سيد" بخطوات مسرعة بإرتباك؛ حتى دخل العمارة ووقف أمام باب المصعد وضغط زر الاستدعاء وانتظر قليلاً وهو يلتفت بتوتر إلى الضابط الذي أشار له إشارة بديئة، وما أن نزل المصعد حتى دخله "سيد" بسرعة، وضغط زر الصعود، لحظات قليلة كان قد وصل إلى الدور الذي يقطن فيه هو و"كريم" فخرج ووجد ضابطاً يقف أمام شقة "كريم" يتحدث في الهاتف، فمر من جانبه، وقبل أن يصل إلى شقته اهتز هاتفه المحمول معلناً عن اتصال قادم، تبعها صوت النغمة التي يضعها " في كلامي هقول ديليسبس ... هي دي كلمة السر ... ديليسبس "، فالتفت الضابط إليه بنظرة إستنكار رد عليها "سيد" بابتسامة لزجة وهو يقول:

- آسف ... الرنة بتاعتي .

الظلام

"نفس اليوم"

حجرة متوسطة الحجم في منتصفها فراش طبي عليه "كريم" وهو مقيد بشدة من قدميه ويديه وعنقه وعيناه معصوبتان، وتتصل برأسه ووجنتيه وجبهته وذقنه وأنفه أقطاب عدة كلها مثبتة بشرائط لاصقة، والأقطاب موصولة بجهازين يوضحان قياس حركة عضلات الوجه وقياس الموجات الدماغية .

وبجانب الفراش - وعلى مقعد صغير - جلس رجل أبيض البشرة متوسط القامة أسود الشعر مع بعض الشيب الذي بدأ في غزو الجانبين ويرتدي معطفًا طبيًا، ظل الطبيب يتابع جهاز قياس نشاط الموجات الدماغية بصبر كأنه قد تعود على ذلك، كان الجهاز يعرض موجات تعلوا وتذبذب في رتابة قرابة الساعة، والطبيب كما هو لا يتحرك؛ حتى تغيرت الموجات وأصبحت ذات سعة منخفضة وسريعة؛ فقام الطبيب بهدوء، واتجه صوب هاتف داخلي ورفع السماعة وهو ينظر إلى كاميرا موضوعة في أعلى الحائط المواجه للفراش:

- دخل في مرحلة (REM sleep) ... أبدأ؟

ثم انتظر قليلاً يستمع للطرف الآخر:

Ok -

ثم أغلق السماعة، واتجه ناحية ثلاجة صغيرة بجانب الهاتف، وأحضر منها وعاءً شفافاً مملوءاً بماء تطفو عليه قطع من الثلج، ثم سار ببطء ناحية "كريم" وسكب الماء المثلج على رأسه؛ فانتفض "كريم" بذعر وهو يشهق من الصدمة ويفتح فمه ويغلقه مراراً؛ في حين عاد الطبيب إلى مقعده ووضع إحدى قدميه على الأخرى، وانتظر حتى انتهى "كريم" من الانتفاض، ثم سأله بهدوء مستفز:

- حلمت بإيه؟

ظل "كريم" يحرك رأسه يمنة ويسرة بتوتر وخوف - في الحيز الذي يسمح به قيد عنقه - دون أن يجيب؛ فأعاد الطبيب السؤال مرة أخرى:

- حلمت بإيه يا "كريم" ؟

- أنا فين ؟

قالها بخوف؛ فرد عليه الطبيب بهدوء :

- "كريم" ... خرينا نتجاوز شغل الأفلام العربي ده وتعاون معايا، انسى خالص الأسئلة الساذجة

من نوعية أنا فين، وهاتعملوا فيا إيه، خرينا نكبر شويه.

ثم قرب المقعد من الفراش وهو يكمل:

- وعلشان نقرب من بعض شويه أحب أعرفك بنفسي، أنا دكتور "شادي" ممكن تقول لي "شادي"

على طول ... المهم بقى حلمت بإيه ؟

استكان "كريم" أخيراً، وتوقف عن الحركة وهو يتنفس ببطء ويقول بتهالك:

- ربح نفسك ... أنا من بعد الغيبوبة اللي دخلت فيها وفقدت قدراتي وأنا مش بحلم ؟

مال عليه الطبيب "شادي" باهتمام متسائلاً :

- يعني إيه مش بتحلم ؟

- مش بحلم يعني مش بحلم ... نوم إسود من غير أي حاجة كإني في غيبوبة

هز الطبيب "شادي" رأسه ببطء ثم أردف:

- جميل !

مد يده إلى طاولة معدنية صغيرة بجانب الفراش، وأحضر منها محقنا وبدون مقدمات غرسه في ذراع "كريم"

الذي تأوه للحظات قبل أن يسقط مجدداً في ثباته، وأخرج الطبيب "شادي" من جيب معطفه مسجلاً

صغيراً وبدأ تشغيله:

" من الواضح إن الحالة "كريم عبدالله عبدالمجيد " حصلت له إصابة في الفص الجداري من المخ بسبب السكتة الدماغية المؤقتة، والتي كان أثرها هو عدم قدرته على رؤية الأحلام، وفقدان قدراته الاستثنائية ... التاريخ 23/08/2008 الساعة 7 ونص مساءً "

ضغط زر إنهاء التسجيل، وأعاد المسجل إلى جيب معطفه، ثم ربت برفق على كتف "كريم" النائم وهو يقول بخفوت :

- بكرة نبقي نكمل.

"26 أغسطس 2008"

بعد ثلاثة أيام ..

وقف الطبيب "شادي" للحظات أمام جسد "كريم" وهو ممسك بالوعاء الشفاف، وما أن تغيرت الموجات الدماغية التي يظهرها الجهاز إلى موجات ذات سعة منخفضة وسريعة؛ حتى سكب ما بالوعاء من ماء مثلج على رأس "كريم" الذي انتفض صارخًا وهو يشهق بعنف من الصدمة ثم هتف بعنف:

- يا ابن الكلب .

جلس الطبيب "شادي" على المقعد وهو يقول بهدوئه المستفز:

- تَو تَو تَو ... كده أزعل منك يا "كريم"، احنا ناس محترمة ومتعلمة والألفاظ دي ماتطلعش مننا

- انت إنسان مستفز

صرخ بها "كريم"؛ فضحك الطبيب :

- مش مهم رأيك في شخصيتي يا "كريم"، المهم تتعاون معايا علشان كلنا نستريح ... أنا هاعمل

معاك حاجة كويسة .

قالها، ثم قام وبدأ في نزع العصا الموضوعة على عيني "كريم" و عاد مجددًا إلى مقعده :

- علشان أثبت لك حسن نيتي، أدبني شيلت الرباط اللي على عينيك، ساعدني بقى انت كمان .

أغلق "كريم" عينيه بشدة عندما رأى النور فجأة بعد ظلام دام أيامًا، ثم بدأ في فتحهما مجددًا ببطء، حتى تعود على الإضاءة؛ فأخذ يتطلع إلى سقف الغرفة وأدار وجهه الذي نحل بشدة من اعتماده طوال الأيام الماضية على المحاليل الموصولة بجسده، ووجنتيه بارزتين وذقنه نامية، وظل يتأمل محتويات الغرفة، نفس الغرفة التي رآها في الرؤيا الظلامية، نفس الأحداث تسير كما قد قدر لها، تذكر الرؤيا الدموية التي تُقطع فيها جبهته فانقبض قلبه، وأيقن أنه سائر إلى نهايته لا محالة.

- رد علىَّ يا "كريم" ..

نظر إلى الطبيب "شادي" يتأمله ومشهد نزع أظفروه يمر في ذهنه، تنفس بعمق، وحاول تهدئة قلبه المتواثب في صدره، وفكر في أن النجاة قد تأتي من عدم استفزاز الطبيب وإظهار التعاون معه؛ فقال بتهالك وصوت منهدج يقطع أنفاسه المتقطعة :

- أساعدك إزاي ؟

- لازم تستعيد قدراتك يا "كريم"

لاحت ابتسامة ساخرة على طرف شفطي "كريم" وعقَّب:

- تفتكر لو الموضوع بإيدي كنت استنيت الوقت ده كله ؟

- أنا عارف إن طلبي مش سهل

ثم مال ووضع سبابته على جبهة "كريم" وأردف :

- لكن الحل الوحيد هنا يا "كريم"، في محك ... أنت الوحيد اللي تقدر تستعيد قدراتك

تنهد "كريم" في إرهاق:

- عايزني اعمل إيه وأنا اعمله ؟

- عايزك تضغط على مخك، عايزك تتمسك بفكرة تستفز خلايا مخك ... مش انت عايز تخرج لخطيبتك اللي اسمها ..

ثم قطب حاجبيه مفكرًا وهو يطرق بأصبعيه الإبهام والوسطى فرد "كريم"

- "تقى"

- أيوه "تقى"، مش انت بتحبها ؟ ... فكر إن تذكرتك الوحيدة للخروج والرجوع لحبيبتك هي استعادة قدراتك ... فكر في أمك وأصحابك وحياتك العادية.

ثم مد يده في جيب معطفه وأخرج هاتف "كريم" المحمول (I phone) وضغط زر فتحه فخرج من الهاتف رنين متواصل يشير إلى وصول رسائل نصية كثيرة فأكمل الطبيب "شادي":

- كل الناس اللي بتحبها، فكر في الناس القلقانة عليك، الناس اللي عمالة تبعت لك رسايل ونفسها تشوفك تاني ... فكر يا "كريم"

قطع حديثه صوت رنين الهاتف معلنا وجود اتصال فنظر الطبيب "شادي" إلى المتصل؛ فتهللت أساريره ووضع الهاتف في مواجهة وجه "كريم" وهو يقول بحماس :

- شوفت يا "كريم"، دي "تقى" حبيبتك لسه بتحاول تتصل بيك

ثم ضغط زر الرد وزر مكبر الصوت فخرج صوت "تقى" هاتفًا بقلق

- "كريم"، "كريم" ... انت فين يا "كريم" ؟

هم "كريم" أن يقول أي شيء، ولكن الطبيب ضغط زر إنهاء المكالمة، ثم أغلق الهاتف وأعادته إلى جيب المعطف وهو يقول:

- "تقى" يا "كريم" لسه مستنياك ولازم ترجع لها ... تمسك بالفكرة دي

ثم أردف ساخرًا :

- أو في فكرة تانية ... إني ممكن أجيبها لك هنا.

زام "كريم" في غضب، وحاول التخلص من قيوده، ثم بصق على وجه الطبيب وهو يقول بغضب:

- أو في فكرة أحسن ... إني أقتلك ؟

أخرج الطبيب منديلاً من جيبه، ومسح البصقة من على وجهه ببطء ثم قال بغضب :

- دي فكرة ممتازة برضه ... بس هتحتاج مساعدة مني علشان الفكرة تستقر في دماغك.

ثم مد يده إلى الطاولة المعدنية المجاورة للفراش وأمسك بمبضع جراحي، ويده الأخرى أمسك بالقميص الطبي الذي يرتديه "كريم" ومزق جزءاً منه بالمبضع حتى كشف صدر "كريم" ثم مرر المبضع عليه ببطء وهدوء محدثاً جرحاً قطعياً بطول منطقة الصدر وهو يبتسم كلما علت صرخات "كريم"؛ ثم قال بهدوء :

- مش انت نفسك تقتلني؟، حاول تحرك أي حاجة في الأوضة وخليها تقتلني ... ركز يا "كريم".

ظل "كريم" يتأوه ويتلوى بشدة؛ فرفع الطبيب المبضع مرة أخرى، وقبل أن يُحدث جرحاً جديداً أثاره صوت الهاتف الداخلي؛ فاتجه نحوه ورفع السماعة ينصت للمتكلم على الطرف الآخر، ثم وضع السماعة وعاد إلى جانب الفراش، وأمسك بالحقن بعدما أعاد المبضع مكانه، وغرز الحقن في ذراع "كريم" وهو يقول :

- كفاية كده النهار ... بكرة هابقي أديك سبب تاني لقتلي.

اندفع السائل المخدر في عروق "كريم" الذي سقط في ثباته مجدداً والدماء تنزف من الجرح وتغرق صدره وفراشه؛ فخرج الطبيب من الغرفة وأشار لأحد المساعدين :

- حد يبجي يشوف الجرح وينضف السرير.

فاندفع المساعد ومعه آخر إلى الغرفة، بينما انصرف الطبيب بخطوات بطيئة وهو يرفع كفه أمام وجهه ويفرك أصابعه ببعضها البعض ويتطلع إلى الدماء ... دماء "كريم" .

- والله العظيم يا ماما تليفون "كريم" افتتح امبارح بالليل شويه بس اتقفل بعديها على طول.

لم تيأس "تقى" من تكرار الاتصال برقم "كريم" طوال الوقت، منذ عرفت بخبر اختطافه، شيء ما في قلبها يخبرها أنه سيعود إليها لا محالة، حدس قوي يخبرها بأنها لن تفقده هكذا، لا تعلم هل حدسها صحيح أم أنه قشة أمل تحاول التمسك بها حتى لا تغرق في بحار الحزن والألم اللذين يعتملان في قلبها :

- ما تخافيش يا ماما ... "كريم" هيرجع أكيد.

أنهت المكالمة مع والددة "كريم" وجلست أمام الكمبيوتر الخاص بحبيبتها وهي تشاهد تسجيلاته مجددًا، توقفت كثيرًا عند الرؤيا التي يقص فيها "كريم" نشر جمجمته والدماء تتناثر وقلبها ينتفض خوفًا من مجرد تخيل المشهد ومن مجرد تخيل ما يحدث له الآن.

ظلت تشاهد التسجيلات حتى توقفت عند واحدة يحكي فيها عن الطبيب "ألبيير" وعن أنه يساعده على استرجاع قدراته، راودتها فكرة ففتحت موقع البحث "جوجل" وكتبت فيه "دكتور ألبيير عياد" وضغطت زر البحث؛ فأتتها نتائج عدة عن الكتاب الذي ألفه، وبعد قليل من البحث وجدت عنوان المركز الذي يديره، نظرت في ساعة الحائط فوجدتها في تمام الثانية عصرًا، ظلت تتأمل العنوان قليلاً حتى اكتملت الفكرة في رأسها؛ فأنت بقلم وكتبت في ورقة أمامها عنوان المركز، وقامت ترتدي ملابسها، ثم غادرت المنزل ووقفت أمام باب العمارة؛ حتى توقفت سيارة أجرة :

- العاشر من رمضان ؟

- اتفضلي يا أنسة

فتحت الباب الخلفي وجلست على الأريكة، وانطلق السائق إلى الوجهة التي أخبرته بها.

بعد ساعة ونصف كانت تطرق باب غرفة الطبيب "ألبيير" الذي كان في انتظارها، بعد أن أخبره حارس الأمن بھويتها فسمح لها بالدخول فدخلت، و قام هو بلهفة يجيها ويشير لها أن تجلس على المقعد المقابل لمكتبه، وجلس على مقعده :

- إيه اللي حصل ؟ ... وفين "كريم" ؟

قصت عليه بتوتر كل شيء بداية بغيابه المفاجيء؛ حتى خبر اختطافه، وتحقيق الشرطة، وسيارة "كريم" التي وجدوها على الدائري وبها بقع من الدم، ووجه الطبيب يمتقع رويدًا رويدًا ونظراته أصبحت ذاهلة مضطربة؛ حتى عندما انتهت "تقى" من الحديث ظل صامتًا وصدره يعلو ويهبط، ثم وضع يده على قلبه فخشيت أن يصاب بأزمة قلبية، ولكنه نظر إليها وسأها :

- انتِ قلتِ لي العربية بتاعته لاقوها على الدائري ... كانت في أنني إتجاه ؟

- كانت في الإتجاه اللي رايح (6 أكتوبر) ... إشمعني ؟

أغمض عينيه للحظات وهو يجز على أسنانه قبل أن يفتح عينيه ويقول ببطء وشروء :

- لا أبدا سؤال عادي ... بس أنا هحاول أوصل مكانه بأي طريقة.

ثم قام معلنا انتهاء الحوار؛ فقامت هي الأخرى :

- طيب أستأذن أنا يا دكتور

دار حول مكتبه وسبقها إلى باب الغرفة:

- لأ طبعاً، أنا لازم اوصلك لحد أقرب مكان على الأقل ... "كريم" زي ابني وأي حد يخصه يبقى يخصني.

همت أن تعترض؛ فأشار بيده وأردف:

- وده كلام نهائي ... ماتحاوليش

هزت كتفها في استسلام، وخرجت من الغرفة بعد أن فتحت بابها وخرج خلفها فأغلق الباب، وقبل أن يصل إلى المصعد قابله الطبيب "عماد"

- إيه يا دكتور "ألبيير" ... هاتمشي؟

- أيوه يا دكتور "عماد" عندي مشوار مهم

ثم أشار لـ"تقى" ثم للطبيب "عماد"

- دكتور "عماد" أقدم لك الآنسة "تقى" ... آنسة "تقى" ده دكتور "عماد"

هزت رأسها مرحة فرد عليها بالمثل، ثم التفت إلى الطبيب "ألبير" الذي تحرك نحو المصعد :

- لو في أي حاجة ضروري ابقى كلمني يا "عماد"

ظل واقفا مكانه؛ حتى تأكد من رحيل الطبيب "ألبير"؛ فأسرع إلى مكتبه وأحضر مفتاحًا صغيرًا ومسجلًا، وبخطى مسرعة توجه إلى غرفة الطبيب "ألبير" وأبدل المسجل الموجود تحت المكتب الخشبي بالآخر، ثم عاد إلى غرفته وأغلقها، وظل يسمع الحوار الذي دار بين "تقى" وبين الطبيب "ألبير"، ثم توقف عند الجزء الذي سأل فيه عن وجهة سيارة "كريم"، وعند إجابتها وهي تقول (6 أكتوبر)، أوقف المسجل وظل ينقر بأصبعه على المكتب وهو يفكر، ثم فتح الكمبيوتر الخاص به و استعرض صور ملفات تم سحبها بالماسح الضوئي؛ حتى توقف عند إحداها، ثم كبر الصفحة قليلاً، وضغط زر الطباعة وانتظر حتى خرجت الورقة من الطباعة، فأطبقتها ووضعها في جيب معطفه، ثم أخرج هاتفه وأرسل رسالة نصية إلى رقم ما، وقام من مكانه وأخذ يتحرك بعصبية في الغرفة ذهابًا ومجيئًا وعقله يخلق في مكان آخر.

"28 أغسطس 2008"

ترددت صرخات "كريم" في أرجاء الغرفة، والدماء تنفجر من ذراعه الأيمن بسبب الجرح القطعي الذي يحدثه الطبيب "شادي" فيه بالمبضع الجراحي:

- ياه يا "كريم" ... ده أنت متسامح أوي

أعاد المبضع مكانه، وجلس على المقعد، ووضع قدمًا على الأخرى وهو يلقي نظرة على جهاز قياس الموجات الدماغية، ثم عاد إلى "كريم" ويقول بجدوئه المعتاد :

- كل اللي عملته ده مش قادر يخليك تحفز خلايا مخك ؟ ... صدرك ودراعتك اليمين خلاص ما

بقاش فيهم مكان.

ظل "كريم" يفتح فمه ويغلقه بلا صوت؛ كأنه لا يستطيع التنفس وجسده ينتفض من الألم، وأكمل الطبيب حديثه :

- اللي أنا مستغرب له إن كثير من الناس العادية في حالات الخطر جسمهم الأثيري بينطلق علشان يحميهم، والمفروض واحد بقدراتك يكون أولى بحاجة زي دي، تلاقيك ما تعرفش يعني إيه الجسم الأثيري!

ثم أنزل قدمه ومال ناحية "كريم"، وشبَّك أصابعه وهو يكمل باهتمام كأنه محاضر يشرح لتلامذته :

- الجسم الأثيري ده يا "كريم" هو حالة الخروج من الجسد، الإنسان بيتكون من جزئين جزء مادي محدود، وجزء ثاني غير محدود، عايز تسميه الروح أو أي حاجة ثانية براحتك، المهم إن في حالات الخطر أحياناً الجسم الشفاف ده بيخرج من الجسد ويتحرك، وممكن يعمل أي حاجة؛ لدرجة إنه يقدر يتحد بأي مادة ثانية ويحركها، أو يستغيث بجد ثاني عن طريق حلم أو رسالة عقلية؛ علشان يحمي الجسد ... والمفروض إن جسمك الأثيري يتحرك بما إن جسدك في خطر.

ثم تفكر قليلاً وقال ببطء :

- أو ممكن يكون عقلك لسه مش مقتنع إن جسمك في خطر.

ثم أردف وهو يبتسم :

- وده يخليني أنتقل للجزء الممتع من وسائل الإقناع.

قالها ثم قام من مكانه؛ فنظر إليه "كريم" بنظرة غضب وغل وهو يتأوه، فهز الطبيب رأسه بسخرية وهو يقلد صوت "كريم" :

- انت ابن كلب، فانا هقول لك: عيب كده يا "كريم"، هتقول: انت إنسان مستفز، أقول لك : عادي جداً، هتقول: هقتلك، هقول لك: انت لسه مش مقتنع بفكرة قتلي ... خليني بقى أديك سبب مقنع.

وعلى الفور تحرك وسار بجانب السور من الداخل، حتى وصل إلى مصدر الكهرباء؛ ففتح غطاءه ومزق الأسلاك الداخلية فانطلقت أضواء المركز كله، اتجه بسرعة بعدها إلى أمام البوابة، وأخرج هاتفه وأجرى اتصالاً وهو ينظر إلى الجهة الأخرى؛ فتحرّكت سيارة مرسيدس من الجانب الآخر، ودارت حتى توقفت أمام البوابة، وفي الظلام الدامس رأى "مجدي" رجلاً ينزل من السيارة ويتجه بسرعة إلى الداخل، ويشير إليه أن ينتظر بجانب الكشك، ثم رآه يمسك بمطفأة حريق ويضعها أمام باب المركز الداخلي، وبعدها سمع صوت طلقات مكتومة و تأوهات من الداخل ... فأسند ظهره إلى الكشك وأشعل سيجارة وأخذ يطلق دخانها في الهواء باستمتاع.

تأوه "كريم" بألم وعيناه تدوران في محجريهما؛ فربت الطبيب "شادي" على وجنته بشدة وهو يقول :

- إوعى يغمى عليك يا "كريم" ... انت لسه عندك 9 صوابع كمان.

رفع الكمامة أمام وجهه وهو يبتسم، ومد يده يمسك بأصبع "كريم" الوسطى وقبل أن ينزعه انطلقت الأضواء فجأة؛ فاعتدل بتوتر وأعاد الكمامة إلى جيبه، وتوجه ناحية الباب :

- جايلك تاني ماتقلقش.

لم تكد تمر ثلاث دقائق حتى سمع "كريم" أصوات تأوهات خارج الغرفة، تبعها صوت فتح الباب ودخول شخص بخطوات ثقيلة، توترت عضلاته وازدادت توترًا؛ خاصة عندما شعر بيد تتحسس وضوء كشاف قوي يستقر على وجهه؛ مما دفعه إلى إغلاق عينيه بشدة وصوت يقول بتوتر:

- ولاد الكلب ... عملوا فيك إيه ؟

ثم شعر بالقادم يقطع قيوده بمديّة وهو يقول:

- ما تخافش يا "كريم"، أنا جاي علشان أخرجك.

دس القادم ورقة في يد "كريم"، وكشافا ضوئيا آخر، وأسند ظهره ورفع يده ووضعها على كتفه هو، وأسنده حتى خرجا من الغرفة ووقفا في الممر، ثم قال بخفوت :

- الورقة دي هاتوريك المخرج فين ... أخرج بسرعة، وهتلاقي واحد واقف بره هايركيبك في عربيتي ... أنا هاحصلك حالا بس محتاج أصور حاجات الأول.

قالها وانطلق إلى الجهة المعاكسة وترك "كريم" الذي سار ببطء وبخطى مترنحة بمحاذاة الحائط، وهو يقاوم الدوار العنيف والألم الذي يشعر به في ذراعه وصدرة، وعلى ضوء الكشاف أكمل سيره فارتطم بشيء على الأرض فسقط بجانبه في فرع وخوف؛ فوجه الكشاف ناحية الشيء فوجده رجلاً فاقداً الوعي يرتدي معطفًا طبيًا وهناك رصاصة زجاجية تستقر في رقبته.

أسند "كريم" ذراعه إلى الحائط، وقام مجددًا وأكمل سيره؛ فرأى طبيين آخرين فاقدى الوعي على الأرض؛ فتحاشى الارتطام بهما، وقبل أن ينتقل للممر الثاني تنهى إلى مسامعه صوت الطبيب "شادي" وهو يهتف بأحدهم أن يبحث عنه، تبعها صوت خطوات سريعة تقترب منه؛ فدخل إلى أول غرفة قابلته واختبأ فيها.

سمع صوت الخطوات تقف أمام غرفته، والطبيب "شادي" يأمر أحدهم بأن يبحث في الممر الآخر.

خاف "كريم" أن يدخل إلى الغرفة ويراه فسلط الضوء في الغرفة؛ فرأى طاولات متراسة بالطول وعليها أجساد مغطاة بغطاء بلاستيكي؛ تملكه الذعر وهو يسير بين الطاومات؛ حتى رأى واحدة خالية فنام عليها وغطى جسده بغطائها البلاستيكي، وأطفا الكشاف، كتم أنفاسه عندما سمع بعدها صوت دفع باب الغرفة وأحدهم يسير بخطوات بطيئة عرف أنها للطبيب "شادي" عندما تكلم:

- طيب يا "كريم" لما تستخي في حنة لازم تقفل بابها الأول علشان ما أعرفش إنك هنا!

سار الطبيب ببطء وسط الغرفة على ضوء هاتفه المحمول، وظل ينظر إلى الطاومات ثم تناول سكينًا كبيرًا يستخدم في تقطيع أجساد الموتى وغرزه في صدر إحدى الجثث وأردف :

- الإنسان ده عجيب أوي يا "كريم"، يبقى بيكبر ويحلم ويتألم ... وفجأة :

أدار السكين في الجثة ونزعه وأكمل سيره:

- يبقى مجرد جماد مكون من لحم وعضلات من غير أي أحاسيس ... تفتكر ساعتها مين أولى بيه الأرض ولا العلم؟
- الناس الجهلة هتقول الأرض أولى بيه لكن أنا بقاؤك لأ يا "كريم" ... الأفضل إننا نستفيد بالأجساد دي في الأبحاث
- زمان كان الأطباء بيسرقوا الجثث علشان يقدرُوا يشرحوها؛ لحد ما تم تقنين الأمر ده، تفتكر لو الأمر فضل مُحرم كنا هانوصل لعلاج الأمراض اللي وصلنا ليها؟

ثم غرز السكين في ساق جثة أخرى وأردف:

- بس الناس مش هتفهم التضحيات دي إلا لما تشوف النتيجة.

مع كل صوت يصدره غرز السكين في إحدى الجثث كان جسد "كريم" يرتعد بخوف وهو يحاول أن يكتفم أنفاسه؛ حتى لا يسمعه الطبيب، وفجأة خيم على المكان صمت تام لمدة دقيقة تبعها صوت ابتعاد الخطوات؛ ثم فتح الباب وغلقه مجددًا، انتظر "كريم" دقيقة ثم بحركة متوترة عدّل ظهره، وحاول إنزال قدميه ببطء وهو يشغل الكشاف فتعثر وسقط على جانب المنضدة، وسقط بجانبه شيء آخر من فوق المنضدة المجاورة، فالتفت ليجد شخصًا ميتًا له نصف رأس مقطوعة رأسيًا وقد اختفى مخه، كادت تفلت منه صيحة فزع؛ فوضع كفه على فمه يكتمها، ثم قام وهو يقاوم الغثيان ويمنع نفسه من التقيؤ، وسار بخطى مترنحة وما أن وصل إلى منتصف الغرفة؛ حتى عادت الأضواء للعمل؛ فأغلق عينيه من الصدمة وفتحها مجددًا فتراجع في ذعر عندما وجد الطبيب "شادي" على مقربة منه، ويمسك سكينًا ضخماً ويبتسم:

- إيه رأيك يا "كريم" في فيلم الرعب ده !!!؟

تراجع "كريم" قليلاً حتى اصطدم بطاولة معدنية؛ فالتفت إليها بتوتر؛ فوجد عليها مبضعا جراحيا فأمسكه بيده اليمنى، ورفعها أمام وجهه وأخذ يلوح به وجسده يترنح؛ فاقترب منه الطبيب بنفس الهدوء والابتسام بخطوات بطيئة، - وهو ممسك بالسكين بيده اليمنى ويرخيها بجانب جسده - :

- ما تخافش يا "كريم" أنا مش هاققتلك ... أنا لسه محتاج عقلك.

ثم قطع المسافة الباقية بسرعة وهجم بغتة وهو يرفع السكين إلى أعلى وهو يقول :

- بس مش جسمك كله.

نزل بالسكين بسرعة باتجاه كتف "كريم" الذي رفع يده اليسرى مدافعا عن نفسه فأصابت السكين أصبع الخنصر فقطعته، وفي سرعة مرونة غريبة أمال "كريم" جزعه كأنه استعاد نشاطه فجأة، و دار دورة جانبية ثم وجه المبضع إلى رقبة الطيب فقطع وريده الذي انفجرت منه نافورة دماء؛ أمسك الطيب رقبته بعد أن أسقط السكين وسقط هو الآخر، ونظره مثبت بدهشة وذهول إلى "كريم" الذي جلس على صدره وقرب وجهه إلى وجه الطيب وقال بإرهاق وغل:

- قلت لك إني هاققتلك

خرجت الدماء من فم الطيب وقال بصوت محشرج :

- هو ده قصدي إن أنسجتك العضلية شبه أنسجة عضلة القلب.

لم يلتفت "كريم" إلى ما قاله الطيب، ورفع المبضع ثم طعنه في حنجرتة وظل يكرر ذلك عدة مرات؛ حتى تطايرت الدماء وغطت وجهه وصدره، ثم توقف وهو ينهج بشدة :

ألقى المبضع جانبا ورفع ذراعه يستند إلى طاولة بجانبه وقام ثم بصق على بقايا وجه جثة الطيب، ومسح الدماء من عينيه، وخرج من الغرفة متترنحا.

ظل يسير على الخريطة المرسومة في الورقة التي أعطاها له منقذه؛ حتى تراءت له بوابة المركز الداخلية؛ فتوجه نحوها وقبل أن يصل إليها ببضعة أمتار انتصر عليه الدوار أخيراً فسقط مغشياً عليه.

في الخارج - وأمام البوابة الرئيسية - كان "مجدي" يقف وهو يسند كوعه إلى مقدمة السيارة؛ فلما شعر أن الوقت قد طال اقترب من نافذة السيارة وهو يقول :

- يا باشا الوقت طَوَّل أوي.

فأناه صوت من بالسيارة بتوتر:

- مش عارف يا "مجدي"، هما كده شغلوا مولد الكهرا ومش عارف هو أخذ الوقت ده كله ليه ...
خد مسدسك وبص بصة كده يا "مجدي".

على الفور اندفع "مجدي" - وهو يغطي وجهه بغطاء الرأس - وما أن اجتاز البوابة الرئيسية؛ حتى شاهد "كريم" وهو يسقط على الأرض؛ فاندفع بسرعة ودخل إلى المركز، وقبل أن يحمل "كريم" وجد طبيباً يخرج من أحد الممرات الجانبية؛ فأطلق عليه "مجدي" بسرعة طلقة استقرت في عينه اليمنى وفجرت دماءها؛ ثم حمل "كريم" على كتفه وركض نحو السيارة وفتح بابها الخلفي وألقى جسد "كريم" بالداخل؛ ثم أغلق الباب ودار حول السيارة وركب في المقعد المجاور لقائد السيارة، التي انطلقت على الفور و"مجدي" يقول :

- والله يا باشا كان المفروض نفجر المكان ونبقى ماشيين كده والنار طالعة من المبنى ورانا.

بعد ساعتين كانت السيارة تجتاز مدخل البوابة الرئيسية لمستشفى "عين شمس" التخصصي ثم توقفت، والتفت قائد السيارة إلى "مجدي" :

- عايزك تشيل "كريم" لحد جوه، وأول ما ينشغلوا بيه تخرج بسرعة من غير ما أي حد ياخذ منك أي تفاصيل.

ثم أعطاه حقيبة يد صغيرة :

- ودي الحاجات بتاعة "كريم" اللي لقيتها جوه، بطاقته وموبايله ... كل حاجة تخصه يعني ...
تسيبها جوه وتيجي على طول وأنا هستناك.

على الفور اختطف "مجدي" الحقيبة ونزل وحمل جسد "كريم" واتجه إلى الداخل وهو يصرخ بالأطباء :

- حد يلحقنا ... الراجل هايموت.

اندفع الممرضون بعربة طبية، ووضعوا جسد "كريم" عليها، ودفعوها إلى الداخل فتأخر عنهم "مجدي" قليلاً، ووضع الحقيبة على أحد المقاعد ثم تسلل إلى الخارج حتى وصل إلى السيارة؛ فقفز إلى داخلها .
وعلى الفور انطلقت السيارة إلى الخارج، ثم توقفت على مسافة قريبة، ومد قائدها يده إلى التابلوه وأخرج رزمة من المال، وهم أن يعطيها لـ"مجدي" الذي رد يد قائد السيارة مستنكراً :

- علىّ الطلاق أبداً ... ده انت بتعمل خير يا باشا وكفاية الخير اللي جالي من المرة اللي فاتت.

ثم فتح باب السيارة ونزل، وقبل أن ينصرف عاد ومال ناحية نافذة السيارة ومد يده يصافح من بالداخل :

- مش هنتعرف بقى يا باشا ؟

تبسم من بداخل السيارة وهو يصافح "مجدي" ويشد على يده:

- اسمي "عماد" ... دكتور "عماد مسيحة"

القرار

"29 أغسطس 2008"

- "كريم" ... "كريم"

صوت قادم من بئر سحيق ظل يتردد في رأسه، صوت انتزعه من ثباته، تجمعت كوابيس الكون كله وتجسدت في ذهنه، لم يستطع الهرب، لم يستطع الخروج، والآن سينتقموا منه شر انتقام لما فعله في طبيعهم "شادي"

- "كريم" ... قوم يا "كريم"

يد تُوضع على كتفه جعلته يتذكر ما كان يفعله به الطبيب الذي قتله، استعاد عقله نشاطه؛ فانتفض فجأة وأمسك اليد التي على كتفه وعدل ظهره - وهو يصيح خوفاً - فأتاه صوت رقيق عذب:

- "كريم" ... ماتخافش يا حبيبي.

تلقت حوله بذعر وقلبه ينتفض في صدره؛ فوجد نفسه في غرفة طبية مغايرة للتي كان فيها، وعلى جانبه وجد "تقى" دامعة العينين، وهي تمسح على شعره حتى يهدأ، فظل يتأملها بخوف، ثم مد يده يتحسس وجهها برفق - كأنه يتأكد أنها حقيقية وليس خيالاً صنعه عقله - ثم أفلت يدها وأراح ظهره مجدداً ولم يعقب؛ فمدت يدها تتحسس الضمادات التي على صدره وذراعه؛ ثم قالت بجزع وهي تنظر إلى يده ذات الأصبع المفقود :

- هم عملوا فيك إيه يا حبيبي!!؟

أشاح بوجهه للناحية الأخرى، وقد أفلتت دموع من عينيه وهو يتذكر ما لاقاه طوال الأيام الماضية، تذكر الطبيب وهو يُقَطِّع في صدره وذراعه، تذكره وهو ينتزع أظفره، ثم وهو يقطع أصبعه، وأخيراً تذكر منظر الطبيب بجنجرتة الممزقة والدماء من حولها، ظل هكذا للحظات قبل أن ينظر إليها مجدداً ويسألها السؤال الكوني:

- أنا فين ؟

مدت أناملها الرقيقة تمسح دموع عينيه، وقالت برفق وحنان :

- انت في مستشفى "عين شمس" التخصصي، حد جابك هنا امبارح وساب موبايلك وكل حاجاتك ومشى، ولما فتحوا الموبايل كنت أنا بتصل، وعرفت منهم إنك هنا.

ثم أجهشت بالبكاء، وأردفت من وسط دموعها :

- طول الفترة اللي فاتت كنت دايما بتصل على رقمك ... كنت عارفة إنك مش هاتسييني بالطريقة دي

- حد برضه يموت ويسيب روحه زعلانه !!؟

قالها بتهالك وهو يمد أنامله يتحسس وجهها ويحاول التبسم؛ فكفكفت دموعها وأمسكت بيده وقبلتها:

- بعد الشر عنك يا حبيبي.

ترك كفه في يدها باستسلام وهو يقول بحنان:

- لو كنت أعرف إني هاسمع الكلام الحلو ده منك، وهاشوف لهفتك علىّ لما اتخطف، كنت خليتهم يخطفوني من زمان.

رفعت راحة يده إلى شفيتها وقبلتها مرة أخرى، ثم أمسكتها بكلتا يديها:

- لو ماكنتش اتخطفت كان زمان النهاردة بنكتب كتابنا ... احنا في يوم 29 يا حبيبي

- والله حاسس إن في حد باصص لنا في الجوازة دي، المرة اللي فاتت عمك مات قبلها والمرة دي اتخطفت ... بالشكل ده ممكن المرة الجاية تحصل حرب.

- مهما حصل مش هاتخلي عنك أبدا.

التفت إلى كفه الأيسر ذو الأصبع المقطوع وقال بألم :

- حتى بعد اللي حصل لي ده ؟

- ولو مابقاش منك حاجة، برضه مش هاتجهوز غيرك .

لم يشعر برغبة في أن يستمر في ذلك الحوار؛ فتلفت بنظره في الغرفة وسألها مغيراً مجرى الحديث :

- فين ماما ؟

تفهمت رغبته فردت عليه بسرعة :

- أول ما عرفت مكانك كلمت مامتك وقتلتها، بس ما قدرتش استني وجيت جري لوحدي

ثم أردفت بلهجة ذات معنى :

- وكمان كلمت دكتور "ألير"

نظر إليها بدهشة؛ فربتت على كفه :

- أنا شوفت الفيديوهات اللي سجلتها لنفسك ... ليه ما قولتليش قبل كده يا "كريم" ؟

- ماكنتيش هتفهمي اللي بيحصل لي يا "تقى" ... كنتي هتفتكريني مجنون

- كنت هاصدقك، عارف ليه ... علشان والله العظيم بجبك

سالت الدموع من عينيه، وشعر بقبضة تعتصر قلبه ألماً وحرناً :

- عارفة أكثر حاجة كنت بفكر فيها وأنا مخطوف إيه ؟، انت ... وعارفة أكثر حاجة كنت خايف

منها؟، إني ما أقدرش أشوفك تاني.

- بس أنا كنت متأكد إني هاشوفك تاني.

ثم قالت مداعبة :

- بس أنا كده فهمت أخيراً انت عرفت إزاي الأكل اللي أنا بجهه لما كنا في المطعم

- وأكد فهمتي أنا ليه حبيتك أول ما إيدي لمست إيدك في أول مرة شوفتك فيها

- لما طلبت تحطبي ؟ ... والله ساعتها افتكرتك مجنون

- مش بقول لك.

قبل أن ترد، قاطعهم صبيحة فرح من عند باب الغرفة :

- "كريم"

التفت فوجدتها أمه التي قالتها واندفعت بفرح، واحتضنته بشدة؛ فتأوه بألم عندما ضغطت على صدره؛ فتركته وأخذت تتحسس الضمادات بأناملها، ثم ندت منها صبيحة جزع ووضعت كفها على فمها وهي تنظر بذهول وحزن إلى كفه وأصبعه المقطوع؛ ثم انخرطت في البكاء وهي تضم رأس ابنها وتنهال عليه بالقبلات ودموعها تبلل وجهه:

- حمدًا لله على سلامتك يا حبيبي ... حمدًا لله على السلامة

تحسس وجهها برفق، ثم ربت على كفها مطمئنًا :

- خلاص يا أمي أنا رجعت أهه ... بطّلي عياط بقى

- الحمد لله، الحمد لله

- فى ظابط هنا عايز يكلمك يا أستاذ "كريم".

جاءهم الصوت من خلفهم؛ فالتفتوا ناحيته فوجدوا فتاة ترتدي زي الممرضات وتقف عند الباب، وقبل أن يرد أحدهم أزاحها برفق أحد الضباط يتبعه شخص آخر؛ ثم تقدم الضابط وجذب مقعدًا وجلس بجانب الفراش :

- أستاذ "كريم"، أنا الطابط المسئول عن التحقيق في واقعة اختطافك ... أظن إن الحاجة والآنسة

"تقى" عارفي.

ثم نظر إلى "تقى" ووالدة "كريم" وهو يتسم، فأومأت كلتاها برأسيهما إيجابًا؛ فعاد إلى "كريم" وأردف :

- أنا عارف إنك تعبان جدًا، بس لازم أعرف منك كل حاجة علشان نقدر نوصل للجاني.

أوماً "كريم" برأسه متفهّمًا، والتفت الضابط إلى الباقيين :

- بس بعد إذنكم ياريت تستنوا بره الأوضة شويه؛ علشان نعرف نتكلم :

- أكيد طبعاً ... يالاً يا ماما

قالتها "تقى"، ثم جذبت يد والده "كريم" واتجهت ناحية الخارج والضابط يسأل "كريم":

- احكي لي كل حاجة حصلت.

أغلقت "تقى" الباب خلفها، ووقفت بجوار حماقتها تربت على كتفها، ثم رأت في آخر الرواق الطبيب "ألير" يندفع بسرعة ورشاقة لا يتناسبان مع سنه المتقدم، وما أن وصل إليهما حتى توجه إلى غرفة "كريم" مباشرة فأشارت له "تقى" بيدها:

- ثواني يا دكتور ... الضابط جوه بياخد أقوال "كريم"

توقف قبل أن يفتح الباب، والتفت إليها والقلق باديا عليه:

- و"كريم" صحته أخبارها إيه؟

- الحمد لله ... لما تدخل هاتشوف بنفسك .

قالتها بآلم؛ ففهم من وجهها أن الأمر ليس على ما يرام؛ فتوجه إلى أقرب مقعد وجلس عليه مثبتاً نظره إلى الحائط المقابل، وفي نفس الوقت أته رسالة نصية؛ ففتح هاتفه ليجدها من رقم خارج مصر ومكونة من سطر واحد "Are you In or out؟" فظل يتطلع إليها قليلاً ثم أغلق الهاتف تماماً، وأعادته إلى جيبه وقلبه يشتعل توتراً وقلقا مما سيأتي.

- طيب إيه السبب اللي خلاهم يخطفوك؟

قالها الضابط بحيرة - بعد أن قص عليه "كريم" كل ما حدث من أول الاختطاف حتى قتله للطبيب "شادي"، وعن ذلك المجهول الذي ساعده على الهرب مع إغفال كل شيء عن القدرات الخارقة - صمت "كريم" قليلاً قبل أن يرد على الضابط:

- مش عارف، بس اللي أنا فهمته إن الناس دي مش أول مرة تعملها خصوصاً إني شوفت أوضة مليانة جثث متقطعة بشكل بشع، وتلاجة مليانة أعضاء بشرية ... وكلام "شادي" ده اللي أنا قتلته إنهم أولى بالجثث دي علشان يعملوا تجاربهم عليها
- مأجور أجنبي خطفك، و رصاصات تخدير، وقتل بشر، وسرقة أعضائهم، وأطباء مشاركين في ده ... أنت كده بتتكلم عن مافيا منظمة مش مجرد عصابة عادية !
- لو كنت شفت اللي أنا شفته هناك كنت هتقول أكثر من كده.

ثم رفع كفه الأيسر - ذو الأصبع المقطوع - فنظر الضابط إليه بألم وهو يتخيل ما حدث :

- طيب انت مش فاكتر أي حاجة تقدر توصلنا للمكان ده ؟

هز رأسه نافيًا، ثم قال :

- بس أقدر اقول لك من شكل الرجل اللي خطفني وشكل الدكتور "شادي".

نظر الضابط إلى مرافقه الذي قلب الدفتر الذي في يده على صفحة بيضاء، وأمسك بقلم رصاص، وأخذ يرسم المواصفات التي أدلى بها "كريم" عن الطبيب وعن الرجل الذي اختطفه.

وبعد أن انتهى رفع الصورتين أمام وجه "كريم" حتى يراها فتطلع إليها قليلاً قبل أن يوميء برأسه إيجاباً :

- هو ده شكلهم بالظبط.
- جميل جداً ... أنا هابعتلك عسكري يقف على الباب علشان يحميك لحد ما نقدر نعرف مين الناس دي؟

ثم قام الضابط وأشار لمرافقه، وربت على كتف "كريم" برفق قبل أن يتجه إلى الخارج :

- حمدًا لله على السلامة.

- الله يسلمك.

خرج الضابط ومرافقه من الغرفة وأشار إلى "تقى" ووالدة "كريم" بأن يدخلوا، ولكن الطبيب "ألبير" قام بسرعة وتوجه إلى الباب وهو يقول لوالدة "كريم" بتوتر:

- معلىش، ممكن بس استأذنكم اقعد مع "كريم" شويه لوحدها؟... مش هاخذ وقت كبير، بس محتاج أتكلم معاه شويه.
- اتفضل يا دكتور
- شكرا يا حاجة.

دخل الغرفة وأغلق بابها، وتوجه إلى فراش "كريم" وجلس على المقعد المجاور وهو يتطلع بحزن إلى جروحه:

- قلت لك ما تعتمدش على موضوع الفيلم ده !
- أول مرة أشوف رؤية وتغير !!

ثم ابتسم بإرهاق:

- ازيك يا دكتور
- أنا كويس يا "كريم" ... المهم انت
- أنا أهه ... روحت ورجعت ناقص صباع
- ترجع بصباع ناقص أحسن من إنك ماترجعش خالص

أشاح الطبيب بوجهه للحظات، ثم أردف :

- إيه اللي حصل يا "كريم" ؟

" نفس اليوم "

نظر الطبيب "عماد" إلى ساعته فوجدها قد تحطت الخامسة مساءً؛ فأخذ يللم حاجياته في حقيبة كبيرة وهو يصرخ باسم زوجته :

- بسرعة يا "مريم" ... الساعة بقت خمسة ورابع.

خرجت زوجته، وقد ارتدت ملابس الخروج وعقصت شعرها الأسود خلف ظهرها في شكل ذيل الحصان، وهي تجر حقيبة أخرى وبجانبها طفل صغير لم يتعد السادسة من عمره :

- أنا مش فاهمة هو فيه إيه يا "عماد"

- قلت لك ما تخافيش من حاجة بس لازم نخنفي شويه ... يالاً علشان الطائرة معادها الساعة 9

اقتربت منه وقالت بتوسل :

- طيب ما أستناك لحد ما تيجي ونروح مع بعض أحسن ... لسه بدري على الطائرة

- مش هاينفع ... انت تاخدي "يوسف" معاكي وتسبقيني على هناك، وأنا هاحصلك بعد ما أسلم الفلاشة للشرطة.

ثم حمل حقيبتها وحقيبتها واتجه ناحية الباب :

- يالاً يا "مريم" بسرعة

أمسكت بيد ابنها الصغير، ونزلت خلف زوجها حتى وصلا إلى سيارتها (هيونداي إنترا)؛ ففتح الطبيب "عماد" شنطتها ووضع بها الحقيبتين وأغلقها، ثم التفت إلى زوجته التي أمسكت يده وهي ترتجف :

- أنا خايفة أوي يا "عماد" ... قلبي مش منتظمن

رفع كفه ثم مسح على شعرها بحنان :

- ما تخافيش يا حبيبي ... كلها ساعتين وأحصلك على المطار

- بابا هو احنا رايجين فين ؟

أناه صوت ابنه الصغير فمال ناحيته وقبّل رأسه :

- احنا رايجين حته اسمها "تركيا"، وهانقعد شويه عند عمك "جورجيت"

- ودي يا بابا فيها ملاهي ؟

- طبعا يا حبيبي ... دي فيها ملاهي أحسن من اللي هنا كمان

ثم ضمّه مجدداً وقبّل رأسه :

- يالاً بقى روح مع ماما وأنا هاجيلكم على طول.

استقلت زوجته السيارة بعد أن جلس ابنها في الأريكة الخلفية، ونظرت إلى زوجها ودموعها تسيل على وجنتيها من الخوف؛ فابتسم لها مشجعاً.

أدارت محرك السيارة وانطلقت، وظل الطبيب "عماد" مكانه حتى غابت سيارة زوجته عن نظره.

وضع كفه على جيب بنطاله يتأكد من وجود الفلاشة، ثم تنفس بعمق وأخرج زفير معبئاً بالقلق والتوتر، ثم اتّجه ناحية الجراج المجاور لمنزله حتى يستقل سيارته دون أن يلتفت إلى أي شيء، أو أي شخص، وعلى الجانب الآخر من الشارع وقف رجلان يتطلعان إليه خفية، ثم تحرك أحدهما خلفه والآخر صعد إلى عمارة الطبيب "عماد" الذي ما أن اقترب من سيارته في الجراج الخالي حتى تنهى إلى مسامعه صوت أقدام تسير وراءه، و صوت هادئ من خلفه فالتفت بتوتر:

- Doctor Emad?

وجد رجلاً فارغ القوام وشعره أسود، وعينه زرقاوان، ويضع يديه في جيوبه؛ فركض الطبيب بسرعة ناحية سيارته وفتح باب السيارة وقفز بداخلها، والرجل الآخر يقترب من السيارة بخطى واثقة وهادئة.

أدار الطبيب محرك السيارة، وقبل أن ينطلق بها أخرج الرجل يده اليمنى من جيبيه وهي حاملة مسدس في مقدمته كاتم للصوت، ثم رفع المسدس باتجاه النافذة، وأطلق منه عدة رصاصات حطمت نافذة السيارة، وفجرت رأس الطبيب "عماد"، ثم ببطء فتح باب السيارة وأخذ يفتش جيوب جثة الطبيب "عماد"؛ حتى عثر على الفلاشة فوضعها في جيبيه، ثم عاد أدراجه وهو يخرج هاتفه ويجري اتصالاً ويقول كلمة واحدة "Done"، ثم أعاد الهاتف إلى جيبيه والمسدس في حزام البنطال وانصرف.

في اليوم التالي ... ركض الطبيب "ألبيير" داخل أروقة مشرحة زينهم التي وصل إليها فور إبلاغه بخبر مقتل الطبيب "عماد"؛ فوجد في آخر الرواق زوجة الطبيب "عماد" تصرخ بشدة، وحولها بعض أقاربها يواسونها؛ فتجاهلهم ودخل غرفة جانبية، ووقف يتأمل جثة الطبيب برأسها المدمر وملاحمه التي اختفت، اعتصر الألم قلبه، وظل هكذا للحظات قبل أن تأتيه رسالة نصية فيها صورة التقطتها كاميرات المراقبة للطبيب "عماد" خارج المركز يوم هروب "كريم" وتحت الصورة جملة واحدة " Are you in or (out)؟ "؛ فتطلع إليها بخوف إلى كلمة "Out" الموضوع بين الأقواس ثم تطلع إلى الجثة قليلاً وهو يتخيل نفسه راقداً مكانه، ثم رفع الهاتف أمام وجهه بتخاذل، ورد على الرسالة بأصابع مرتعشة وبكلمتين لا غير

I'm in -

الثانية

"4 سبتمبر 2008"

في مستشفى "عين شمس" التخصصي وفي حجرة "كريم" جلست والدة "كريم" التي ظلت بجوار ابنها طوال الأيام الماضية، والطبيب "ألبيير" الذي كان يزوره بشكل يومي:

- تاعبينك معانا يا دكتور والله

- ماتقوليش كده يا حاجة، ده "كريم" زي ابني

- أبوه الله يرحمه لو كان عايش ماكانش عمل أكثر من اللي بتعمله.

ابتسم "كريم" وهو يتابع الحوار بين والدته والطبيب "ألبيير" ثم تدخل بصوت استعاده حيويته :

- الدكتور "ألبيير" تعبان معايا من فترة كبيرة يا أمي

- ربنا يقدرنا ونرد جمايلك يا دكتور

نظر الطبيب في ساعة يده ثم قال لها :

- لو عايزة تردي جمايلي بصحيح يبقى تقومي تروحي دلوقت، الساعة 8 بالليل وانتِ هنا بقالك

كتير

هزت رأسها علامة الرفض، وتشبثت بكف ابنها :

- مش هاقدر أسيبه لوحده

- ولوحده ليه يا حاجة؟ ... أنا كده كده قاعد معاه النهاردة

نقلت بصرها بينه وبين ابنها - الذي ربّت على كفها برفق - :

- روعي أنت يا ماما ... أنا بكرة الصبح هامشي من هنا وأجيلك، والدكتور هايروحي ... مش

كده يا دكتور؟

نظر إلى الطبيب؛ فأوماً الطبيب برأسه إيجاباً وهو يبتسم :

- أكيد يا "كريم" ... يالاً يا حاجة اسمعي الكلام بقى.

أراحت كتفيها في استسلام، ثم قامت بعد أن عدّلت حجاب رأسها، وقبّلت جبين ابنها، والتقطت

حقيبتها واتجهت نحو الباب؛ فأردف الطبيب :

- تحبي آجي أوصل لك ؟

- لا يا دكتور الله يكرمك ... أنا هاخذ تاكسي من الباب للباب

هتف بها "كريم" قبل أن ترحل وهو يقول مداعباً :

- ماتنسيش بقى تعمليلي الأكلة اللي بحبها ... مكرونة بشاميل، ومحشي ورق عنب

- من عيوني يا حبيبي

ثم أشارت لهم مودعة وانصرفت، خمس دقائق كانت قد خرجت من البوابة الرئيسية، ووقفت أمامها

تبحث عن سيارة أجرة تقلها للبيت، وعلى مقربة من الباب كانت تقف سيارة أجرة اقتربت من والده

"كريم" وتوقفت أمامها، وأنزل السائق الذي يرتدي كابا يخفي وجهه زجاج السيارة ومال ناحيتها:

- رايحة فين يا حاجة؟

- "جامعة الدول العربية" يا ابني

- اتفضلي يا حاجة.

فتح لها الباب بجواره؛ فجلست وأغلقت الباب وراءها وهي تنظر إلى السائق الذي انطلق على الفور بالسيارة، حاولت أن تتبين ملامحه وقد شعرت أنها مألوفة لديها:

- هو أنا شوفتك قبل كده يا ابني ؟

لم يجيبها، واكتفى بأن مد يده إلى جيب معطفه وأخرج بخاخة صغيرة وأدارها نحو والدته "كريم"، وضغط على أعلاها فانطلق رزاز في وجهها أفقدها وعيها على الفور، وسائق السيارة يبتسم بسخرية ويطلع الكاب - بعد أن ألقى بخاخة المخدر على الأريكة الخلفية-

- أيوه شوفتني طبعاً ... أنا "حازم" يا أم "كريم".

ضغط على دواسة البنزين حتى يزيد السرعة وهو ينطلق إلى وجهة قد حددها أو حددت له سلفاً .

- اللي مش قادر أفهمه هو إزاي أتخطف وأنا متأكد إن ده لازم يحصل في وقت اذاعة فيلم ناصر 56 ... أنا عمري ماشوفت رؤيا واتغيرت.

ضحك الطبيب من الكلام عن الفيلم

- يا ابني قلت لك سيبك من الفيلم ... ده غير إن تغير الرؤيا ليه معنى جميل جداً

نظر "كريم" بتساؤل؛ فأردف الطبيب:

- مش انت قولت إنك شوفت في مرة إن حد يقطع راسك ؟

- أه

- طيب هل ده حصل ؟... قبل ما تجاوب أنا هقول لك إنه ماحصلش، وده معناه إن الحدث ده اتلغى، ممكن بسبب إنك عملت حاجة مغايرة أدت إلى تقديم ميعاد الاختطاف، وأدت برضه إلى تغيير المستقبل كله.

- يعني انت شايف إن كده خلاص ... أنا بقيت في أمان وكل حاجة شوفتها في الرؤى انتهت ؟

قالها بنبرة أمل - كمن يتعلق بقشة - فأجابه الطبيب بلهجة حاول أن يجعلها واثقة :

- أكيد يا "كريم" .

لمس "كريم" نبرة توتر في لهجة الطبيب، إلا أنه لم يلتفت لها وقال - وهو يعدل ظهره وقد تذكر أمراً - :

- صحيح يا دكتور كنت عايز أسألك على حاجة

- اتفضل

- لما كنت مخطوف الحيوان اللي اسمه "شادي" ده قال لي حاجة مكتوبة في ملفي، إن أنسجة

عضلاتي شبه أنسجة عضلات القلب، ولما جه يضربني بالسكينة - وبالرغم من إنه قطع صباغي -

لكن أنا لاقيت جسمي اتحرك فجأة وبسرعة وقتلته، وقال لي قبل ما يموت إن ده قصده من

موضوع الأنسجة دي ... يعني إيه بقى الكلام ده ؟

قطب الطبيب حاجبيه مفكراً؛ ثم طرّق أصبع الإبهام بالوسطى وقد تذكر :

- قصدك الجزء اللي بيقول إن الأنسجة العضلية تشبة في تكوينها أنسجة عضلة القلب، والأنسجة

العضلية البيضاء اللاإرادية!؟

- أيوه هو ده ... يعني إيه بقى ؟

- عمرك حسيت يا "كريم" إن ردود أفعالك أسرع من المعتاد ... في خناقة مثلاً ؟

- أنا عمري ما اتخانقت

تبسم الطبيب وهو يقول :

- علشان كده

ثم أردف باهتمام وهو يميل إلى الأمام قليلاً ويشبك أصابعه:

- بص يا "كريم" ... معنى إن أنسجتك العضلية تشبه في تكوينها أنسجة عضلة القلب، والأنسجة العضلية البيضاء اللاإرادية، إن أنسجتك دي ليها قدرة هائلة على الانقباض والانبساط و بالتالي قوة بدنية هائلة ... بمعنى تاني إنك هتلاقي نفسك - ومن غير تدريب - ليك ردود أفعال سريعة جداً؛ مهما كانت حالتك وقدرة احتمال أكثر من غيرك، والدليل على كده إنك - بالرغم من كل اللي عملوه فيك فترة الاختطاف - ماكنش بيغمى عليك إلا لما يدوك مخدر.

تذكر "كريم" ما لاقاه هناك؛ فأجفل ثم هز رأسه كأنه ينفص عن ذهنه كل تلك الذكريات ونظر إلى الطبيب بتساؤل :

- طيب ليه ما قولتليش الكلام ده قبل كده ؟

- ما حبيتش أشغل بالك بحاجة تانية غير استعادة قدراتك

صمت "كريم" وشرذ ذهنه قليلاً وهو يقول بخفوت :

- استعادة قدراتي؟! ... هو ده برضه اللي كانوا عاوزينه

قرأ الطبيب ما يدور بذهن "كريم" فربت على كتفه وهو يبتسم :

- وطلعوا أغبية؛ لأن اللي كانوا بيعملوه عمره ما يجبرك على استعادة قدراتك ... الحاجة الوحيدة

اللي تخليك تستعيد قدراتك هو صدمة عكسية بحاجة انت اللي تعملها بنفسك مش حد يجبرك

عليها ... إنك تعمل حاجة عمرك ماعملتها وتعارض مع أفكارك ومبادئك حاجة تخليك

.....

التفت "كريم" بدهشة وتطلع إلى الطبيب الذي أخذ يتكلم بحماسة شديدة كأنه يفرغ ما بعقله؛ فانتبه

الطبيب، وقطع حديثه فجأة وابتسم بتوتر :

- آسف آسف ... شكل الحماسة خدني

بنفس نظرة الدهشة والاستنكار ظل "كريم" يتطلع إلى الطبيب قبل أن يسأله متعجباً :

- يعني إيه كلامك ده يا دكتور ؟

أشاح الطبيب بوجهه إلى الناحية الأخرى، ثم أراح ظهره على المقعد وأغمض عينيه استعدادًا للنوم :

- قلت لك مفيش يا "كريم"، أنا بس محتاج أنام شويه ... تصبح على خير يا "كريم"

- وانت من أهله يا دكتور .

قالها ببطء وهو يتطلع إلى وجه الطبيب، وظل هكذا طوال عشر دقائق كأنه يحاول سبر أغوار عقل الطبيب، قبل أن يريح ظهره على الفراش دون أن يغمض عينيه، وظل يفكر في كلام الطبيب والقلق يعتمل في صدره، وهو يحاول اكتشاف ما وراء الكلام حتى غلبه النعاس واستسلمت جفونه له فغط في نوم عميق.

لم يدر بنفسه إلا عندما شعر بجزة خفيفة في كتفه؛ ففتح عينيه فوجد الطبيب بجانبه يوقظه فعدل ظهره :

- هي الساعة كام ؟

- الساعة 12 ونص يا بطل ... يالاً اجهز علشان نمشي.

أنزل قدميه على الأرض، وظل جالسًا على طرف السرير، وحك رأسه وهو يقول بلهجة لم يفارقها النعاس :

- هما كتبوا إني أخرج خلاص ؟

- أيوه يا سيدي، أنا اتكلمت مع الدكتور المسئول وقال إن حالتك دلوقتٍ ممتازة، ومش محتاج

تقعد أكثر من كده.

ثم أشار إلى مقعد في أحد الأركان موضوع عليه حلة جديدة في غلافها وأردف :

- دي بدلة على مقاسك بالظبط ... قوم كده ظبط نفسك والبس وأنا هأستاك بره

قام "كريم" من فراشه واتجه إلى الحلة يتفحصها :

- كونكريت ! ... ده أنت عارف ذوقي كمان ... بس كده كتير يا دكتور ولازم أدفع حقها

انجّه الطبيب ناحية الخارج بعد أن رمى "كريم" بنظرة حادة :

- امشي يالاً... أنا مستنيك بره

انتظر الطبيب في الخارج حتى خرج عليه "كريم" من الحجرة، ووقف أمامه بعد أن اغتسل وشفف شعره وارتدى الحلة الجديدة :

- أنا جاهز... يالاً بقي أحسن أنا بكره جو المستشفيات ده

ثم نظر إلى مقعد خال بجوار باب الغرفة من الخارج :

- هو فين العسكري اللي كان هنا ؟

تقدمه الطبيب فأسرع إليه "كريم" يتأبط ذراعه بود، وسار بجواره والطبيب يجيب :

- مشى من أول امبارح ؟

- شوف ولاد الذينا... قال والظابط عيشني في جو الحب والأمان، والعسكري هيقف يحميني والحركات دي.

قاد الطبيب سيارته حتى أوصل "كريم" الذي التفت إليه فور توقفه أمام العمارة التي يقطن فيها

- يالاً بقي نطلع نفطر فوق

- لا لا... أنا نفسي أنام... بصراحة انت تعبتني

قالها مداعباً؛ فصافحه "كريم" وقال وهو يخرج من السيارة :

- يبقى توعدي إنك هاتيحي تتغدى عندنا في يوم... الحاجة بتعمل أكل عمرك ما تلاقيه في أي مطعم

- خلاص أوعدك... سلام بقي يا أخي عايز أنام.

قالها وهو يتسم فأشار إليه "كريم" مودعاً، ووقف حتى دخل الطبيب في أول منعطف، ثم انطلق هو إلى العمارة واستقل المصعد إلى الدور الذي تقع فيه شقته التي ما أن دخلها حتى أخذ يصيح بفرحة :

- أمي يا دكتور ما وصلتش البيت من ساعة ما سابت المستشفى ... ومش لاقيتها عند أي حد من قرابي.

قالها "كريم" وهو يكاد يبكي؛ فتصنع الطبيب القلق :

- إزاي ده؟! ... طيب انت متأكد إنك دورت كويس، سألت عند "تقى"؟
- طبعا سألت، والمصيبة إن تليفونها مقفول ... ولما روحت القسم كل اللي عملوه إنهم كتبوا محضر تغيب وخلص ... أنا خايف يكونوا وصلوا ليها وخطفوها.

صمت الطبيب للحظات وهو يختبر ردة فعل "كريم" الذي صرخ به:

- سكت ليه يا دكتور؟
- الاحتمال اللي قلته ده وارد جدًا يا "كريم" ... مش عارف ممكن نعمل إيه في الحالة دي؟!!

صمت للحظات أخرى؛ حتى يتأكد أنه قد حطم البقية الباقية من أعصاب "كريم" ثم أردف :

- بقول لك يا "كريم" ... هي مامتك معاها تليفون؟
- أيوه معاها بس مقفول
- جميل جدًا ... هات الرقم وأنا هاشوف لو حد ممكن يحدد مكانها عن طريق القمر الصناعي
- وده ممكن وتليفونها مقفول؟

بلهجة أمل خرجت عباراته؛ فارتسمت على جانب شفقي الطبيب **ابتسامة** :

- أعرف ناس ممكن يقدروا يعملوا كده
- طيب معاك ورقة وقلم ولا أبعثلك الرقم في رسالة؟
- قول الرقم وأنا هاكتبه

أملى "كريم" الرقم والطبيب كما هو لا يدون أي شيء، وما أن انتهى "كريم" طمأنه الطبيب :

- خلاص أنا كتبته ... خلي الموبيل دايمًا جنبك وأول ما أوصل حاجة هقول لك

- هأستناك يا دكتور ... سلام

- سلام.

أغلق الطبيب "ألبير" الهاتف وتطلع إليه قليلاً وهو يفكر، ثم وضعه في جيب الروب، ثم غادر غرفته وصعد إلى الطابق العلوي ودخل غرفة نومه، ثم استلقى على فراشه الوثير، وأغمض عينيه مفكراً في الخطوات القادمة.

" نفس اليوم الساعة العاشرة مساءً "

ظل "كريم" يتحرك في صالة الشقة بتوتر وبحركة عصبية وهو ينظر إلى الهاتف كل دقيقة، وهو يتوقع اتصالاً من الطبيب والقلق يعصف بقلبه وعقله، والدموع تترقق في عينيه؛ حتى أتاه صوت الهاتف؛ فهجم عليه ورد بسرعة وهلفة عندما وجد أن الاتصال من الطبيب :

- في أخبار ؟

- أيوه يا "كريم" ... حددت مكان والدتك، أو التليفون بمعنى أصح

انتظر رد الطبيب؛ فلم يجد إلا الصمت فهتف به :

- فين يا دكتور ؟

- المكان في "العبور" يا "كريم" ... "المنطقة الصناعية "

- أنا هاكلم البوليس حالاً

- "كريم" كل دقيقة بتمر حياة والدتك بتبقى في خطر أكبر ... البوليس هياخد وقت كبير لحد ما يتحرك.

- طيب نعمل إيه ؟

قالها بيأس؛ فأجابه الطبيب بسرعة كأنه يعرف مجريات حوار جهاز له الإجابة سلفاً :

- أنا قريب منك يا "كريم" ... نص ساعة وابقى عندك ونروح مع بعض ونتأكد بنفسنا، وساعتها

نبقى نشوف هانعمل إيه.

أغلق "كريم" الهاتف وارتدى ملابسه على عجل وجلس في انتظار وصول الطبيب وقدماه تتهزان بحركة متوترة، ثم أمسك بالهاتف وأجرى اتصالاً برقم "تقى"، وانتظر حتى أجابت بلهفة :

- إيه يا "كريم" ... وصلت حاجة ؟

قص عليها بسرعة كل ما دار بينه وبين الطبيب انتهاءً بمعرفته مكان وجود والدته، وقراره بالذهاب إلى هناك حتى ينقذ والدته -إن استطاع- ... فصمتت للحظات، ثم قالت بلهجة باكية :

- أنا خيفة أوي يا "كريم" .

- أنا كمان خايف جداً، بس دي أمي يا "تقى" ومش هقدر أتخلي عنها

- طيب ما تكلم البوليس وهو يتصرف.

- يوم البوليس بسنة يا حبيبي، وأنا مش هقدر استنى لحد ما تموت

خيم عليهما صمت تام لدقائق، قطعه "كريم" عندما أته إشارة على الهاتف بأن الطبيب يتصل به

- "تقى" ... أنا لازم اقفل دلوقت ... الدكتور "ألير" بيتصل وأكد هو واقف تحت دلوقت

لم ترد فأردف :

- "تقى" ... عايزك تعرفي حاجة مهمة ... أنا بجبك

أجهشت بالبكاء فجأة وهي تجيبه :

- والله وأنا كمان بجبك ... لا إله إلا الله

- محمد رسول الله.

أنهى الاتصال ووضع هاتفه المحمول في جيبيه، وانطلق خارج الشقة إلى المصعد، واستقله إلى أسفل ومنه إلى خارج العمارة؛ فوجد الطبيب يقف بسيارته أمام بابها فركب معه فوراً، وانطلقت السيارة.

بعد ساعة ونصف الساعة كانت السيارة تسير داخل "المنطقة الصناعية" ثم اجتازها إلى طريق خال من

المباني، وظلت السيارة تسير حتى تراءى لـ"كريم" مبنى من بعيد كأنه مخزن، فأخرج من جيبيه قلما وورقة

صغيرة وكتب فيها جملة ما ثم أطبقها في يده، وما إن اقتربت السيارة من المبنى حتى توقفت السيارة على مسافة منها، والطبيب "ألبير" يشير للمبنى وهو يقول بلهجة متوترة :

- هما مخبينها هنا يا "كريم".

انقبض قلب "كريم" فور سماعه الجملة، وببطء أخرج الورقة من يده وفردها أمام وجه الطبيب -الذي قرأ ما فيها بتعجب - فلم يجد سوى ما قاله هو الآن (هما مخبينها هنا يا "كريم") فنظر إلى "كريم" وملاحظه المتوترة وسأله :

- مش فاهم ... يعني إيه ؟

أطبق "كريم" الورقة وقذفها خارج نافذة السيارة، وهو يقول بعصبية:

- معناه إن الرؤيا الثانية اتحققت ومش فاضل غير الأخيرة ... إني أموت.

قاد الطبيب السيارة حتى وصل إلى المخزن المنشود؛ فدار حوله ووقف بجانب أحد حوائطه، ثم التفتت إلى "كريم" وأمسك كفه وشد عليه وهو يقول بحزم :

- بطل عبط ... المستقبل بإيدينا احنا، واحنا بس اللي نقدر نتحكم فيه.

ثم فتح باب السيارة وأردف وهو ينزل منها :

- خليك هنا، أنا هخرج أتكلم في التليفون؛ علشان مفيش شبكة هنا ... هحاول أتصل بجد

يساعدنا

ثم أردف مشددًا :

- لتاني مرة يا "كريم" ... خليك هنا لحد ما أتكلم وماتتهورش.

ابتعد الطبيب بضعة أمتار، وظل "كريم" مكانه ورفع كفه أمام وجهه يقبضه ويبسطه، وهو يتذكر كلام الطبيب عن قدرة أنسجته العضلية والقوة التي تحتويها، وتجسدت في ذهنه والدته وهي يفعل بها مثلما فعل

به من تعذيب، وتذكر مشهد الجثث الممزقة؛ فقبض كفه بقوة وغضب، ثم فتح باب السيارة وقفز منها يركض بجوار الحائط نحو باب المخزن كالمجنون؛ فلما رآه الطبيب هتف به أن يعود دون جدوى.

أمام باب المخزن المعدني العملاق وجده مفتوحًا قليلاً؛ فوقف أمامه والغضب يشعل قلبه، شعر بأنه قادر على تحطيم المبنى كله فضم قبضتيه بغضب وصدرة يعلو ويهبط من الانفعال، ثم ضرب الباب بقدمه فانفتح على مصراعيه، وتقدم إلى الداخل بخطوات سريعة يجول بنظره في أرجاء المخزن؛ ثم علت الدهشة وجهه عندما رأى عدوه - "حازم" حديدة - يجلس على مقعد خشبي هو وزميل له، انتفض "حازم" عندما رأى "كريم"؛ ثم ابتسم بسخرية، وقام وهو يفتح مطواته ويتجه بخطوات بطيئة نحو "كريم" وهو يمسح المطواة في كفه الآخر:

- "كريم" حبيبي ... اتأخرت ليه ده أنا مستنيك من بدري.

وقف "كريم" مكانه وهو يبحث بنظره عن والدته وهو يتنفس بغضب ثم التفت إلى "حازم" مجددًا

- فين أمي يا "حازم"

- أمك ! ... أمك في العش ولا طارت.

لم يتمالك "كريم" نفسه واندفع يركض ناحية "حازم" وهو يصرخ بغضب حتى وصل إليه؛ فشوح "حازم" بمطواته في وجهه؛ فتفادها "كريم" بسرعة ومرونة، ثم أمسك ذراعه وضربه على مفصله؛ فكسره بصوت مزعج جعل "حازم" يصرخ كالنساء؛ فلم يتوقف "كريم" ومد يده إلى حنجرة "حازم" وضغط بشدة حتى حطمها هي الأخرى؛ فسقط "حازم" أرضاً؛ وجلس "كريم" فوق جسده وثبته بيده اليسرى وهو يكيل لكلمات سريعة وقوية إلى وجهه بيده اليمنى بلا توقف؛ حتى أصبح وجه "حازم" كالعجين الأحمر و "كريم" يصرخ بغضب ويكيل اللكمات؛ فأتته ضربة مؤلمة على ظهره؛ فالتفت ووجد شريك "حازم" يمسك بعصا خشبية سميكة ويرفع ذراعه إلى أعلى حتى يضربه مجددًا؛ فرفع "كريم" ذراعه أمام حتى يحمي وجهه، ولكن وقبل أن تكتمل ضربة الآخر فوجئ "كريم" بدوي رصاصة فجرت رأس ذلك الرجل بشكل مقزز وسقط أرضاً، تلفت "كريم" إلى مصدر الرصاصة فوجد الطبيب يقف أمام الباب وهو يمسك المسدس بيده اليمنى ويضع يده الأخرى على صدره وهو ينهج بشدة :

سار "كريم" ووقف بجوار الطبيب ثم قال له بقلق :

- انت عملت علشانى كثير ... شوف انت عايز تعمل إيه وأنا هساعدك

أمسك الطبيب بقدمي جثة "حازم" :

- ساعدني نخط الاتنين دول في شنطة عربيتي، ولما نودي والدتك البيت هقول لك ساعتها نعمل إيه.

على الفور اتجه "كريم" ناحية الجثة، وأزاح الطبيب وحملها وحده على كتفه، وركض بها وألقاها بجوار السيارة، وعاد وحمل الأخرى والطبيب يتبعه، ثم فتح حقيبة السيارة الخلفية وكدس بها الجثتين وأغلقها، ثم جلس بجوار مقعد السائق وجلس الطبيب "ألبيير" خلف مقود السيارة، وأدار محركها وانطلق بها.

وفي الشقة دخل "كريم" غرفة نوم والدته وأرقدتها برفق على فراشها و جلس على طرف الفراش وهو يمسك بكفها في راحة يده ويتحسس جبينها باليد الأخرى، ثم مال عليها وطبع قبلة على جبينها، قام بعد ذلك وأغلق باب الشقة وانصرف حتى غادر العمارة، فوجد الطبيب "ألبيير" يجلس بداخلها وهو يتحدث في الهاتف -الذي اغلقه فور اقتراب "كريم" منه - :

- يالاً يا "كريم" ؟

جلس "كريم" بجانبه وأغلق الباب وهو شارد الذهن ويتمتم بخفوت :

- يالاً يا دكتور.

أناه صوت هاتفه؛ فتطلع إلى المتصل فوجدها "تقى"، لم يجد في نفسه رغبة في الحديث؛ فرفض المكالمة وأغلق الهاتف تمامًا وأعادته إلى جيبه.

ظل القلق يعصف بـ "تقى" منذ أن انتهت من الحديث مع "كريم" شيء ما في قلبها يخبرها أن هناك أمراً غريباً في كلامه، فإن كان الطبيب "ألبير" يستطيع تحديد المكان عن طريق الهاتف؛ فلماذا لم يحاول تحديد مكان "كريم" وقت اختطافه؟!!!

- أنا خيفة عليك من الجوازة دي يا "تقى".

قطع حبل أفكارها صوت والدتها التي ظلت تردد نفس الكلام منذ اختطاف "كريم" وعودته، فالتفتت إلى والدتها بنظرة شاردة ولم ترد عليها؛ فأردفت والدتها:

- يا "تقى" ده "كريم" اتخطف وشوفتي حصل له إيه، ودلوقتِ أمه كمان اتخطفت ... أنا مش هسكت لحد ما يحصل لك كده أنت كمان.

- تصبحي على خير يا ماما .

قالتها بشرود، واتجهت إلى غرفتها وأغلقت بابها من الداخل وارتمت على الفراش وكل الأحداث تمر أمام عينيها، وهي تحاول اعتصار خلايا مخها حتى تتوصل إلى ما يقلقها، ظلت هكذا قرابة الأربع ساعات وهي بلا حراك ونظرها مثبت إلى سقف الغرفة تنتزع من ثنايا مخها شيئاً ما.

الرؤى التي راودت "كريم"، الطبيب "ألبير"، "المركز العالمي"، "الاختطاف".

- المركز العالمي!

انتفضت من مكانها وهي تهتف باسم المركز، وأسرعت إلى جهاز الكمبيوتر وضغطت زر التشغيل، وانتظرت قليلاً ثم ولجت إلى الإنترنت، وفتحت محرك البحث "جوجل" وكتبت بسرعة فيه (المركز العالمي للأبحاث + الدكتور "ألبير" + "اختطاف") ثم ضغطت زر البحث فظهرت أمامها عدة نتائج عن المركز، وعن الكتاب الذي ألفه الطبيب؛ فتجاهلت تلك النتائج كلها ونزلت إلى آخر القائمة؛ فوجدت غايتها فضغطت على آخر نتيجة في البحث وأخذت تقرأ الخبر الذي قد نشر منذ ثلاث سنوات :

" زوجة "المهدي المنتظر" المزعوم تتهم أطباء بالـ "مركز العالمي" باختطافه والمركز ينفي.

كتبه : سعيد علام .

تقدمت السيدة "هدى" زوجة الرجل الذي أحدث ضجة منذ فترة - عندما ادعى أنه "المهدي المنتظر" - ببلاغ إلى الشرطة تتهم فيه أطباء في الـ"مركز العالمي للأبحاث" باختطاف زوجها الذي كان يتردد على المركز منذ فترة ثم اختفى بعدها، وقد صرح الدكتور "ألبير عياد" (مدير المركز) أنه لا أساس لصحة ما قالته زوجة الرجل المختل عقلياً، كما أكد الدكتور "ألبير" بأن المريض قد زاره بالفعل مرة بعد أن أصدر الدكتور كتاباً يتحدث عن القدرات الخارقة، ولكن بعد إجراء الفحوصات، تبين أن المريض يعاني من خلل عقلي وأنه لا صحة لما ادَّعاه وقد كانت هذه آخر مرة رآه فيها ... جدير بالذكر أنه منذ بضع سنوات كان هناك بلاغ من شاب يتهم المركز باختطاف شقيقه الأكبر الذي اختفى من وقتها ولم يظهر حتى الآن ."

امتقع وجهها وهي تقرأ الخبر الذي كانت قد قرأته منذ فترة كبيرة، ولم تتذكره إلا الآن؛ فتمتمت بخفوت : "كريم"، و قلبها ينتفض هلعاً فأسرعت إلى الهاتف وأجرت اتصالاً برقم "كريم"، وانتظرت قليلاً ثم ارتعشت يدها عندما تم رفض المكالمة من الجانب الآخر؛ فأعدت الاتصال مرة أخرى فوجدت الهاتف مغلقاً، فطلت تعيد المحاولة مرة تلو المرة؛ ثم أرسلت رسالة صوتية " يا "كريم" دكتور "ألبير" هو السبب في كل حاجة، في كذا حد قبل كده اتخطف وكان بيروح عنده، يا "كريم" خلي بالك وكلمني أرجوك " ... ثم ألقى الهاتف وجلست على طرف الفراش وقلبه يكاد يقفز خارج صدرها من شدة اضطرابه وخوفه .

أوقف الطبيب "ألبير" سيارته أمام باب الـ"مركز الطبي العالمي" للأبحاث ثم نظر إلى "كريم" الذي لم يتكلم طوال الوقت :

- احنا هنشيل الجثتين دول وندخلهم "المركز" في الدور الأرضي ... في غرفة تشريح هنعطهم جواها.
- طيب والأمن ؟
- مفيش أمن ... أنا كلمت فرد الأمن اللي كان هنا، وبعته يجيب حاجة ومش هيرجع قبل ثلاث ساعات.

نزل الطبيب من السيارة بعد أن فتح الحقيبة الخلفية وانتظر "كريم" ثم ذهب إلى جوار النافذة الأخرى وطرق على زجاجها بحدة؛ فالتفت إليه "كريم" بذهن شارد ووجه ممتنع، ولم يتحرك ففتح الطبيب الباب بحدة :

- مالك متخشب كده ليه ؟ ... يالاً يا "كريم" مفيش وقت.

نزل "كريم" ببطء، وأتجه صوب حقيبة السيارة ووقف أمامها يتطلع إلى الجثتين؛ فاستحثه الطبيب على الإسراع؛ فحمل جثة "حازم" وسار خلف الطبيب الذي سار بخطوات واسعة إلى داخل "المركز" وقاده إلى غرفة جانبية أضاء أنوارها؛ فنظر "كريم" إلى محتوياتها؛ فوجد منضدتي تشريح - كأنها مجهزة لما سيحدث - ، ثم وضع الجثة على المنضدة، وشرع الطبيب في تجريدتها من ملابسها:

- واقف ليه كده ... هات الثانية بسرعة واقفل الشنطة.

تحرك كأنه رجل آلي حتى وصل إلى السيارة؛ فحمل الجثة الثانية وأغلق الحقيبة، ثم عاد إلى الغرفة، فوجد الطبيب قد انتهى من تجريد الأولى من ملابسها وخلع معطف الحلة التي يرتديها، وشمم أكمام قميصه، وعلى المنضدة الثانية وضع الجثة الثانية ووقف يراقب الطبيب وهو يجرد الثانية من ملابسها بسرعة :

- "كريم" ... اقفل الباب، وتعالى.

أطاعه ثم عاد ووقف أمام الطبيب، وهو ينظر فيما حوله بنظرات ذاهلة؛ حتى انتهى الطبيب من الجثة الثانية، وفتح أحد الأدراج وأخرج "ساطورا" كبيراً دفعه إليه؛ فأمسك بالـ"ساطور" وأخذ يقلبه أمام وجهه، والطبيب "ألبير" يختلس النظر إلى وجهه بين اللحظة والأخرى، قبل أن يتجه إلى "كريم" ويضع كفه على كتفه :

- يالاً يا بطل ... لازم نخلص بسرعة.

- عايزني اعمل إيه ؟

- هتقطع الجثتين على ما أجهز أنا البانيو الموجود في الأوضة اللي جنبنا بمواد معينة هتتخلص من البقايا في أقل من ساعة.

- أقطع الجثث !؟

بنبرة حالم منزوع الإرادة ردد الجملة؛ فمد الطبيب يده وأخذ الـ"ساطور" ووقف أمام جثة "حازم" العارية بعد أن جذب "كريم" من يده وأوقفه بجواره :

- تعالى جنبي ... أنا هوريك تعمل إيه ؟

رفع الـ"ساطور" وهوى به بقوة على رأس "حازم" ففصلها عن باقي الجسد، وتطايرت الدماء حتى لوثت قميصه وقميص "كريم" الذي سال الدمع من عينه وهو يرى ما يحدث غير مصدق، كأنه في كابوس مزعج يتمنى أن ينتهي، لم ينتزعه من شروده إلا عندما أعطاه الطبيب الـ"ساطور" مجددًا :

- عايزك تبدأ من عند مفاصل الساق وبعد كده الذراعين ... يالاً يا "كريم" ... بسرعة :

ثم أمسك بذراع "كريم" المتخاذل وساعده على رفعه، ثم هوى به على مفصل الساق اليمنى، وتركه يضرب بتخاذل :

- بسرعة يا "كريم" ... إضرب بسرعة، وبأقوى حاجة عندك.

رفع "كريم" ذراعه وهوى بالـ"ساطور" على المفصل يحطمه والطبيب بجواره يستحثة، و "كريم" يضرب ويكرر الضرب، والدماء تتناثر على وجهه وملابسه؛ حتى أصابه الهياج؛ فأخذ يضرب ويضرب ويضرب، حتى أنه لم يشعر بالطبيب الذي انسحب من الغرفة وخرج منها بعد أن أغلق الباب، واتجه لحجرة أخرى يتابع ما يفعله "كريم" عن طريق كاميرا المراقبة.

أما "كريم" فقد أخذ يهوي بالـ"ساطور" على الجثة في كل مكان بلا تمييز، ثم بدأ بالصراخ والدموع تبلل وجهه وهو مستمر فيما يفعل، حتى انتهى من الأولى، ووقف يتطلع إلى الدماء المتناثرة، ثم اتجه إلى الجثة الثانية، وفصل الرأس عن الجسد قبل أن يعود إلى مفاصل الجثة ويبدأ في التقطيع، وكلما زادت الدماء المتناثرة كلما زاد صراخه وزادت قوة ضرباته، حتى انتهى منها؛ فلم يتوقف واستمر في تقطيع باقي الأجزاء بلا توقف، وقد استحال وجهه إلى الأحمر القاني من الدماء التي التصقت به، دخل الطبيب الغرفة على الفور فالتفت "كريم" إليه بتحفظ وهو يرفع الـ"ساطور" أمام وجهه؛ فأشار له الطبيب بكلتا يديه حتى يهدأ وهو يقترب منه ويمد يده بجذر ويأخذ الـ"ساطور".

- اهدى يا "كريم" ... كده أنت عملت اللي عليك.

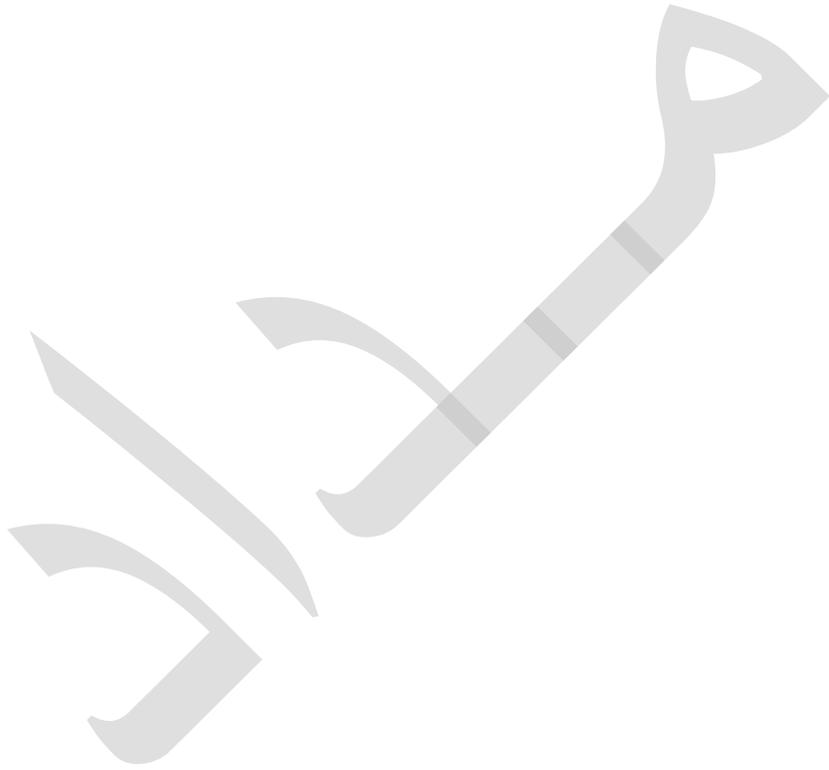
وقف "كريم" وصدره يعلو ويهبط بغضب؛ فتحرك الطبيب بجانبه بحذر، ثم بدأ في دفع الطاولة الأولى التي ترقد عليها أجزاء جسد "حازم" بعد أن ملمم الأجزاء التي سقطت على الأرض، وأشار لـ"كريم" أن يفعل المثل بالجلثة الثانية ففعل، ودفع الطاولة وسار خلف الطبيب وفي عينيه نظرة غريبة متحفزة ... أكمل سيره خلف الطبيب حتى وصلوا إلى غرفة بها حوض كبير من الرخام به سائل ما.

وما أن بدأ الطبيب في إلقاء الأعضاء المقطعة فيه؛ حتى فار السائل وبدأ في إذابة الأجزاء، وكلما أسقط الطبيب قطعة حتى زاد الفوران، و "كريم" واقف يشاهد، ثم انسحب وعاد إلى غرفة التشريح وأسند ظهره إلى الحائط المجاور للباب، وجلس على الأرض ثم رفع يديه الملوثتين بالدماء يتطلع إليها بنفس النظرة الذاهلة، ثم فجأة أجهش بالبكاء بشدة وهو يرجع رأسه إلى الوراء حتى يصدم الحائط، ويكرر ذلك ثم أمسك رأسه وأخذ يصرخ بشدة؛ حتى كادت خلايا مخه أن تشتعل من الألم والتفكير فيما فعل، وقلبه ينز في صدره وقد تحول بكاءه إلى بكاء طفل صغير، وظل يضغط على جانبي رأسه بقوة وهو يصرخ؛ فشعر بألم شديد يكاد يعصف بخلايا مخه؛ جعله يصرخ صرخة أخيرة فقد وعيه بعدها.

أما الطبيب "البير" فقد كان جالساً في غرفة أخرى أمام الشاشة يراقب تصرفات "كريم" الذي ما أن فقد وعيه حتى تحرك الطبيب إلى الغرفة التي فيها "كريم" ووقف يتأمله وهو فاقد الوعي، ويتأمل رموشه وهي تهتز بسرعة فائقة لعدة دقائق، حتى هدأت وعادت إلى ثباتها، فتقدم نحوه ومال ناحيته وهو يهزه بشدة حتى يفيقه؛ ثم انتفض بجزع عندما فتح "كريم" عينيه فجأة ومد يده واعتصر كف الطبيب بقوة مؤلمة والطبيب يحاول تخليص يده من "كريم" باستماتة.

- "كريم" ... إيدي يا "كريم".

لم يرد عليه "كريم" ولم يبدُ عليه أنه قد سمعه من الأساس، وظل على نظرتة المتصلبة وكفه الذي يعتصر كف الطبيب، أما "كريم" نفسه فلم يكن هنا بعقله فما أن أمسك بيد الطبيب حتى أضاءت الدنيا أمام عينيه بنور ساطع قبل أن ينتقل عقله إلى أماكن أخرى وأزمنة أخرى في رؤى مختلفة متداخلة بسرعة كأنها كانت تحتشد و تنتظر لحظة العودة..



الدم

شريط سريع من المشاهد وومضات مختلفة مرت في عقل "كريم" لمدة طويلة قبل أن تتوقف فجأة ويتغير كل شيء حوله؛ ليرى نفسه في غرفة طبية بها عدة أطباء يلتفون حول رجل مقيد إلى فراش طبي وتتصل به أجهزة مختلفة تقيس نبضات القلب، وأخرى تقيس نشاط الموجات الدماغية، ويبدو أنهم يستعدون لإجراء جراحة في المخ، وطبيب عجوز يقف عند رأس الرجل المقيد ويحدثه، اقترب "كريم" منهما وتأمل الرجل المقيد قليلاً، وجزع عندما تعرف عليه ... فقد كان والده.

- ماتقلش يا "عبدالله"، احنا هنعمل لك عملية بسيطة في جزع المخ هتخليك تتحرك وانت نايم ونقدر نشوف كل أحلامك من غير ما نصحيك كل شويه ونسألك انت حلمت بإيه.

بصق "عبدالله" الشاب على وجه الطبيب الذي صفعه بعدها ثم التفت يستدعي طبيباً شاباً آخر يقف وراءه

- "ألبير"

تقدم الطبيب الشاب الذي عرف "كريم" أنه هو هو طبيبه الودود، ثم راجع الأجهزة كما أمر الطبيب العجوز، ثم أشار له علامة البدء؛ فأمسك بمنشار طبي صغير وعاد إلى "عبدالله".

- هفتح جمجمتك من غير تخدير وهبقى أخدرك بعدها.

ثم قرب وجهه من وجه "عبدالله" الذي يرتجف بشدة:

- عايزك تطلق كل قواك العقلية ... عايزك تحس بكل حاجة.

ثم شرع في نشر الجمجمة وأردف غير مبالٍ بالصراخ الشديد أو الدم الذي بدأ يتناثر على معطفه وعلى وجه "عبدالله":

- ونصيحة ليك متحاولش تهرب تاني ... العملية دي ممكن تسبب لك شلل تام بعد فترة.

تراجع "كريم" إلى الوراء والصدمة تكاد تقتله قبل أن يتغير المشهد تماما؛ ليجد نفسه يقف في غرفة بها شاشة مراقبة وأمامها يجلس الطبيب "ألبير" وهو شاب، ويتابع باهتمام ما تعرضه الشاشة؛ فنظر "كريم" إلى الشاشة ووجد أباه الشاب وقتها يتحرك في غرفة واسعة، ويتكلم بكلام غريب كأنه ليس في وعيه، ثم رآه فجأة يميل ويتحسس شيئاً غير موجود وهو يقول :

" انت قلت لي إن الأمر مش شخصي، لكن أنا بقول لك إن الأمر بالنسبة ليا شخصي جداً " .

أما الطبيب "ألبير" الشاب فقد رفع سماعة الهاتف الداخلي وانتظر قليلاً قبل أن يقول بسرعة :

" واضح إنه بيشفوف رؤيا يا دكتور ... ياريت تيجي تتابع بنفسك "، ثم أغلق السماعة وعاد ليتابع "عبدالله" الذي أصبح يجسد رؤاه بعدما تم استئصال الجزء المسئول عن منع الجسم من الحركة أثناء النوم، وشاهده يصرخ فجأة باسم ما " فيكتور ! "، ثم التفت ووضع كفه الأيسر فجأة على جانب عنقه كأنه أصيب بشيء ما، ثم أخذ يتحرك بخطى متثاقلة ناحية أحد الجدران وهو يزوم بغضب، ثم سقط على الأرض فاقدًا الوعي.

اختفت جدران الحجر مجدداً ثم تغير المكان ورأى "كريم" ممراً يحوي عدة غرف مغلقة؛ ثم فُتح إحداها وخرج منها أبوه "عبدالله" وهو يتلفت حوله بتوتر، وسار بمحاذاة الجدران؛ فقابله طبيب حاول منعه ولكن "عبدالله" وضع أصبعيه السبابة والوسطى على جبهة ذلك الطبيب ودفعه برفق فسقط على الأرض فاقدًا الوعي كأنه إنسان آلي فصلت عنده مصدر طاقته، اندفع "عبدالله" بعدها يجري بقوة وسرعة وسط دوي صفارات الإنذار، قابل طبيباً آخر فقفز قفزة مستحيلة من فوقه، وظل يركض حتى وصل إلى البوابة؛ فاقتحمها إلى الخارج في ظلام الليل الدامس، وقبل أن يصل إلى السور أصيب برصاصة في كتفه فالتفت ليجد الطبيب "ألبير" يعيد التصوير مجدداً وقبل أن يطلق الرصاصة الثانية توقف عندما ابتسم "عبدالله" بسخرية وهو يمسك كتفه المصاب ويقول: "لا أنا ولا انت هانموت هنا يا "ألبير" ... أنا عارف مستقبلي وعارف مستقبلك " .

ثم تبعها بأن ركض ناحية السور وقفز قفزة تجاوزت السبعة أمتار تجاوز بها السور واختفى، أما الطبيب فقد قفز داخل سيارة بالمركز وانطلق بها على الفور محطماً البوابة .

ثم اختفى المكان، وأخذت المشاهد تتغير في لقطات بسيطة، رأى ما فعله الطبيب "عماد" من أجله، ورأى جثته والطبيب "ألبير" يقف أمامها، رأى الطبيب "ألبير" وهو يتفق مع "حازم حديدة" على اختطاف والدته ويعطيه بعض المال، ورآه أخيراً وهو يشرح لآخرين الترتيبات اللازمة لما حدث اليوم - من جعله يقوم بتقطيع الجثث - حتى يصاب بصدمة عكسية قد تؤدي إلى عودة قدراته.

ثم اختفى كل شيء للحظات، وشعر كأن جسده معلق في العدم، لا نور ولا ظلام قبل أن يغلق عينيه بشدة ويفتحها؛ ليجد نفسه وقد عاد إلى غرفة التشريح وهو قابض على كف الطبيب الذي يحاول انتزاعها باستماتة، التفت إليه بدهشة والدموع تنهمر من عينيه ثم أفلت يده :

- مالك يا "كريم" ؟

أمسك الطبيب كف يده بالآخر وهو يتألم، وظل "كريم" على حاله وشفته ترتعشان من الصدمة، ثم أسند يده على الحائط ووقف أمام الطبيب صامتاً للحظات قبل أن يتكلم بلهجة غير مصدقة :

- انت يا دكتور ؟

تراجع الطبيب خطوات إلى الخلف وهو يقول بحذر :

- أنا إيه يا "كريم" ؟

- مبروك يا دكتور ... نظريتك طلعت صح، واللي خليتني أعمله رجّع قدراتي تاني وعرفت كل حاجة.

ظل الطبيب يتراجع حتى ألصق ظهره بالحائط، و "كريم" يتقدم نحوه بخطوات بطيئة :

- "كريم" ... انت شوفت إيه ؟

- شوفتك، وشوفت أبويا وانت بتضربه بالرصاص ... شوفت كل حاجة.

أطرق الطبيب برأسه في أسي، ثم رفع رأسه وهو يقول لـ "كريم" بلهجة حزينة :

- صدقني أنا معتبرك زي ابني ... سامحني يا "كريم"

ثم نظر ناحية الباب وهو يصرخ :

- "فيكتور"

تناهى إلى مسامع "كريم" صوت أقدام تركض نحو الغرفة؛ فالتفت ليجد القادم هو نفس الشخص الذي اختطفه في المرة الأولى وقد وصل إلى باب الغرفة ممسكا بمسدس تخدير ويبتسم :

Welcome back Mr.Kareem -

ثم رفع يده بسرعة وأطلق رصاصة تخدير استقرت على عنق "كريم" الذي رفع كفه إلى جانب عنقه قبل أن يزوم بغضب ويتقدم بخطوات متناقلة ناحية "فيكتور" يحاول الإمساك به، ثم يسقط عند قدميه وآخر ما سمعه هو الطبيب "ألبر" وهو يتكلم في الهاتف ويطلب من أحدهم التجهيز لعملية جراحية، ثم أغلق عينيه و فقد وعيه .

ظلام تام معلق فيه جسد "كريم" ظل يدور في كل الاتجاهات فلم ير شيئا، صرخ بلا صوت و شعر بقلبه يضطرب بين أضلعه، وانتابه خوف شديد ... حتى سمع صوتها :

- "كريم" ... ما تخافش يا حبيبي

صرخ باسمها وهو يبحث عنها "تقى".

لم يرها في أي مكان؛ فظل يصرخ باسمها مرة تلو المرة، حتى شعر بجسده يندفع بقوة ثم توقف فجأة في غرفة طبية، وراها تجلس على مقعد بجانب فراش طبي وهي تبكي بشدة ووتقول من وسط دموعها: " طول الفترة اللي فاتت كنت دائما بتصل على رقمك ... كنت عارفة إنك مش هتسيبني بالطريقة دي "

اقترب منها، حاول أن يلمس وجنتيها فلم يستطع.

- قياس الموجات الدماغية يقول إنه بيحلم ؟

كان الصوت من خارج الحلم، صوت جذبه بعيدا عن "تقى" إلى خارج الغرفة وإلى خارج الحلم كله؛ ففتح عينيه فجأة فرأى كشفا ضوئيا كبيرا معلقا إلى السقف، وشعر بأقطاب موصولة إلى وجهه المقيد بالفراش وأجزاء مختلفة في صدره وقدميه وذراعيه المقيدين أيضا بأغلال جلدية.

تحرك بعصبية وهو يحاول انتزاع الأغلال؛ فأجفل عندما امتدت يد تتحسس شعره وجبهته تبعها صوت الطبيب "ألبير" :

- اهدى يا "كريم".

ثم تحرك الطبيب حتى وقف في محيط نظره وهو ينظر له بأسى حقيقي:

- لو كنت فعلا شوفت كل حاجة كنت هاتعرف اني مش مسئول عن اختطافك أول مرة.

زام "كريم" بغضب وهو يحاول التخلص من القيود و يقول:

- طيب وخطف أمي، واللي هاتعمله دلوقتٍ ... مسئولية مين؟

- مهما بررت ليك يا "كريم" مش هتفهم، صدقني كل ده علشان العلم بس، انت بتقدم خدمة كبيرة جدًا للمستقبل.

ثم مسح على رأس "كريم" مجدداً برفق :

- احنا مش هنموتك، هي مجرد عملية جراحية بسيطة

قاطعته "كريم" وأكمل هو بغضب :

- بس ممكن تخليني أعيش باقي عمري مشلول ... زي ما عملت في أبويا زمان.

تنهد الطبيب بجزن ثم نظر إلى طبيب آخر شاب يتابع أجهزة القياس، وأشار له ولثلاثة أطباء آخرين أن يستعدوا ثم مد يده إلى طاولة معدنية وأخذ منها منشارا طبيا صغيرا والتفت إلى "كريم" مجدداً ومال عليه :

- صدقني يا "كريم" ... الأمر فعلا مش شخصي.

ثم وضع كفه الأيسر على رأسه "كريم" ومد يده الأخرى الممسكة بالمنشار ناحية الجبهة، ووضع عليه مقدمة المنشار وبدأ النشر ببطء فصرخ "كريم" وأخذ ينتفض، واثنين من الأطباء يثبتان جسده بقوة، سال الدم من رأسه حتى أغرق وجهه وعينيه وهو يصرخ بشدة من الألم:

- دكتور "ألبير" ... الموجات الدماغية بتزيد حدة بطريقة غريبة.

توقف الطبيب وتطلع بقلق إلى جهازي قياس ضربات القلب والموجات الدماغية؛ ثم عاد ليكمل عمله - دون أن يلتفت إلى صرخات "كريم" التي ملئت الغرفة -، وفجأة أخذ كل شيء يرتج في مكانه بقوة كأن هناك زلزالاً قوياً يضرب المركز، وكاد الطبيب نفسه أن يسقط أرضاً؛ فأسند ذراعه على الطاولة المعدنية، ونظر إلى "كريم" فوجد عينيه تتحركان بسرعة غريبة والدم يسيل من أنفه؛ فصرخ الطبيب وهو يطلب من أحدهم أن يحقن "كريم" بالمخدر فوراً.

ترددت صرخات "كريم" وصرخت معه خلايا مخه؛ حتى سال الدم من أنفه، وأمام عينيه تتابع رؤى مختلفة متسارعة؛ حتى توقف المشهد وهو يرى "تقى" تبكي وهي تقول له :

" طول الفترة اللي فاتت كنت دائما بتصل على رقمك ... كنت عارفة إنك مش هتسييني بالطريقة دي ".
فصرخ صرخة مدوية معبأة بالغضب حتى نفرت عروق وجهه ورقبته ... وفجأة توقف كل شيء.

توقف الألم وتوقف الجميع عن الحركة وشعر بجسده يرتفع في الهواء، جال في الغرفة فوجد جسده المادّي كما هو على الفراش، وفمه مفتوحاً ومثبّناً، والأطباء جميعهم متجمدين في مكانهم كتماثيل الشمع، أو كأنه فيلم تم إيقافه عند هذه اللقطة، طاقة صافية لا حدود لها هكذا شعر بنفسه، كأن كل شيء في الغرفة هو جزء لا يتجزأ منه، وبلا ألم ولا خوف شعر بأن طاقته تتمزق وتتداخل مع مكونات الغرفة من زجاج وأدوات معدنية.

- خدره بسرعة.

اندفع الطبيب الشاب نحو جسد "كريم" بتوتر وهو يحمل المحقن الذي يحوي سائل التخدير، وهم أن يغرزوه في ذراع "كريم" ولكن يده توقفت قبل أن يفعل ذلك؛ فصرخ به الطبيب " ألبير" مجدداً؛ فحاول ولكن

شيئاً ما يمنعه، وكأن مخه لم يعد يستطيع التحكم في ذراعه، أجبرته قوة خفية على رفع المحقن ناحية عينه ثم انغرز المحقن فيها وانفجرت دماؤها؛ فسقط على الأرض يصرخ؛ فأسرع الطبيب "ألبير" يحضر محقنا آخر به مخدر، وغرسه في الذراع ودفع السائل في العروق، و "كريم" تزداد صرخاته حدة؛ حتى دوت فرقة قوية في المكان، تبعها صوت انفجار النافذة الزجاجية للغرفة، وتناثر الزجاج يجرح الأطباء ولكنه لم يسقط بعدها وظل عالقا في الهواء وارتفعت بجانب الزجاج كل الأدوات المعدنية في الغرفة وهي تتحرك بهدوء؛ فابتعد الأطباء جميعهم عن جسد "كريم" الذي توقف عن الصراخ.

تراجع الطبيب "ألبير" مع رفاقه ببطء، وركض أحدهم ناحية باب الغرفة يحاول فتحها فلم يستطع، ثم صرخ فجأة عندما طار نحوه مبضع جراحي اخترق رأسه من الخلف وخرج من الناحية الأخرى ويستقر في الباب الخشبي، وبعدها طارت الأدوات الحادة كلها والزجاج لتخترق أجساد الأطباء بسرعة وقوة مرة تلو المرة؛ حتى تحولت أجسادهم إلى ما يشبه المصفاة، وأحشاء بعضهم تتدلى أمامهم فسقطوا جميعا صرعى، عدا الطبيب "ألبير" الذي تجمد في مكانه برعب وفرنح وهو يتحسس جسده السليم الذي لم يصبه أي شيء، ويتطلع إلى قيود "كريم" التي بدأت في التمزق وحدها، قام "كريم" من فوق الفراش بعدها بقميص الجراحة الذي يرتديه والدم يسيل على وجهه من جرح رأسه الغائر، ويتقدم نحو الطبيب "ألبير" وهو يتطلع إليه بنظرة خاوية لا حياة فيها، حتى توقف أمامه وثبتت نظراته على عيني الطبيب قبل أن يحرك يده حركة خفيفة؛ فارتفع جسد الطبيب إلى أعلى قليلاً ومعطفه يمسح الحائط، ثم طار فجأة وسقط على الفراش الطيب بعد أن رفع "كريم" ذراعه وأنزله لم ينبت الطبيب ببنت شفة من الرعب، لم يحاول حتى أن يحرك جسده المثبت بقوة غير مرئية، "كريم" يتقدم نحوه بخطوات بطيئة؛ حتى توقف بجانب رأسه ووضع كف يده يتحسس جبينه :

- مستحيل ... أنا حققتك بالمخدر

- طبعا انت عارف أنا هاعمل إيه دلوقتِ ؟

طارت الأدوات الجراحية والزجاج حتى توقفت في الهواء فوق جسد الطبيب ومقدمته جاهزة للانقضاض على صدره، بكى بشدة ثم نظر إلى "كريم" بتوسل :

- مش هقول لك سيبني ... بس على الأقل مش بالطريقة دي، أنا كنت بعاملك كويس.

ابتعد الزجاج وباقي الأدوات وتساقطوا بعيدا ومال "كريم" على الطبيب يسمح جبهته برفق ويقول :

- انت قلت لي إن الأمر مش شخصي، لكن أنا بقول لك، إن الأمر بالنسبة ليا شخصي جدًا.

اتسعت عينا الطبيب هلعًا وقد تذكر الجملة التي قالها والد "كريم" في التسجيل منذ سنوات عديدة، ولم يفهم معناها وقتها وتذكر جملته الأخرى بأنه يعرف مستقبله؛ فابتسم "كريم" ورفع يده عن جبين الطبيب :

- افكرت طبعًا ... على العموم أنا هاحققلك أمنيتك وهتموت من غير ألم.

ثم أعاد يده ووضعه على صدر الطبيب، ونظر في عينيه قليلاً فشقق الطبيب عندما أحس بقبضة تعصر قلبه بقوة؛ فظل يفتح فمه ويغلقه، ثم بدأ الدم يندفع بقوة من فمه وأنفه، و "كريم" ينظر إليه بنفس النظرة الخاوية التي لا حياة فيها؛ حتى شقق الطبيب بصوت مكتوم قبل أن تميل رأسه جانبًا وقد فارقت روحه جسده .

للحظات لم يتغير الوضع ولم يتحرك "كريم" وظل يحرق في وجه الطبيب الملطخ بالدماء، ثم رفع يده من فوق صدر الطبيب، وتلفت في الحجرة يتأمل الفوضى التي أحدثها والجثث الممزقة المبعثرة في الغرفة.

توقع على أحد الحوائط، ورفع رأسه فرأى كاميرا مراقبة فارتسمت على جانب شفثيه ابتسامة وئدت سريعاً، ثم تمشى ببطء حتى خرج من الغرفة؛ فلمح ملابسه في غرفة مجاورة فدخلها وبدل ملابسه، ثم التقط لاصقاً طبيًا ووضعه على جرح رأسه - بعد أن جفف الدم- ثم خرج، كان في الطابق الثالث فاستقل المصعد إلى أسفل وخرج من المركز فوجد الليل مازال ينشر أستاره، سار حتى وصل إلى السيارة المرسيديس الخاصة بالطبيب "ألبيير" ووجد مفاتيحها لا تزال بالداخل فجلس خلف مقود السيارة وأدار محركها، وانطلق ببطء بهدوء شخص يتنزه لا يهرب.

كان يشعر بالمخدر يسري في دمايه إلا أن التحكم لم يكن لجسده بل كان لعقله وحده، حانت منه التفاتة إلى مرآة السيارة الأمامية فشعر كأنه يرى شخصًا آخر غير "كريم" الذي عهدته، شعور بالقوة والتحكم والرغبة في التدمير ... شعور بالشر والغضب.

لم يتوجه مباشرة إلى منزله وذهب قبلها إلى حي "بولاق الدكرور" ومر بالمقهى فوجد "زغلول" جالسا كعادته يشرب المعسل فتوقف أمامه، وأشار إليه أن يأتي فهرع إليه على الفور:

- مبروك يا "كيمو" يا حبيبي على العربية الجديدة ... إيه ده في دم على وشك
- اركب يا "زغلول"

أمام اللهجة الحازمة لم يملك "زغلول" إلا الانصياع والركوب في السيارة التي انطلقت على الفور حتى وصلت إلى أمام العمارة التي يقطن فيها "كريم" الذي التفت إلى "زغلول" وأخرج مفاتيح السيارة ووضعها في كف "زغلول"، تطلع "زغلول" إلى المفاتيح ثم نظر إلى "كريم" بنظرة بلهاء متسائلة :

- خد العربية دي يا "زغلول" واعتبرها بتاعتك ... عايزها بكرة الصبح تكون اتقطعت وخلصت وحلال عليك الفلوس.

- إيه ده يا "كيمو" ... انت بقيت ابن كار زينا؟!!

قالها بمزاح ثم صمت عندما حدجه "كريم" بنظرة حادة غاضبة قبل أن ينزل من السيارة ويتجه إلى مدخل العمارة ومنها إلى المصعد؛ فنزل "زغلول" من السيارة ودار حولها واحتل مقعد السائق وهو يتمتم.

- يا حول الله يارب ... حصل له إيه ده ؟

دخل "كريم" شقته وأغلق بابها وأنجبه صوب غرفة والدته ودخلها؛ حتى توقف أمام فراش أمه التي لم تُفق بعد من المخدر؛ فتحسس وجنتيها برفق وهو يشعر بالدوار يسيطر على عقله، وأن جسده قد استعاد السيطرة مجدداً؛ فجثا على ركبتيه أمام الفراش ليسقط بعدها في ثبات تام بعد أن تغول المخدر في جسده

الخاتمة

فتح "كريم" عينيه ببطء فصدمته الإضاءة القوية في الغرفة التي دفعته إلى إغلاق عينيه مجددًا، ويعود ليفتح عينيه تدريجيًا حتى اعتادت عيناه الإضاءة، وجد نفسه كالعادة في غرفة طبية فأدار رأسه ناحية اليمين فوجد "تقى" جالسة بجانبه، عدّل ظهره وأسنده إلى الخلف، ثم ابتسم عندما أحست "تقى" به والتفتت إليه بلهفة :

- حمدًا لله على السلامة يا "كريم"

- خلاص بقى المفروض تكوينا اتعودتِ على كده ؟

لم يكن يشعر بالضعف أو الوهن، مد يده وتحسس مكان الجرح على رأسه فوجد ضمادة عليه، أمال رأسه يمينًا ويسارًا - مطلقًا رقبته - قبل أن يقول :

- طبعًا أنا في مستشفى "عين شمس" التخصصي، وتقريبًا نفس الأوضة اللي كنت فيها من فترة ...
صح؟

أومات برأسها إيجابًا؛ فضحك ومال عليها :

- طيب إيه رأيك أحجز الأوضة دي ونتجوز فيها، وأهه بدل ما تتعبي معايا كل ما تخطف وتفضلي
تنقليني للمستشفى ؟

- نعم يا حبيبي ! ... أنت هتستحلي الموضوع ولا إيه ؟

هم أن يرد على دعابتها بأخرى، إلا أنه قطب حاجبيه ثم تلفت بنظره في أرجاء الغرفة:

- فين ماما ؟

- مامتك عندنا في البيت ... ياعيني طلع عينيهيا معاك الخمس تيام اللي فاتوا، وبابا خدها الصبح

تمام عندنا شويه و

قاطعها بدهشة :

- الخمس تيام اللي فاتوا !!! ... هو النهاردة كام ؟
- النهاردة 11/09 ... احنا الخميس يا عم انتا
- يعني أنا بقال لي 6 أيام في غيبوبة ! ... إزاي ... أنا ماشوفتش أي حاجة

قالها بدهشة فردت عليه بمثلها :

- يعني إيه ما شوفتش حاجة ؟! ... مش انت فقدت الحاجات دي اللي كنت بتشوفها ؟
- لم يرد عليها، ومد يده يمسك يدها وقبض عليها برفق للحظات، وثبت في مكانه للحظات، ثم أفلت يدها وابتسم وسط دهشتها من ردة فعله؛ فعادت لتسأله :

- "كريم" ... مش انت فقدت الأحلام دي اللي كنت بتشوفها ؟

لم يبذ عليه أنه قد سمعها، ورأته يتحسس الفراش و يغمض عينيه وهو يرهف السمع :

- "كريم" !

انتبه ونظر إليها مبتسمًا وهو ينظر لها نظرة حالم :

- ما اسمهاش أحلام ... اسمها "استبصار" ... قولي ورايا "استبصار"

- لا إله إلا الله ... هما عملوا حاجة في دماغك ولا إيه ؟

- طبعا عملوا ... ده أنا نفسي أروح أبوسهم واحد واحد.

خيم عليهما صمت تام وهي تنظر إلى الناحية الأخرى، ثم التفتت له مجددًا وتقول بحنان :

- المرة اللي فاتت لما اتخطفت، أنا ماردتش أسألك عن أي حاجة واستنيت إنك تقول لي لوحدك،

بس طبعا حصل اللي حصل ... ودلوقتِ أنا مش عايزة أسألك، بس مش قادرة أمنع نفسي يا

"كريم".

- هاتعرفي كل حاجة صدقيني، بس إديني فترة أجمع فيها نفسي يا "تقى" ... أنا مش قادر أفكر في

اللي حصل.

أشاح بنظره إلى الناحية الأخرى بأسى وألم وأردف :

- انتِ بجد مش متخيلة اللي حصل لي يا "تقى" ... أنا حاسس إني بقيت واحد تاني

ربتت على كتفه بحنان :

- معلش يا حبيبي ... أنا آسفة إني سألتك

ولكن فضولها الأثوي طفى على السطح؛ فأردفت باهتمام:

- كان الدكتور "ألبيير" هو اللي ورا كل حاجة ... صح ؟

نظر إليها بدهشة؛ فابتسمت ورفعت يديها وهي تضحك :

- آسفة آسفة ... البنات ودماعهم بقي

وبعد أن انتهت من الضحك أردفت :

- على العموم أنا بلغت البوليس فعلاً ولما راحوا المركز مالقوش أي حاجة والدكتور "ألبيير" مختفي من ساعتها.

- يعني إيه مالقوش أي حاجة!؟

- يعني المركز كان طبيعي جداً وكل اللي هناك قالوا إنهم مايعرفوش الدكتور فين

هز رأسه متفهماً ثم ابتسم وأشار لها:

- طيب يالاً اطلعي بره ... عايز أغير هدومي علشان نمشي.

- تمشي ده إيه ؟ ... استنى لما الدكتور هو اللي يقول.

قفز من على الفراش ووقف أمامها :

- يابنتي أنا زي الفل أهه ومش حاسس بأي تعب

- طيب استنى هنا لحد ما أجيب الدكتور وآجي.

لم تنتظر منه رد وقامت وخرجت من الغرفة على الفور، وقف "كريم" مكانه ينظر إلى الباب المفتوح ثم مد يده وحرك أصبعيه السبابة والوسطى فتحرك الباب وأُغلق.

تلقت في الحجرة فوجد كوبا بلاستيكية به بقايا شاي فمد يده نحوه فطار إلى كف يده وأطبق عليه، كاد يصبح فرحاً، وشعور النشوة وغرور القوة يسيطران عليه، لولا أن تناهى إلى مسامعه صوت خطوات قادمة فأعاد الكوب مكانه، وجلس على طرف الفراش حتى فُتح الباب ودخلت "تقى" وتبعها طبيب بدين في أواخر العقد الرابع وتقدم نحوه :

- إيه يا أستاذ "كريم" ... لحقت زهقت مننا وانت لسه فايق من شويه ؟

قالها الطبيب وهو يدفع صدر "كريم" برفق ويعيده إلى الفراش فأطاعه، وضع الطبيب طرفي السماعاة الطبية في أذنه ووضع طرفها الآخر على صدر "كريم" يستمع إلى ضربات قلبه، ثم رفعها وأخرج كشافاً صغيراً من جيبه وسلطه على حدقتي العين قبل أن يعيدها إلى جيب المعطف وهو يقول بلهجة هي مزيج من الدهشة والمزاح :

- غريبة جداً ... أول مرة أشوف واحد يفوق من غيبوبة بالصحة دي!

تبسم "كريم" عندما رأى "تقى" التي تقف خلف الطبيب وهي - وبالرغم من تدينها وعدم إيمانها بالخرافات المنتشرة - ترفع كفها وتُخَمِّس خلف الطبيب حتى تمنع الحسد.

- على العموم يا أستاذ "كريم"، انت كده ممكن تخرج بس الجرح في رأسك شكله مش ظريف وسايب أثر ولو تحب في جراح تجميل يقدر يحبه بدون أي أثر.

قام "كريم" وأنجّه نحو مرآة موجودة بالغرفة ووقف أمامها، ثم انتزع الضمادة التي على جبهته ومد يده يتحسس أثر الجرح الذي يصل إلى نصف جبهته ثم التفت إلى الطبيب :

- لا يا دكتور ... مش عايز أشيله.

مط الطبيب شفتيه إمتعاصاً :

- زي ما تحب .

ثم مد يده إلى "كريم" يصفحه وأردف :

- حمدًا لله على السلامة يا أستاذ "كريم".

مد "كريم" يده بدوره، وما أن لامست يده يده الطبيب حتى أغلق عينيه قليلاً ثم أفلت يده وقال بلهجة ذات معنى :

- صحيح يا دكتور ... عم "عبده" مات من فترة ؟

- عم "عبده" !

- أه الرجل اللي جه ليك وباع كليته ... الرجل الكبير ده اللي عملته العملية

اضطرب وجه الطبيب، ثم اتجه ناحية الخارج وهو يقول بتوتر :

- إيه الكلام ده يا أستاذ ... المتاجرة بالأعضاء البشرية مجرم أساساً

ثم غمغم وهو يخرج :

- أنا هاكتبلك تصريح الخروج

التفتت "تقى" إلى "كريم" واقتربت منه وهي تثبت عينيهما الواسعتين إلى عينيه :

- إيه حكاية عم "عبده" ده ... موضوع "الاستبصار" ده رجع لك يا "كريم" ... صح ؟

تراجع وهو يضحك :

- بالله عليك بلاش النظرة دي ... أنا مش باقدر أقاومك وممكن قدامها اعترف بكل حاجة من

ساعة ما اتولدت .

- قولي يا "كريم"، رجعت ولا لأ ؟

- بصراحة أه ... بس اوعديني ماتقوليش حاجة

- أكيد طبعاً، ده أنا أصلاً لو حكيت حاجة زي دي الناس هتقول على هبلة

ثم اتَّجَّهت ناحية الباب وأردفت:

- البدلة بتاعتك متعلقة ورا الباب ... البس لحد ما أشوف تصريح الخروج ده، وأكلم بابا يجي

ياخدنا

- وبابا ليه بس ؟

التفتت إليه :

- علشان عربيتك عند البيت، وعلشان هاتيحي معانا البيت

ثم أشارت له بأصبع السبابة محذرة بشكل مضحك :

- واعمل حسابك إن لما الدنيا تروق كده هاقعدك قدامي وهاخليك تحكي لي كل حاجة

- انت تؤمر يا معلمي.

خرجت من الغرفة، وأغلق الباب خلفها، عاد إلى المرأة يتأمل وجهه ويفكر في أمر الطبيب الذي تسبب في موت عم "عبده" والصدفة التي جمعت به، ربما لم تكن صدفة وأن الله أوقفه في طريقه حتى يحقق الانتقام منه، هكذا حدث نفسه؛ فابتسم وقد راقته له الفكرة .

بعد ساعة خرج من الغرفة وقد أنهى ارتداء ملابسه وسار بجوار "تقى" التي كانت في انتظاره:

- هي الأوضة بتاعة الدكتور ده فين ؟

- مش عارفة بس هو دلوقت دخل الحمام ده تقريبا

- طيب ثواني بعد إذنك.

دخل الحمام فوجد الطبيب يتبول فأشار له مودعًا وهو يبتسم في سخرية :

- سلام يا دكتور .

ثم خرج على الفور، وعاد ليسير بجوار "تقى" ويده اليمنى بجانب جسده ويقبض كفه معتصرًا الهواء من غير

أن تلاحظ "تقى" ما يفعله، أما الطبيب فقد شعر فجأة بقبضة تعنصر قلبه وهو يتبول فرفع كفه وضغط

على صدره قبل أن يبدأ الدم يسيل من أنفه وفمه بغزارة؛ ليسقط بعدها وتصطدم رأسه بالمبولة، ويستقر جسده على الأرض وقد فارق الحياة.

في الخارج وجد "كريم" والد "تقى" ينتظرهما في سيارته؛ فسار الاثنان ناحية السيارة، وركبت هي في الخلف ودخل "كريم" بجانبها وهو يقول لوالدها متحججا :

- معلى يا عمي مش قادر اقعد قدام علشان ضهري.

نظر له حماه في مرآة السيارة الأمامية وابتسم:

- أه طبعاً ما أنا واخذ بالي ... حمداً لله على السلامة يا "كريم"

- الله يسلمك يا أبو المفهومية.

ابتسمت "تقى" في خجل وأدار أبوها السيارة وانطلق بها وهو يقول مداعبا :

- لو ناوي تتخطف تاني قول لي من دلوقت علشان نفرکش الجوازة دي ونخلص ... دي بنتي

الوحيدة يا "كريم"

- لا يا عمي والله ... أوعدك دي آخر مرة.

قالها ضاحكاً، ثم ساد الصمت بعدها وفي خلسه من حماه مد "كريم" يده وتحسس يد "تقى" التي اتسعت

عينها من الدهول، وخشيت أن تأتي بأي ردة فعل؛ حتى لا يلحظ أبوها ما يحدث، وضع "كريم" يده على

يدها فسطع نور أبيض أمام عينيه ورأى "تقى" مستلقية على فراش طبي وهو بجانبها ويمسك بطفل صغير

ويقول " إيه رأيك نسمة يوسف " ؟

انتهت الرؤية القصيرة فتهد في ارتياح، وارتسمت ابتسامة واسعة على شفثيه، ونظرت "تقى" إليه، ثم

مالت عليه هامسة:

- شوفت إيه ؟

- شوفت "يوسف"

- "يوسف" !

هز رأسه فرحًا وهو يهمس:

- أيوه "يوسف" ... ابننا يا "تقى"

فهمت ما يقصده؛ فأطبقت كفها الرقيق على كفه، وقلبها يختلج بين أضلعها حبًا، وأراحت رأسها على مسند الأريكة وأغمضت عينها وهي تؤمن من كل قلبها بأن الخطر أخيرًا قد زال تمامًا وإلى الأبد ... أو هكذا ظنت.

سرى في أوصاله إكسير الحب، ودار عقله من كؤوس النشوة، حانت منه التفاتة إلى مرآة السيارة الجانبية اليمنى؛ فلاح على شفتيه شبح ابتسامة اختفت سريعًا.

رأى سيارة (BMW) تسير وراءهم، نفس السيارة التي كانت تقف خلف سيارة والده "تقى" أمام المستشفى، أرجع رأسه هو الآخر وأسنده إلى الواء وأغمض عينيه، كاد يستسلم للنوم لولا توقف السيارة أمام العمارة التي تقطن فيها حبة قلبه، نزل معهم وتوجهوا إلى مدخل العمارة، وتأخر هو عنهم خطوات قليلة، والتفت ورأى السيارة التي كانت تتبعهم وهي تقف بدورها على الجانب الآخر من الشارع.

أخفى جسده في باب العمارة وارتكن إلى الحائط وأغمض عينيه وأخذت رموشه تتحرك بسرعة واضطراب.

على الجانب الآخر وفي السيارة كان "فيكتور" جالسًا ينظر إلى المدخل الذي اختفى فيه "كريم"، رفع هاتفه وأرسل رسالة نصية وانتظر قليلاً فأنته رسالة من رقم دولي قرأها والغضب يرتسم على وجهه "It's not your mission any more, come back asap"، تحسس مسدسه بحق، وتمنى لو استطاع أن ينهي حياة "كريم" في الحال، ولكن الأوامر واضحة والمهمة لم تعد له، فضلًا عن أنهم أصلاً لا يرغبون في قتله وحاجتهم إليه حيًا فقط؛ فهو الحالة الوحيدة المتوفرة الآن، وأول حالة يقابلونها تتمتع بعدة قدرات في آن واحد، هم أن ينطلق بالسيارة حتى يجمع متعلقاته ويعود إلى "كندا"، شعر فجأة بتبارد بارد يجتاح خلايا مخه للحظات؛ فنظر بجدة إلى مدخل العمارة فلم يجد شيئًا، انطلق من فوره وبسرعة بالسيارة.

- واقف عندك ليه يا "كريم" !؟

انتبه على صوت "تقى" التي عادت من أجله عندما تأخر عنها، و لم تجده بجانبها، وراود القلق قلبها لما رآته في وضعيته مغمضاً عينيه، نظر في ساعته فوجدها تمام الثانية عصرًا، نظر إلى "تقى" و ابتسم لها ولحق بها بخطوات سريعة رشيقة :

- لا مفيش ... يالاً بقى أحسن أنا جعان جدًا.

مد يده يلتقط يدها؛ فأجفلت ثم رسمت ابتسامة مصطنعة متوترة على شفيتها، وسارت معه على درجات السلم، وخوف مبهم يسيطر عليها، خوف عليه أو خوف منه لم تعد تستطيع التمييز، لأول مرة تشعر بالقلق وهي تسير معه، حبه في قلبها قد بنى قلاعًا يستحيل أن يهدمها أي شيء، ولكن شعور خفي بأن الذي بجانبها ليس "كريم" الذي عرفته وألفته وأحبته، نظرة عينيه الحاملة غدت نظرة نمر قد أطلق من قفصه وخرج ليرتوي بالدماء ولن يوقفه أي شيء.

- غلط يا "تقى"

قالها وهما يقتربان من باب الشقة ثم يتوقف أمامها فتطلعت إليه للحظات

- غلط إيه يا "كريم"

- اللي بتفكري فيه مش صح ؟

- وانت عرفت من فين ... هو انت ...

قاطعها مبتسما:

- مش محتاج اني أقرأ أفكارك علشان أفهم اللي انت حاسة بيه ... يا "تقى" صحيح أنا بضحك

وبهزر لكن اللي أنا شوفته عمرك ما تتخيليه ومحتاج وقت كبير علشان أنساه ... وأنا منتظر منك

تقدري ده

- مقدره يا "كريم" ... مقدره.

قالتها باضطراب فغمز لها بعينه وهو يبتسم مجددًا:

- وعلشان تخرجي من مود الكآبة ده أنا عازمكم النهاردة على العشا في مطعم تحفة في جاردن سيتي.

- إسمعني جاردن سيتي؟

- وإسمعني مش جاردن سيتي؟ ... بلاش الأسئلة الفلسفية دي وتعالى ندخل جوه أحسن حماقي تخرج وتقول حاجة.

ثم تحركا سويا حتى دخلا إلى الشقة فاحتضن أمه وأخذ يطلق ضحكاته وهو يداعب أباه وأمه ويطلق النكات، كأنه عاد من رحلة ترفيهية لا من اختطاف ثم يبنئهم بقراره الخروج للعشاء ليلا، انسلت من وسطهم ودخلت غرفتها وأغلقت بابها والدمع ينساب على وجنتيها، و صوت يتردد في ذهنها بأن "كريم" قد اختطف ولن يعود مجدداً، أو عاد جسداً ... بلا روح.

- إيه رأيكم في المطعم ده؟

لم تفلح محاولاتهم إثناءه عن طلبه الخروج للعشاء وفي آخر الأمر خرجوا سويا حتى وصلوا إلى مطعم في جاردن سيتي يقدم الطعام المكسيكي، بالرغم من تلميح والد "تقى" أنه غير معتاد على مثل هذه الأطعمة:

- أبوه يابني هو المطعم حلو ... بس الأكل مكسيكي.

- ده المكسيكي ده أحلى حاجة ... لما تجرب مش بعيد تجيب حماقي هنا على طول

فتدخلت والدة "تقى" في الحوار وهي تضحك:

- قوله يا "كريم" ... ده آخر مرة عزمي كان من يجي 10 سنين

- أديك هاتفتح عليا فاتحة أهه.

ظلت "تقى" صامتة طوال الوقت وهي تتابع الحوار الدائر بينهم فمال عليها "كريم" وهو يهمس:

- مالك بس ... مش قولنا تسيبك من الشيطان ده؟

نظرت إليه ومر على شفيتها شبح ابتسامة تلاشت سريعاً وهي تهر رأسها وتغمغم بكلمات غير مفهومة، فلم يحاول أن يقول أي شيء ثم حانت منه النفاثة إلى ساعة يده فوجدها السابعة وخمسة وأربعين دقيقة فانفض واقفا فجأة:

- عن إذنكم دقيقتين
- رايح فين يا "كريم" ؟
- عيب السؤال ده على فكرة يا "نقى"

عدل وضع جاكيت البذلة وارتدى القفازين الأسودين ثم انطلق ناحية دورة المياه وما أن تأكد أنهم لا ينظرون إليه حتى خرج من المطعم ودخل إلى مدخل العمارة واستقل المصعد إلى الطابق الثالث وهو يتنفس مهدوء وابتسامة جانبية ترتسم على شفتيه.

" نفس اليوم في الثامنة مساءً "

I'm going to airport right now -

حمل "فيكتور" حقيبة جلدية صغيرة وسار بهدوء وهو يحدث أحدهم في الهاتف ويتجه صوب باب الشقة التي استأجرها في حي "جاردن سيتي"، وما أن فتح الباب حتى شعر بقوة هائلة تدفعه إلى الخلف وتلصقه بالحائط المقابل للباب، وجسده مرفوع عن الأرض بقوة خفية، تنهى إلى مسامعه صوت خطوات تقترب من الباب، وابتسم بهدوء حينما رأى "كريم" يدخل وهو يرتدي بذلة سوداء وعلى يديه قفازان أسودان، هم أن يتكلم فرفع "كريم" يده وأشار في الهواء وهو يطبق أصبعه السبابة والوسطى على الأبهام فأغلقت شفاته ببعضهما البعض؛ فأخذ يهيم وهو يحاول فتحهما مجدداً وصوت يخرج من الهاتف بانزعاج " Victor ... Victor"، و "كريم" يتقدم نحوه بخطوات بطيئة ويمد يده وينزع الهاتف من يده ويضعه على أذنه يستمع إلى صوت المتكلم قبل أن يعقب بسخرية:

**Victor is busy right now and I don't think that he can -
speak any more**

خيم صمت تام للحظات وتمشى "كريم" في الغرفة مبتعداً عن "فيكتور" حتى أتاه صوت من الهاتف :

Mr. Kareem ? -

Yep -

لحظات صمت أخرى أعقبها صوت هادئ من المتصل:

I hope we meet soon ... we can help you to Improve -

Your abilities

No thanks -

Mr. Kareem ... you won't able to control your abilities -

without our help otherwise your brain will fall

I think you are wrong ... and you are not in my choices -

Mr. Kareem ... In the end you will come and stand in -

front of me Cooperate with us or i'm gonna have go

back to the wrong tactics

Here is my answer -

ثم ابتسم بسخرية :

What about to try my tactics -

ثم ضغط زر (Speaker) في الهاتف ووجهه ناحية "فيكتور" المعلق كما هو في الهواء، ويده الأخرى

أشار فانفتحت شفتا "فيكتور" وأعقبها بأن أشار بأصبع السبابة في الهواء كأنه يرسم خطا مستقيما فبدأت

جبهة "فيكتور" في التمزق كأن منشارا كهربائيا يقطعها، وسال الدم حتى لطح وجهه؛ فجَزَّ على أسنانه

ومنع نفسه من الصراخ وهو يحدج "كريم" بنظرة حادة غاضبة؛ فابتسم "كريم" وتوقف عما يفعله وقرب

فمه إلى الهاتف بلهجة معلق رياضي :

your man is strong ... let's see if he will stay ,Oh my god -

strong till the end

ثم رفع يده مجددًا بالهاتف، وبيده الأخرى فتح كفه وفرد أصابع يده ناحية "فيكتور" قبل أن يقبضها ببطء وقوة ووجهه يرتعش وخيط من الدماء يسيل من أنفه لم يشعر به، أما "فيكتور" فقد شعر بقبضة باردة تعتصر قلبه، وألم حاد في عينيه أنهت مقاومته وصلابته، فانطلقت صرخاته تدوي في المكان؛ حتى بدأ الدم يسيل من فمه وأنفه والألم في عينيه يزداد حدة؛ حتى انفجرت فجأة واندفع الدم يخرج منهما في منظر بشع جدير بأفلام الرعب قبل أن يسقط رأسه على صدره ميتا فأنزل "كريم" يده وسقط "فيكتور" على الأرض.

قرب "كريم" الهاتف من فمه مجددًا وقال بهدوء :

I hope you enjoy the show -

طوح الهاتف بعيدا وسار ناحية باب الشقة؛ فمر أمام مرآة وقف أمامها وهو ينظر إلى انعكاس صورته، أو إلى انعكاس رجل آخر منه، رأى دماء تسيل من أنفه؛ فأخرج منديلاً ومسحه قبل أن يعيد المنديل إلى جيبه مجددًا، مد يده يتحسس أثر جرح جبهته ببطء و هو ينظر إليه وإلى نظرة عينيه الغريبة عنه، ثم استدار وخرج من الشقة، وهو يشعر أنه قبل ذلك كله قد خرج من نفسه.

زال الخطر أو لا يزال قائماً، هل اكتفوا منه أم سيعودون إلى مطارده مجدداً ؟ لم يعد يبالي، الصدمة العكسية الأخيرة لم تُعد له قدراته - فقط - ولكنها - وبطريقة ما - جعلته متكيفاً معها ومسيطرًا عليها بشكل لم يتخيله أو يحلم به يوماً، كل ما حدث له جعله يخرج بعقيدة جديدة عليه، يؤمن بها ويشعر بها تسري في أوصاله، أفكار ومبادئ لو سمعها من أحد قبل ذلك لاعتبره مجنوناً أو مريضاً نفسياً.

أصبح الآن يؤمن بأن الطريق إلى حماية الأرواح لن يكون إلا بإزهاق أرواح أخرى،

وأن الحل الوحيد لمنع إراقة الدماء لن يكون إلا بإراقة دماء أخرى

,,,,,,,,,,,,, وأن يريق دم ألف شخص آخر خير من أن يراق دمه هو .

ت

